CORNELL
UNIVERSITY
LIBRARY

BP
134
R35
S56
v.2

Provided by the Library of Congress
Public Law 480 Program

77-961598
(Vol. 2)
CORNELL UNIVERSITY LIBRARY
3 1924 092 315 781
PLEO
2/83

المؤمنون في القرآن

تأليف العلامة الجليل
السيد قاسم شبر الموسوي

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الجزء الثاني

مطبعة الآداب في النجف الأشرف

١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

المؤمنون في القرآن

تأليف العلامة الجليل
السيد قاسم شبر الموسوي

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الجزء الثاني

مطبعة الآداب في النجف الاشرف

١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م

Shubbar, Qāsim, 1927–

al-Mu'minūn fī al-Qur'ān

NB

X

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى « فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين . . » بعـد ما بين الله تعالى كيفية خلقة المسيح بصورة يقبلها كل ذي عقل بحيث لم يبق مجال للشك والريب ثم جاءهم بشيء يظهر الحق ويدحض الباطل في أي جانب كان وهو المباهلة فلم يوافقوا عليها ، وهذه الآية تقول للنبي اذا لم يرضوا بهذا القصص الحـــق وبهذا الأمر الحقيقي الذي بيناه لهم واعرضوا عنه وبقوا مصرين على العناد فانهم لا يريدون إلا الفساد والله يعلم منهم ذلك وسوف يجازيهم على نيتهم هذه فانه تهديد شديد لا يبقى مصراً عليه الا الذي لا يعرف الله حق معرفته .

وهذا التهديد يعم كل أحـد يتضح له الحق بأدلة صحيحة قوية فلا يقبله ويبقى مصراً على إنكاره وسوف يتضح هذا الأمر في الآية التي بعد هذه الآية وهي آية ٦٤ وهي قوله تعالى : « قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننـا وبينكم ان لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون » (١) ان هذه الآية الشريفة تكون فيها عظة للمسلم اكثر مما تكون دعوة لغيره من أهل الكتاب فقد تبين منها ما يحصل من الاسلام من الفوائد العظيمة وهي اتحاد الكلمة الموجبة لحصول العدل بين جميع المسلمين ، وهذه الكلمة هي ـ كلمة التوحيد وهي ـ شهادة ان لا إله الا الله ، فان الانسان اذا قال هذه الكلمة باخلاص واعتقاد ولم يُشبها بشيء مما يهواه من امور الدنيا فهذا الانسان هو المسلم حقاً كما

(١) سورة آل عمران : ٦٤ .

تقدم تفسير المسلم في قوله تعالى : « فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن » وقد عرفت معنى تسليم الوجه وأنه هو الاذعان والخضوع لله عز وجل بحيث ان العبد لا يفعل شيئاً ولا يقول شيئاً إلا باذن الله يستمد ذلك من النبي (ص) او ممن أمر النبي (ص) بالرجوع اليه والأخذ عنه والتعلم منه ، فاذا اخذ العبد شيئاً من احكام دينه من شخص لم يأذن الله ولا رسوله بالرجوع اليه كان ذلك نوعاً من الشرك الذي نهت عنه الآية .

فقـــد روي أنه لما نزلت الآية قال عدي بن حاتم : « ما كنا نعبدهم يا رسول الله » فقال النبي : « أما كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم ؟ فقال : نعم » فقال النبي (ص) هو ذاك .

امـا أئمة اهل البيت الاثنـا عشر فانهم صرحوا للناس في كل موطن ان الأمر الذي يأتي من قبلهم إن كان موافقاً القرآن فخذوا به وان لم يكن موافقاً للقرآن فردوه إلى الذي جاء به ولا تقبلوه منه ، وان الآية تصرح بان كل من أسلم ينبغي أن يكون بهذه الصفة وبهذا النوع من الاذعان والخضوع والانقيـاد لله ولرسوله حتى تكون كلمة المسلمين ـ كلهم ـ واحدة ليس فيها خلاف ولا اختلاف ، وهذه الكلمة واهل هذه الكلمة وهم اهل التوحيد ـ بمعناه الوحيد الذي ليس معه غيره ـ هم الذين يقفون مقابل الكفار من اهل الكتاب وغيرهم ويدعونهم الى دين الله ليساووهم في التمسك والاعتقاد بهذه الكلمةو إلا فالحرب أو الجزية .

اما الاختلاف بين طوائف المسلمين ومذاهبهم فيلزم على كل فرقة منهم ان تنظر الى عقيدتها : هل انها مذعنة منقادة الى الله بحيث قد اسلمت وجهها الى الله واخـذت أحكامهـا من النبي (ص) او ممن أمر النبي (ص) بالرجوع اليه او أنها ليست كذلك ولا تبقى مصرة على ما وجدت عليـه آباءها . فان اغلب الناس كانوا في العصور المتقدمة يلحظون رغبة الملوك الذين كانوا يسمون انفسهم خلفاء وكان الناس

يناديونهم يا امير المؤمنين كانوا في كل وقت ضد الدين فلــذا تراهم يقاومون الأئمة الذين يدعون الى الحق وبه يعملون .

انت ايها المسلم انظر الى اول الأئمة وهو علي بن ابي طالب فهل ترى في الاحكام التي بينوها للناس وهم يسندونها الى الآيات فهل تتمكن ان تعثر على حكم واحد من الحلال والحرام مخالفاً لحكم الكتاب او لسنة النبي (ص) . فهذه الآية الشريفة تخبرنـا بصورة حتمية ان المسلمين كلمتهم واحدة سواء . فاذا تفرقت واختلفت فليس المسلمون إلا فرقة واحـدة وما في الفرق ليست من الاسلام وان كانت كل فرقة تدعي انها هي المسلمة . هلموا فلنسر على الطريقة التي خطها لنا الرسول وهي التمسك بما امرنا به من حيث الثقلين فانه مسلّم الصدور وكل الفرق ترويه عن النبي (ص) .

فانظروا من هو المتمسك به ومن هو التارك له واذا كان عند أحد من الفرق حديث كهذا الحديث صحيح السند واضح الدلالة فليذكره حتى تبصر الناس ولا يبقون في عماهم فيتكون جميع الفرق مسلمين حقيقين وتكون كلمتهم واحدة كلمة سواء حتى تقف صفاً واحـداً في قبال هذا التيار الجارف من يهود ونصارى وغيرهم فنعود الى اسلامنا « فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون » . وهذه الجملة لا تحتاج الى تفسير وتحليل ولا تحتاج الى ترجمة بالنسبة الى العربي . أما بالنسبة الى غيره فيتمكن كل عربي ان يترجمها له اذا كان مسلماً كما امره الله لأن يسلم وجهه لرب العالمين ، اما اذا كان مسلماً كما يأمره هواه وكان موالياً للكافرين فتكون ترجمته كما يشتهي هو .

قوله تعالى : (ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون) (١) .

---

(١) سورة آل عمران : ٦٩ .

ان الله من رأفته بالمؤمنين ورحمته لهم يخاطبهم ويخبرهم بنوايا اليهودوبما تضمره قلوبهم في حق المسلمين من النوايا الخبيثة السيئة لكي يحذروا منهم ويبتعدوا عنهم فانهم يودون أن يضلوهم عن دينهم بعد ان اهتدوا وكانوا مؤمنين ، وانهم بفعلهم هذا او بتمنيهم اضلال المؤمنين قد صاروا من الضالين وكفروا بما فى كتابهم ، وانما سماهم الله اهل كتاب انكاراً عليهم لأن اهل كل كتاب يلزمهم العمل بما في كتابهم وان كتابهم قد حرم عليهم اضلال المؤمنين وفي مخالفتهم لكتابهم وارتكاب ما حرم عليهم فيه يكونون قد اضلوا انفسهم من حيث لا يشعرون . اما المؤمنون الذين اضلالهم فان كان ايمانهم راسخاً فلا يؤثر فيه اضلال المضلين وان كان ايمانهم متزلزلاً غير مستقر فانه يزول من كل شبهة .

ثم ان هذه الآية تكون منبهة لفرق المسلمين الثلاث والسبعين حيث انهم اهل الكتاب واهل دين . وان اثنين وسبعين فرقة منهم على غير الحق وأن الحق مع من تمسك بوصية النبي (ص) في قوله : « اني مخلف فيكم ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وعترتي اهل بيتي » فكل فرقة غير متمسكة بقول النبي (ص) اذا ارادت ارجاع فرقة أخرى الى ما هم عليه يكونون بفعلهم هذا قد اضلوا انفسهم وما يشعرون ، وان عليهم قبل كل شيء ان يحققوا لانفسهم التمسك بوصية النبي (ص) فانه أرشدهم الى طريق واحد وعليهم ان يسيروا فيه ولا يخرجوا منه يميناً وشمالاً والا فهو الضلال والاضلال .

قوله تعالى : « يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون) (١) .

ان هذا النداء من الله لاهل الكتاب انما هو حجة عليهم حيث

---

(١) سورة آل عمران : ٧٠ .

انهم يدّعون انهم يعملون بما فى كتبهم من التوراة والانجيل والله المنزل له قد أمر نبيهم وأمرهم في نفس الكتاب ان يصدقوا بالنبي الموصوف بالكتاب وان لا ينكروا صفته ولما بعث النبي كفروا بالآيات التي جاء بها وهم يرونها رأي العين ويشاهدونها وان الله ينكر عليهم فعلهم هذا ويفضحهم عند المسلمين ويحكم عليهم أنهم كفروا بآياته مع انهم يسمون انفسهم اهل كتاب فتكون الحجة اعظم ويستحقون بذلك العذاب من الله ، وفي نفس الآية انذار للمسلمين الذين يكفرون بآيات القرآن ويغيرونها ويعملون بخلافها وقد يسنون مواداً قانونية مخالفة للقرآن .

وقد وبخ الله اهل الكتاب وانكر عليهم بالآية التي بعد هذه الآية وفيها انذار للمسلمين وهي قوله تعالى : « يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون » .

ما اكثر هذا التلبيس في هذا العصر عند المسلمين ، فان اهل الاطماع الذين لا يعرفون إلا المادة ويأملون ان ينالوا شيئاً منها من الامراء الخونة يذكرون الآية النازلة في شأن المؤمنين الأبرار ثم يطبقونها على هذا الفاجر الخالي من الدين ويكتمون اعماله السيئة وظلمه للناس واغتصاب اموالهم وهم يعلمون بها فلا يقولون الحق اذا حضروا عنده أو سئلوا عنه . وبهذا شابهوا اهل الكتاب في تلبيس الحق بالباطل وكتمان الحق ، وان هذا الانكار من الله على اهل الكتاب وهذا التوبيخ وهذا الوعيد لم يؤثر فيهم شيئاً فلم يتركوا شيئاً من باطلهم ولم يقربوا من الحق بل عمدوا الى مكر آخر وحيلة جديدة ليخدعوا بها البسطاء من المسلمين ، وإن الله قد نبّه المسلمين وحذرهم حتى لا ينخدعوا فقال جل اسمه : « وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على

الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون » (١) .

(ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم » (٢) .

هـذه الآيات المنزلة على النبي (ص) بعضها تحكي نوايا اليهود التي أرادوا ان يفعلوهـا لكي يرجع المسلمون عن إسلامهم ، وان الله من لطفه ورأفته ورحمته بالمسلمين اخبرهم بما يكيده لهم اليهود فاذا اطلع المسلمون على المكر والخديعة بطل أثره فلا ينفع شيئاً ولا تحصل منه النتيجة المطلوبة بل ينعكس الأمر ويكون ضرر مكرهم عليهم .

وملخص هذا المكر الـذي اراده اليهود هو أنه اجتمع جمـاعة من احبـارهم واوعزوا الى جمـاعة منهم بان يظهروا الايمـــان بالنبي فى اول النهار ثم يعلنوا الكفر به في آخر النهار ويعللون هذا الكفر بأنهم اشتبهوا في تطبيق الأوصاف عليه وان ما وصف به النبي الامي فى كتابهم لا ينطبق على محمد بن عبد الله ، فاذا فعلوا ذلك يقول من آمن بالنبي ان اهل الكتاب اعرف بهذا الأمر منا فيرجعون عن إسلامهم ، ولكن الله قد فضح اليهود واعلن مكرهم للمسلمين فلم ينتفعوا به وعرف كل مسلم ان اليهود من اهل المكر والخداع وانهم اعداء للدين الاسلامي .

وقد نقل المفسرون اقوالاً أخر في تفسير الآية فهذه الآية الأولى هي حكاية عن حـال اليهود ، وامـا الآية الثانية وهي قوله : (ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم) فهي حكاية عن حال اليهود ايضا والمعنى

(١) سورة آل عمران : ٧٢ .

(٢) سورة آل عمران : ٧٣ ـ ٧٤ .

ان الطائفة اليهودية التي دبرت تلك الحيلة المنوه عنها بالآية السابقة وهي الايمان بالنبي في صلاة الصبح الى بيت المقدس والكفر به في صلاة الظهر الى الكعبة او الايمان مطلقاً في اول النهار والكفر في آخره ، وبعد تدبيرهم تلك الحيلة والعزم على اجرائها وامضائها جعل يوصي بعضهم بعضاً او يوصي الأحبار اتباعهم بهذه الوصية التي حكاها الله بقوله : ـ

(ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم) وقد اختلف المفسرون فى المقصود منها فقال بعضهم ان المعنى لا تصدقوا نبياً إلا أن يقرر شرائع التوراة ، اما من جاء بشيء مخالفاً لما في التوراة فلا تصدقوه وهذا هو مذهبهم ودينهم في ذلك العصر ، اما في هذا العصر فلو بعث الله لهم موسى بن عمران واراد ان يعمل على التوراة فانهم يقاوموه ويعارضوه ولا يوافقوه الا ان يحرف التوراة وينقص ويزيد ما يريدون .

وقال بعض المفسرين : ان المعنى لا تخبروا واحداً بهذا الأمر الذي تواطأتم عليه من الكيد والمكر لا من المسلمين ولا من غيرهم إلا أن يكون تابعاً لدينكم على كل حال سواء ظهر له الحق او لم يظهر واما قوله تعالى : (قل ان الهدى هدى الله) فهو من كلام الله يرد به على اليهود ويؤدب به المؤمنين ويعلمهم طريق الاهتداء ، اي ان الهدى الحقيقي الذي ينتفع به المرء فى الدنيا والآخرة انما هو هدى الله لا ما تعتبرونه انتم هدى ، فالمؤمنون قد اهتدوا بهدى الله وهم في غنى عما ترونه انتم هدى ، وانتم ان صدقتم النبي وآمنتم بـه أو كفرتم وكذبتم اظهرتم او اخفيتم كل ذلك على حد سواء بالنسبة الى المؤمنين ، فان الله ينزل القرآن على نبيه (ص) والنبي يتلوه على المؤمنين وهم يعملون بمضمونه ويتمسكون بـه ، واذا عملوا بمضمون القران

عرفوا ان اقوالكم كلها باطلة واعمالكم عاطلة فلا ينخدعون بأقوالكم ولا يضعف ايمانهم بافعالكم واما قوله تعالى : (ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم) فقد اختلفوا فيه هل أنه من تتمة كلام اهل الكتاب او أنه من رد الله عليهم ؟ فقال بعضهم انه من تتمة كلام اليهود والمعنى انكم لا تبدون تدبيركم الذي دبرتموه لمن لا تؤمنوه على اسراركم وذلك لئلا يكون عندهم من العلم بصفة النبي كما عندكم من ذلك فيعرفون صدقه وانتم تريدون خلاف ذلك او اذا صار عندهم من العلم والحكمة وانتم خالفتموهم في تصديق النبي فانهم يحاجوكم به عند الله ، وعلى هـــذا القول يكون قوله تعالى : (قل ان الهدى هدى الله) جملة معترضة بين كلامهم اي ان الله ابطل صدر كلامهم قبل ان يأتوا على آخره انتصاراً للمسلمين ودحضاً لحجتهم وهذا غاية في الاذلال والتحقير لأن القاعدة الجارية بين المتكلمين هي ان يترك المتكلم حتى يأتي على آخر كلامه ، ولكن اذا كان الكلام غاية في السخافة وكان مطلعه ظاهر البطلان يضرب المتكلم على فمه ولا يعطى مجالاً لاتمامه ، وانما ذكر الله بقيـة كلامهم حتى يظهر للناس بطلانه اولاً وآخراً .

وقال بعض المفسرين انه من جملة رد الله عليهم فيكون المعنى ان الهدى هدى الله وانما منعتم افشاء الأمر لغير اهل ملتكم حسداً منكم وخوفاً من ان يؤتى أحد مثل ما اوتيتم من الاطلاع على صدق النبي (ص) وانه هو الموعود به الذي يبعث ويكون خاتمة الانبياء فاذا عرفه جميع الناس وقع الاخبار بين محذورين اما ان يؤمنوا به فتبطل رئاستهم وتقدمهم بين اليهود ويكون حالهم حال احد المسلمين لهم مالهم وعليهم

ما عليهم ، واما ان يبقوا على ما هم عليه من التمسك باليهودية فيحاجوهم أي المسلمون عند ربهم . هذا ما فكر به اليهود من دوران الأمر بين هذين الامرين .

اما الامر الثالث فلم يفكروا فيه وهو ما فعله الله من اخبار المسلمين وفضح امرهم على رؤوس الاشهاد وانزال قرآن يقرأ الى يوم القيامة وان الله ونبي المسلمين وسائر المسلمين سوف يحاجوهم يوم الحساب وان الله سيعذبهم ويعاقبهم على هذه الاعمال التي عملوها مع المسلمين ، هذا كله لم يفكروا فيه لانهم بعيدون عن الله ولا يعرفون اولا يعترفون بشيء من امور الآخرة وانما يعرفون الدنيا وزينتها وزخرفها ويعرفون المادة لا غيرها .

هذا كله مما يتعلق باليهود ومكرهم وخداعهم وحيلتهم وليس هو من موضوع كتابنا وانما موضوع كتابنا صفات المؤمنين التي ذكرها الله في القرآن . وقد ذكر الله في ضمن هذه الآيات اموراً ثلاثة .

١ ـ قوله تعالى : (قل إن الهدى هدى الله) (١) فانه تعالى قد نفى كل شيء يسمونه الناس هدىً عن حقيقة الهدى إلا ما كان من عند الله ، فيلزم المؤمن ان تكون عقيدته مطابقة لهذا الذي قرره الله وان لا يسمي شيئاً هدىً إلا ما كان من عند الله بسبب متصل مقرر من الله بواسطة الملك الذي يحمل الوحي الى النبي ، والنبي بدوره بعد انقضاء مدته يسلمه الى من له قابلية هذا المنصب بأمر وتعيين من الله ولا يتمكن احد ان يجعل نفسه او غيره ممن بيده هداية الله فان الله لا يجعل قيماً عليها إلا من يرتضيه ويؤهله لها .

٢ ـ قوله تعالى : (قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله

---

(١) سورة آل عمران : ٧٣ .

واسع عليم) (١) .

لما قرر الأحبار من اليهود التكتم والتستر وعللوا ذلك بأن لا يكون عند احد من الناس ما عندهم من العلم والحكمة التي وجدوها فى التوراة من صفات النبي والحكمة التي سببت تحويل القبلة من بيت الى بيت رد الله عليهم بأن النبوة والخلافة العامة والحكمة والعلم ومعرفة الاسباب والمسببات هو كله فضل من الله وهو بيده يعطيه من يشاء فكما اعطاه الى بني اسرائيل وجعله عندهم مدة من الزمن اعطاه الآن الى النبي العربي من ذرية ابراهيم وسوف يبقيها في ذرية ابراهيم وان الله واسع في كل فضل ، عليم بالمصالح وبمن يكون اهلاً لفضله كما قال لابراهيم : « لا ينال عهدي الظالمين » .

٣ ـ الامر الثالث هو ما يؤكد به الامرين المتقدمين ويوضح المراد منهما وهو قوله تعالى : « يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم » (٢) ان اليهود كانوا يمنون انفسهم ان يستولوا على رئاسة الدين والدنيا جميعاً فكانوا يدعون دعوى غرور أنهم قتلوا عيسى وصلبوه وجعلوا يكيدون انواعاً من الكيد للقضاء على محمد حتى يمسكوا بزمام الحكم وقد حاولوا مراراً عديدة ان يقتلوا احد اجداد النبي هاشم او عبد المطلب او يقتلوا أباه عبد الله او يقتلوه هو شخصياً فما تمكنوا ، ثم حاولوا بعد البعثة وبعد نزول الوحي عليه ان يخدعوا الناس ليرتدوا عن الاسلام فاعلن الله مكرهم وكيدهم للانام ثم عرفهم وعرف المسلمين الذين اعتنقوا الاسلام وعرف عموم البشر بالآيتين اللتين تقدمتا : « قل ان الهدى هدى الله » و « قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء

---

(١) سورة آل عمران : ٧٣ .

(٢) سورة البقرة : ١٠٥ .

والله واسع عليم » ان الهدى إنما يحصل بارادته واشاءته ولا يمكن ان يتحقق هدىً إلا من عنده وان الفضل وهو النبوة والرئاسة الدينية والملك وهو السيطرة التي تعامل الناس بالعدل انما هو بيد الله يعطيه من يشاء ويصرفه عمن يشاء . وبعد الآيتين عرف الجميع ان أمر النبوة والملك أي الرئاسة العادلة يختص بها الله من يشاء فقال : « يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم » . فقد عرفنا من هذه الجمل الثلاث ان امر النبوة والرياسة العادلة العامة بيد الله تعالى : اما اليهود فلا يرجعون عن غيهم ولا يعدلون عن تمنياتهم ولا يقطعون آمالهم وهم الى اليوم والى ما بعد اليوم والى اليوم الذي يكونون فيه اذل من قوم سبأ وان كانوا فى يومهم هذا كذلك فانهم على أملهم الكاذب يأملون ما لا يكون . ان اليهود مع ما نزل فيهم من الذم الكثير في القرآن وبيان ماهم فيه من الصفات الرذيلة فانهم يطمحون ان يستعمروا العالم باسره وان يستعبدوا الناس جميعاً بالمكر والخداع والحيل ولكن الله تعالى قد بين للمسلمين كل ما هموا به من فعل فتحذر المسلمون منهم .

أما الطرف الآخر المقابل لهم وهم النصارى فانهم مع علمهم بعداوة اليهود لهم وانهم لو تمكنوا من ازالتهم عن وجه الأرض لازالوهم . وان الله قد ذكر في القرآن انه وعد المسيح ان يجعل من اتبعه فوق الذين كفروا به وهم اليهود الى يوم القيامة ومع هذا كله فان اليهود قد خدعوا النصارى حتى ساعدوهم على مقاومة المسلمين فاغتصبوا ارض المسلمين واسكنوهم فيها وجعلوا يمدونهم بالمال والسلاح ثم خدعوهم خديعة كبرى لا ينخدع بها مجنون او معتوه او طفل صغير او امرأة ضعيفة معدمة يملأون لها بيتاً من تبر ، ألا وهذه الخديعة كانت بالنسبة الى اعقل طبقاتهم وهم الاساقفة والآباء خدعوهم بالاصفر

اللماع بل بالقراطيس المطبوعة حتى برؤوهم عن دم المسيح وهم ينادون ويعلنون مدة عشرين قرناً باننا قتلنا المسيح ، وبعد هذه المدة يأتي رجال مسيحيون فيبرؤن اليهود من دمه .

يقول الطنطاوي فى تفسيره الجواهر ج ٢ طبعة ثانية ص ١٣٦ « لقد ذكر احد علماء الافرنج انه قرأ في التلمود وهو شرح التوراة ما يأتي : وهو قول اليهود : « نحن شعب الله في الارض وقد اوجب ان تفرقنا في الارض لمنفعتنا ذلك انه لاجل رحمتنا ورضاه عنا سخر لنا الحيوان الانساني وهم كل الامم والاجناس سخرهم لنا لانه تعالى يعلم اننا نحتاج الى نوعين من الحيوان نوع اخرس كالدواب والانعام والطير ونوع ناطق كالمسيحيين والمسلمين والبوذيين وسائر الامم من اهل الشرق والغرب ، فسخرهم لنا ليكونوا مسخرين لخدمتنا فلذلك فرقنا في الارض لنمتطي ظهورهم ونمسك بعنانهم ونستخرج فنونهم ونسخرهم لمنافعنا أجمعين ، لذلك يجب علينا ان نزوج بناتنا الجميلات للملوك والوزراء والعظماء وان ندخل ابناءنا فى الديانات المختلفات وان تكون لنا الكلمة العليا في الدول واعمالها فنفتنهم ونوقعهم في الحرب وندخل عليهم الرعب والخوف ، وفي ذلك كله نحن نستفيد الاستفادة كلها .

واليهود هم الذين اذاعوا فى المانيا انه لا رحمة على ضعيف حتى وقف غيلوم ملك الالمان وقال ويل للمغلوب ، كل ذلك فعل اليهود وهم الذين قاموا يسترجعون فلسطين بعد ضياعها من ايديهم نحو الفي سنة لقد اخبرني احدهم قائلاً ان لهم جمعية دائمة ترسل في كل عام جماعة تجوس الاقطار وتبحث في الامصار عن اليهود القاطنين فى الاماكن المختلفة وتحصي ما يحتاجون اليه من المعونة وترجع فترسل لهم ما اليه يحتاجون . فهذه بعض خصال اليهود الدالة على محافظتهم على قوميتهم

التي تغالوا الى الاضرار بالامم .

واما غيرهم من انواع البشر فمنهم من ينكر الخالق فيعمل له صنماً من حجر أو من غيره فيعبده ، ومنهم من ينكر النبي فيعمل له صنماً ويقول (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) فيتخذ الصنم واسطة ويجعله في مقام النبي ، فهل ترى من فرق بين هذين الصنفين فانا ارجو من اخي المسلم الذي يتطلب الرشد ان يجعل هذه الجمل الثلاث نصب عينيه . « قل إن الهدى هدى الله » « قل إن الفضل بيد الله » ، « يختص برحمته من يشاء » .

ولا يخفى ان المراد بالفضل وبالرحمة هو النبوة والرئاسة العادلة العامة . فلو ان الخلق كلهم اجتمعوا واخذوا بيد رجل عاقل كامل وقالوا كلهم بكلمة واحدة : « انت نبي الله انت رسول الله (ص) فهل يكون ذلك الرجل نبياً ورسولاً ؟ ولو انهم كلهم اجتمعوا واخذوا بيد رجل وقالوا له : «انت امام مفترض الطاعة من ذرية ابراهيم فهل يمكن ان يكون اماماً بعد رسول الله ومن ذرية ابراهيم مالم يجعله الله ورسوله بهذه المنزلة فتدبر جيداً ايها المسلم وفكر بالجمل الثلاث حتى تصل الى الصواب وتسلم يوم الحساب من العقاب .

قوله تعالى :

« ومن اهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده اليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون (١) .

المراد من أهل الكتاب هم النصارى واليهود ، والقنطار هو المال

---

(١) سورة آل عمران آية : ٧٥ .

الكثير . وقد اختلفوا في مقداره ، والدينار معروف معين وان الله قد مدح المرء الذي يودع عنده مال كثير فيؤديه الى صاحبه متى أراد ، وذم الشخص الذي يخون الامانة ويطمع حتى بالقليل من المال وذلك بخساسة نفسه .

وقد قال بعض المفسرين : « ان الذين يردون الامانة لأهلها هم النصارى وان كانت كثيرة ، والذين يخونونها هم اليهود وهذا القول هو الاقرب لان اليهودي اذا صار في يده مال لغير يهودي وامكنه اكله لا يرده أبداً والمقصود من الآية هو ذم اليهود من جهتين .

الجهة الاولى انهم يخونون الامانة وان كانت قليلة جداً بحيث لا يطمع فيها إلا الفقير المعدم الرذيل الذي لا يستحي مما قيل فيه فهذا لا يرد هذا المقدار الزهيد إلا أن تبقى ملازماً له ملحاً عليه كالذي يقف على رأس انسان فلا يدعه ان يقوم او ينام او يأكل ويشرب فيضطر الى دفعه له .

والخيانة صفة مذمومة عند جميع الناس وجميع الفرق سواء أكانوا اهل دين أو لا .

الجهة الثانية من ذم اليهود انهم يسندون هذه الخيانة واكل مال الناس الى مسوغ ديني كما حكاه الله عنهم بقوله : « ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل » ، فتارة يقولون إن الاموال التي أصبناها من العرب لا ينبغي لنا ردها لانهم مشركون . هذا بالنسبة الى من لم يسلم ، ويقولون تارة اخرى بالنسبة الى من اسلم : « انا حين عاملناهم كانوا على دين وقد تحولوا عنه الى دين آخر » وقال بعضهم : « انا حين عاملناهم كانوا على ديننا ثم خرجوا من الدين فصاروا كفاراً فلا حق لهم في رد مالهم وادعوا ان كل هذه التعليلات في كتبهم ومقتضى دينهم

وحيث ان الدين قليله وكثيره لا يكون إلا من عند الله . فقد نسبوا هذه العلة الباطلة الى الله كذباً وزوراً وهو ما ذكره بقوله : (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) . ان هذا الامر غير موجود في كتبهم وليس هو من الدين .

قوله تعالى :

« ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم » (١) .

لما ذكر الله فى الآية السابقة انه يحب العبد اذا وفى بعهده وكان من المتقين ذكر فى هذه الآية الوعيد الشديد لمن لم يف بعهده سواء أكان العهد مع الله بواسطة الرسول او كان العهد مع الناس ، فان الحكم فى الآية عام يشمل جميع العهود وجميع الناس وان نزلت الآية في شأن اليهود او في قضية اخرى شخصية كما يروى انها نزلت فى الاشعث ابن قيس او فى عبدان وامرىء القيس او فى رجل آخر حلف يميناً فاجرة في انفاق سلعته ، فالوعيد المذكور في الآية شامل لكل انسان عاهد عهداً ثم نكثه ولم يف به ، او حلف يميناً كاذباً على خلاف الحق .

اما ما كان من أمر اليهود فان جميع اقوالهم واعمالهم باطلة مبنية على الكذب والخداع ، وان الله هو الذي تولى فضيحتهم وبين فى القرآن بعض مساوئهم ليحذرهم الناس ويتخلصوا من شرهم . ولكن الذي يهمنا أمر المسلمين فان الانسان اذا صدق النبي واعتقد انه مبعوث من الله وان القرآن منزل عليه لا ينبغي له ان يخالف حكماً من أحكام القرآن سيما اذا كان الحكم مشتملاً على الوعيد كما نحن فيه ، فان الله

(١) سورة آل عمران : ٧٧ .

قد اعد لناكث العهد من العذاب مالا يتهاون به إلا المنكر للخالق فاسمع لما تعده الآية من انواع الهوان والأبعاد إذ يقول: ١ - (أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ٢ - ولا يكلمهم الله ٣ - ولا ينظر اليهم يوم القيامة ٤ - ولا يزكيهم ٥ - ولهم عذاب اليم) فهل هناك بشر يتحمل هذه الأنواع من العذاب .

ولا يخفى عليك ايها المسلم انك اذا قلت : « اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله » فان معنى هذه الشهادة وهذا الاعتراف هو عهد وميثاق والتزام منك الى الله ورسوله بأنك تمتثل جميع الأوامر والنواهي الواردة في القرآن ولا تخالف منها شيئاً ، فاذا انت خالفت بعض الاحكام كترك بعض الواجبات او ارتكاب بعض المحرمات فانك قد نقضت العهد ولزمك العذاب من المواد المتقدم ذكرها . هذا بالنسبة الى عموم الأحكام التي يشملها مجرد الدخول فى الاسلام . اما اذا كانت هناك قضية مهمة بالنسبة الى الدين الاسلامي واخذ النبي (ص) من امته عهداً خاصاً فيها فبهذه يتأكد العقاب بالنسبة الى من ينقضها وينكثها . فالبيعة التي تعقد بين اثنين هي عهد وثيق فأما ان تكون بيعة حق وهدى خالصة لله فهي لازمة يجب الوفاء بها ، واما ان تكون بيعة ضلال يراد بها ظلم الناس ونهب اموالهم وهتك اعراضهم وهتك حرمات الله فهي باطلة محرمة من أصلها ، ويجب فسخها والتبري ممن بايعه .

واما بيعة الحق فنكثها من اشد المحرمات وهي التي تكون بامر الله ورسوله « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه » (١) فالبيعة التي تكون للنبي والتي تكون

(١) سورة الفتح : ١٠ .

بأمر النبي يكون نكثها او نقضها من اعظم المحرمات والناكث لها يستحق العقاب بالمواد الخمس التي تقدم ذكرها ولعل العقاب يكون باكثر من ذلك ولقد طلب النبي (ص) بيعة في ابتداء أمره وبيعة فى انتهاء أمره وأكد فيهما كثيراً ومتعلق البيعتين أي أحد الطرفين فى كل من البيعتين كان امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، والطرف الثاني في البيعة الأولى كان النبي (ص) وفى البيعة الثانية كان الطرف الثاني أمة النبي (ص) .

اما البيعة الأولى فقد كانت لما نزل قوله تعالى « وانذر عشيرتك الاقربين » فقد جمع النبي (ص) أقرباءه وصنع لهم طعاماً واشبعهم وارواهم بمعجزة منه ، ثم طلب ان يؤازره احدهم على قيامه بالتبليغ ليكون وصيه وخليفته من بعده . فلم يجبه أحد إلا علي بن ابي طالب (ع) فكرر عليهم ثلاثة أيام فلم يجبه غيره وبايعه على ذلك فكانت البيعة من علي (ع) لرسول الله (ص) وقد وفى بها وقام بها احسن قيام .

وأما البيعة الثانية فهي لما عزم النبي (ص) على حجة الوداع أمر مناديه ان ينادي فى المدينة وفي أطرافها بالحج وحثهم على الحج في تلك السنة فحج مائة وعشرون الفاً من الناس وقيل اكثر من ذلك . فلما قضى حجه ورجع جمع الناس على ماء يسمى « غدير خم » وأعلمهم ان الله أمره كما هو صريح الآية .

« وان الذين جاؤا من بعد تلك الطبقة فنكثوا فانما اثمهم على اولئك الذين كانوا حضوراً ولم يفوا بالبيعة » .

واما بالنسبة الى الايمان الكاذبة فان اغلب الناس قد ارتكبوه في البيع والشراء . ولا يخفى على التجار والكسبة إن الذي يحلف كاذباً انما يستحق العذاب المذكور بانواعه الخمسة . فاذا اراد الخلاص من العذاب فليتب الى الله وليكفر عن ايمانه ويقلع عن اليمين ولا يقدم

عليه بعد ذلك ، فقد روي عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله (ص) يقول : « من حلف على يمين كاذبة ليقطع بها مال أخيه المسلم لقي الله تعالى وهو عليه غضبان » وتلا هذه الآية والروايات بهذا المضمون كثيرة . وليعلم الناكث للعهد والحالف يميناً كاذباً انه مهما حصل عليه من مال الدنيا فانه قليل في مقابل ما اعد الله لاهل الوفاء بالعهد والتارك لليمين تعظيماً لاسماء الله تعالى وأنه زائل عن قليل وان عاقبته العذاب الدائم الذي ليس له انقطاع .

قوله تعالى :

« واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جائكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلك اصري قالوا : اقررنا . قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين » (١) .

ان هذا الميثاق الذي اخذه الله أما ان يكون على النبيين انفسهم او على اممهم او عليهم وعلى اممهم وليس بعد ذلك احتمال آخر ، فاذا كان الميثاق على الأمم وحدها او عليها وعلى الانبياء فذلك أمر عام واذا كان على الانبياء كانت الامم اولى به منهم إذ الانبياء معصومون من الخطأ ولا يتعدون الصواب ، فانهم لا يحتاجون الى ميثاق بخلاف الأمم . وعلى جميع الوجوه يكون الميثاق على امم الأنبياء ، ولا ريب بشمول الحكم لجميع الانبياء ولجميع الأمم من آدم الى عيسى الذي جاء من بعده محمد (ص) فالله تعالى يقول لأهل الكتاب الذين لم يصدقوا بالنبي (ص) ولم يؤمنوا به كيف لا تؤمنون وقد اخذ الله الميثاق عليكم بواسطة انبيائكم الذين آتيناهم كتاباً مشتملاً على كثير من الأمور

(١) سورة آل عمران : ٨١ .

ككتاب موسى الذي فيه تفصيل كل شيء وكانجيل عيسى الذي علمه فيه احياء الموتى وابراء الاكمه والأبرص واتاهم مع هذه الكتب حكمة يتمكنون معها من جعل كل شيء في محله وانزاله منزلته لا يخطئون ولا يزلون : اما الميثاق المأخوذ على الانبياء وعلى الأمم هو انه اذا جاء رسول من الله عنده جميع مافي كتب الانبياء من العلم وعنده جميع انواع الحكمة التي عند الانبياء يلزم على الانبياء وعلى الامم ان يؤمنوا بهذا الرسول (ص) وان ينصروه والظاهر من الآية الشريفة ان المقصود منها هو هذا الذي ذكر لأن الانسان اما ان يصدق بانسان آخر فينبغي أن يقول مصدق بكم وليس المقصود التصديق بالأنبياء وان تحقق ذلك وإلا لقال مصدق لكم ، وأما ان يكون مصدقاً بصفاته وعلومه فيقال نصدق بما عنده ولكان ان يقال مصدق بما معكم ، واما التصديق للصفات أي للكتاب والحكمة فمعناه أنه حاوٍ لهما ومحقق لهما في نفسه وصدره فهو مصداق لما معكم من كتاب وحكمة فعلم من هذا التعبير وهو قوله : « مصدق لما معكم » أنه اذا جاء رسول عنده جميع ما كان عند الأنبياء من كتاب وحكمة لزم جميع الأنبياء والأمم التصديق والايمان بنبوته ونصرته على المشركين الذين ليسوا بأهل كتاب .

وقد عكس اهل الكتاب الامر وخالفوا الميثاق ونكثوا العهد حيث إن المشركين قد آمنوا بالنبي (ص) واهل الكتاب يريدون ان يضلوهم عن دينهم وجاؤا بالمكر الأخير وهو ماذكره الله بقوله « آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون » فهذه الآية الشريفة كما اخبرتنا ان محمد بن عبد الله (ص) وهو رسول مبعوث من الله وان معجزته القرآن عرفتنا أيضاً ان عنده علوم جميع الأنبياء وحكمتهم وان جميع الأنبياء اقروا لذلك واخذوا الميثاق على

أممهم والله شهيد على ذلك . هذا بالنسبة الى اهل الكتاب ، وان حجج الله في القرآن كثيرة على اهل الكتاب ولكنهم لا تنفع فيهم معجزة . اما بالنسبة الى المسلمين فنقول . « ان هذا الرسول (ص) الذي اوصى الله به جميع الأنبياء واممهم واخذ عليهم الميثاق ان يؤمنوا به وينصروه واعطاه علوم جميع الأنبياء وحكمتهم وجعله خاتم الانبياء وجعل حلاله وحرامه حلالاً وحراماً الى يوم القيامة وأراد أن يكون كتابه معمولاً به الى يوم القيامة ، وانه قد بقي في الدنيا بعد بعثته ثلاثاً وعشرين سنة منها ثلاث عشرة سنة في مكة مشغولاً بأذايا قريش وقد أمر أصحابه بالفرار منها الى الحبشة ثم هاجر الى المدينة وبقى بها عشر سنين مشغولاً بالحروب والغزوات .

ثم ان امة محمد (ص) هي أمة من الامم بل هي افضل الامم واشرفها فالميثاق من الله يلزمها بل هي اولى به من غيرها فهي ملزمة بالايمان به وبنصرته وتطبيق أحكامه وانه يلزم على كل فرد من الامة رجلاً كان او امرأة ان يؤمن به ويعتقد بأن الاحكام التي جاء بها هي من عند الله لا تبديل لها ولا تغيير ويلزمه ان ينصره ولا يخذله والخذلان بان يجعل ما اوجبه من الامور غير واجب فيترك الصلاة والصوم والحج والزكاة ، وجعل ما حرمه من الامور جائزاً فيستحل المحرمات من شرب الخمر واكل الربا واللعب بالميسر وأخذ الرشا وامثال ذلك من المحرمات فتشمله الآية ٨٢ وهي قوله تعالى : « فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون » المقصود من التولي المخالفة وعدم الاطاعة . والمخالفة تارة تكون بعدم الايمان بالله وتصديق النبي ، ومرة تكون بعصيان أوامر النبي (ص) كلها او اكثرها او بشيء قليل منها وان التوبة يقبلها الله من جميع الاصناف فمن اراد ان يتدارك نفسه قبل الموت تمكن من

ذلك فلا يقصر عنها ولا يهملها .

قوله تعالى :

« أفغير دين الله يبغون وله اسلم من في السماوات والارض طوعاً وكرهاً واليه يرجعون » (١) .

بعد ما بين الله في الآية السابقة انه اخذ ميثاق الانبياء والامم في الايمان بالرسول المتأخر وان الرسول (ص) قد جاء وقد انزل الله عليه كتاباً وشرع له ديناً فمعناه ان جميع الانبياء متفقة على ان دين هذا الرسول هو دين الله ودين الحق فماذا تريدون بعد هذا إذ الممتنع من قبوله لا يريد دين الله والذي لا يريد دين الله ليس مراده إلا الضلال وكل من يريد الدين فقد اسلم لله الذي اسلم له من في السماوات والارض إما طوعاً وهو من يقتنع بالحجج والبراهين او كرهاً اي مكرهين بالسيف او معاينة ما يلجىء الى الاسلام كنتق الجبل على بني اسرائيل وادراك الغرق كما اتفق لفرعون اما قوله تعالى : « واليه ترجعون » .

فهو البشارة للمؤمن والوعيد للكافر والمنافق والفاسق أي ان جميع من في السماوات والارض من اسلم منهم ومن لم يسلم يكون مرجعهم الى الله بعد الموت وعند الحساب وكل انسان يجازى بعمله .

قوله تعالى :

« قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم » (٢) .

فان الله أمر رسوله أن يعلن للملأ أنه هو والذين آمنوا معه

---

(١) سورة آل عمران : ٨٣ .

(٢) سورة آل عمران : ٨٤ .

يؤمنون بالله وبما انزل عليه من الله وما انزل على بقية الانبياء من آدم ومن بعده ، فهو عالم بكل ما انزل على الانبياء كعلمه بما انزل عليه . ويعلم من هذه الآية ان الذي يؤمن بمحمد (ص) يلزمه ان يؤمن بما انزل عليه . ومعنى الايمان العمل بما فيه من الاحكام الشرعية التي تضمنها الكتاب والسنة وهذا لا يمكن لجميع أفراد الامة مالم يكن للنبي خليفة يعلم بجميع ما في الكتاب من حلال وحرام وناسخ ومنسوخ وكل جزئية وكلية ، ولا يمكن احالة الامة على الكتاب وحده ، فانه لا يكفي لقطع التخاصم وفصل الدعاوي وارشاد الضال وتعليم الجاهل فالامامة العامة لابد منها وبدونها ينتقص أمر النبوة فلا يقول بها إلا من لا يلاحظ العواقب ولا يهمه أمر الدين ، ثم بعد الاعتراف بالايمان بالله وشرائعه وكتبه ورسله كما امر الله رسوله بهذا الاعتراف : أمره فى النهاية ان يقول عنه وعن امته « ونحن له مسلمون » أمرهم بالانقياد والخضوع والتسليم لله وفى جميع الامور كما مر عليك في تفسيره فى قوله أسلمت وجهي فلا تغفل ولا يذهب عنك معنى الايمان والاسلام فانه ليس مجرد التلفظ باللسان بل هو مع التلفظ اعتقاد بالجنان وعمل بالاركان : فكن مسلماً كما يريد الله وكما علمك النبي (ص) واهل بيته الاطهار .

قوله تعالى :

« ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » (١) .

بعد ما امر الله في الآية السابقة النبي وأمته بالايمان بالله وبما انزل عليه وما انزل على جميع النبيين وعدم التفرقة بينهم بيّن في هذه

(١) سورة آل عمران : ٨٥ .

بين في هـذه الآية ان الدين الذي عينه الله في هـذا العصر هو الدين الذي بعث به محمد (ص) وهو المقبول عند الله ولا يقبل الله غيره وهو دين الاسلام ، ولو لم تكن هذه الآية لكأني باليهود يقولون إذا لم يكن فرق عند الله بين النبيين كما قال : « لا نفرق بين أحد منهم » فنحن نتبع دين موسى ونعمل بشريعته . فقد قطعت السنتهم بهذه الآية ولم يبق لكلامهم مجال .

قوله تعالى :

« لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم » (١) بين الله في هذه الآية صفة من صفات المؤمنين وهي صفة السخاء والكرم صفة انفاق المال في سبيله وامتثال أمره وقد تقدم ذكر عدة آيات في سورة البقرة كلها في انفاق المـال وفي ذكر بعض شروطه التي تجعله مقبولاً عند الله ، واما هذه الآية فقد علق نوال البر على انفاق ما يحبه العبد اي لن تبلغوا كمال البر او لن تكونوا ابراراً او لن تدركوا برالله وثوابه حتى تنفقوا مما تحبون .

ان الـذي يحبُّهُ الانسان قبل كل شيء هو النفس التي ليس له غيرها ، ثم المال ويرجع حبُّهُ إلى حب النفس وكذلك الاولاد والنساء والجاه والسلطة وغيرها ، فان حب الكل يرجع الى حب النفس وكذا حب ما امر الله بحبه فان المرء اذا أحب حباً خـالصاً لله فانمـا هو لحب نفسه .

نعم ان بعض الأمور يحبهـا المرء لنفع نفسه في الدنيـا وبعضها يحبها لنفع نفسه في الآخرة وكل شيء يحبه المرء انما هو لاجل نفسه ولما ذكر الله في الآية السابقة ان بعض النـاس يكفرون ويموتون على

---

(١) سورة آل عمران : ٩٢ .

كفرهم لا يرجعون الى الله ، وهذا النوع من الناس لو أراد ان يخلص نفسه التي هي احب الاشياء لديه بل ليس هناك محبوب سواها كما ذكرنا فلو فرض انه تمكن من ذهب يملأ الارض وقدّم هذا الذهب ليفتدي به نفسه لا يقبل منه ولا يمكنه ان يخلص نفسه ، وقد ذكر في هذه الآية ان هذه النفس المحبوبة الوحيدة يتمكن الانسان ان يضمن بها النجاة بحيث يكون هو من الابرار او يفوز ببر الله ورحمته بشيء يعمله في دار الدنيا وهو ان ينفق مما يحبه لا كل ما يحب فاذا انفق ذلك حضى بتلك الدرجة ولا يحتاج الى فداء في الآخرة إذ انه قدم الفداء في الدنيا .

ولايخفى ان من يعمل هذا العمل انما هو من المؤمنين لا من الكافرين ولا يموت على الكفر ، ثم بين لنا ان كل شيء ننفقه في سبيل الله سواء أكان مما نحبه او من غيره ، فان الله به عليم ، وسواء أكان نفساً او مالاً او جاهاً اوعلماً او غيرها من الأمور فان كل شيء ينفقه الانسان يوصله الى درجة من درجات البر جعلنا الله واياكم من الابرار .

قوله تعالى :

« إن اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » (١) .

إن في هذه الآية بيان فريضة من فرائض الاسلام وواجب من واجبات المسلمين الضرورية التي من انكرها صار كافراً ولكن اول الآية انما هو رد على اليهود وانتصار للمسلمين وكم في القرآن من الرد على اليهود ولكن اليهود كالشيطان فانه مشغول بعمله مهما بين الله للناس

(١) سورة آل عمران : ٩٦ ـ ٩٧ .

كفره وطرده ولعنـه فهو لا يبالي بجميع ذلك ويحسب ان اكبر غنيمة يحصل عليها ان يخدع احداً من الناس فيدخله في معصية الله ، واليهود كذلك فان الله قد انزل في القرآن من الآيات في بيان كفرهم ومكرهم وخدعهم وحيلهم اكثر مما انزل في الشيطان وهم لا يبالون بذلك وهم دائبون فى عملهم من المكر والخداع والحيل . فان مسخهم قردة وخنازير لم يؤثر بهم فكيف يؤثر بهم الكلام . وانا لم نأسف من افعالهم الشائنة الخبيثة فانهم جرثومة فساد لا يمكن التخلص منهم إلا بمحو وجودهم من على وجه الارض بحيث لايبقى منهم شخص واحد وكيف يمكن ذلك وقد طلب ابليس ان ينظره الله وذريته الى يوم الوقت المعلوم وهم لا ريب من جملة ذريته لقوله تعالى : « وشاركهم فى الاموال والاولاد » ولكن الاسف كل الاسف من الامم الذين هم على وجه الارض من مسلمين ومسيحيين كيف لا يتفقون معاً ويزيلون هـذه البذرة الخبيثة الضـارة المفسدة من على وجه الارض ، فما أدري هل ان حكومات العالم تقرأ ما يكتبه المفسرون للقرآن من تفسير الآيات النـازلة فى ذمهم ، واظن انها لا تقرأ شيئاً من ذلك ، ولو انهم قرأوا شيئاً من التفسير لسارعوا الى محوهم وازالتهم . اما المسلمون فيكفيهم ما فى القرآن من الآيات الذامة لليهود التي لم تجعل لاحدٍ من البشر ثقة في اقوالهم ولا فى دينهم ولا في أعمالهم ، ولو حلفوا لك ايها المسلم الاف الايمان فـلا تصدق قولهم ولا تثق بعهدهم ولا تقرب اليهم ولا تخلو باحدهم فان النبي (ص) قال : « ما خلا يهودي بمسلم الا وحدثته نفسه بقتله » .

واما المسيحيون فانهم وان لم يؤمنوا بالنبي محمـد (ص) ولكن يعتبرون القرآن كتاباً مقدساً فليعتبروا بما فيه من ذم اليهود وان لم يعتبروا بذلك فانهم ـ اي اليهود ـ قد قتلوا نبيهم المسيح كما يعتقد ذلك

اليهود والنصارى جميعاً . فان قيل او قال احد الفريقين ان القرآن نفى ذلك فليصدقوا ببقية آيات القرآن . نعم إن القرآن ذكر خلاصه من الصلب والقتل بارادة إلهية لم يطلع عليها اليهود ولا النصـــارى حيث القى شبهه على رجل آخر ورفعه الى السماء ولم ينكشف هذا الأمر إلى أن نزل القرآن . فهو اي المسيح (ع) باعتقاد الفريقين مقتول ومصلوب بايدي اليهود ، والآن وبعد عشرين قرناً خدع اليهود المسيحيين فصـدروا حكماً ببراءة اليهود من دم المسيح ، تعست هـذه العقول التي اصدرت هذا الحكم ، فان اليهود لو لم يروا المسيحيين عبيداً لهم ينفذون أوامرهم وتمكنوا من صلبهم اجمعين بصورة مستعجلة لقضوا عليهم بساعة واحدة ، وقد خدع اليهود الأمريكان والانكليز فاصبحوا يمدونهم بالمال والسلاح ليقوهم على الدول الاسلامية ولو كان عندهم شيء من التفكير والعقل السليم لعلموا ان الحكومات الاسلامية انفع لهم من اليهود ، ومهما يكتب الانسان فى مثالب اليهود فلا يمكنه ان يستوفي معشار ما فيهم . وعلى كل حال فان اليهود قد افتخروا على المسلمين فقالوا : « إن بيت المقـدس افضل وأعظم من الكعبـة لانه مهاجر الانبياء والارض المقدسة فردّ الله عليهم في هذه الآية وبيّن ان الكعبة هي الأفضل والاقدم بل هي اول بيتٍ للعبادة وليس قبله بيت بهذه الصفة ، وقد جعله الله مباركاً اي كثير الخير لمن حج واعتمر ، ثم قال (وهدىً للعالمين) لانه متعبدهم وقبلتهم . ثم قال (فيه آيات بينات) كاهلاك اصحاب الفيل وغيرهم ومحافظة السباع للصيد في حرمه وعدم التعرض له ، وان الطير لا تعلوه وان فيه مقام ابراهيم حيث فيه اثر قدمه فى الحجر وعرضهـا الى الكعبين وحفظه من الاعـداء وابقائه دون سائر آيات الانبياء .

سئل الصادق (ع) ما هذه الآيات البينات قال : مقام ابراهيم حيث قام على الحجر فاثرت فيه قدماه ، والحجر الاسود ومنزل اسماعيل ومنها قوله : (ومن دخله كان آمناً) اي من الايـات مقام ابراهيم وأمن من دخله .

وروي عن الصادق (ع) قال : (من بايع قائمنا ودخل معه ومسح على يده ودخل في عقدة اصحابه كان آمناً) ، وعن الصادق (ع) قال : (من دخله وهو عارف بحقه كما هو عارف خرج من ذنوبه وكفي هم الدنيا والآخرة) ، وعن الامام الباقر (ع) قال : (من دخله عارفاً بجميع ما أوجبه الله كان آمناً فى الآخرة من العذاب الدائم) ، وعنه (ع) قال : (من دخل الحرم من الناس مستجيراً به فهو آمن من سخط الله ، ومن دخله من الوحش والطير كان آمناً أن يهاج أو يؤذى) ، وعنه (ع) قال : اذا أحدث العبد في غير الحرم جناية ثم فر الى الحرم لم يسع لاحد ان يأخذه من الحرم ولكن يمنع من السوق ولا يبايع ولا يطعم ولا يسقى ولا يكلم فانه اذا فعل ذلك يوشك ان يخرج فيؤخذ ، واذا جنى في الحرم جناية اقيم عليه الحد فى الحرم لأنه لم ير للحرم حرمة ، ثم بعد ما ذكر الله تعالى هذه الايات البينات كلها وعدم تأثر اليهود بشيء منها وبقاؤهم مصرين على عنادهم مظهرين العداوة للمسلمين ولنبيهم ولدينهم اظهر الله شرف هذا البيت وبين عظمته بنوع آخر من التعظيم ووجه هذا البيان لعامة الناس ولم يخص به المؤمنين وانما دعا الناس الى الايمان بطريق الدعوة الى هذا البيت فقال : « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين » (١) .

---

(١) آل عمران آية ٩٧ .

لا يخفى ان المقصود من الناس هم البشر ابناء آدم فلا يدخل في هذا البيان الملائكة ولا الجن ويخص من الحيوان الذين خصوا بالعقل والفهم وخرجت سائر الحيوانات فمن كان يعد نفسه من الناس تشمله هذه الدعوة ، اذا كان يؤمن بالله. أما اليهود فانهم لا ينفع معهم شيء وكل شيء يخص الدين والايمان والنبوة والموت والبعث والآخرة اذا لم يكن فيه شيء من الماديات فانهم ينكرونها ولا يعترفون بها . واما النصارى فانهم حكموا بكفر اليهود لإنهم لا يصدقون بعيسى مع ماجاء به من المعجزات فلماذا لم يصدقوهم - اي النصارى - بمحمد (ص) وبما جاء به من المعجزات وبعد ذلك اصطلحوا مع اليهود ووافقوهم وحكموا ببراءتهم من دم المسيح فسوف يغضب عليهم المسيح ، فاذا جاؤا يوم القيامة طردهم موسى وعيسى ومحمد (ص) وبقوا بلا شفيع ، كما ان اليهود سوف يطردون اذا لم يعملوا بشريعة احد من هؤلاء الثلاثة وقد دعا الله الناس الى هذا البيت الذي نسبه إلى نفسه دعوة عامة اذا استطاع الرواح اليه . والاستطاعة تحصل اولاً بالبلوغ والعقل وسلامة البدن من العاهات بحيث يقدر على الحركة ثم بتخلية السبيل والتمكن من المال ، فاذا وجد الانسان هذه الامور وكان مؤمناً بالله يلزمه مايلزم الناس من حج البيت ، وان قال احد إن الدعوة لم تشمله فهو اما معدوم الايمان او مسلوب الانسانية ، وان ادعى انه من الناس ولم يحج فهو من اخس الاقسام حيث عبرالله عنه بقوله : « ومن كفر فان الله غني عن العالمين » .

قال بعض المفسرين في معنى الاية من جحد فرض الحج ولم يره واجباً فهو كافر . قال السيد عبد الله شبر في تفسيره الدر الثمين عند قوله : « ومن كفر فان الله غني عن العالمين » اكد تعالى أمر الحج بايجابه

بصيغة الخبر والجملة الاسمية وايراده على وجه يفيد أنه حق لله في رقاب الناس وتخصيص الحكم بعد تعميمه وهو تكرير للمراد وبيان بعد ابهام وتغليظ تركه بتسميته كفراً كما سمي تاركه في الحديث يهودياً او نصرانياً وذكر الاستغناء الدال على المقت والسخط وابدل عنه بـ « عن العالمين » الدال على الاستغناء عنه بالبرهان وعلى عظم السخط. وفي النبوي تارك الحج وهو مستطيع كافر قال الله : « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين »

ومن سوّف الحج حتى يموت بعثه الله يوم القيامة يهودياً او نصرانياً ونحوه غيره ، وعنه (ع) في قوله « ومن كفر » قال يعني ترك ، وقيل للكاظم (ع) « من لم يحج منا فقد كفر : قال : لا ولكن من قال : ليس هذا هكذا فقد كفر » إنتهى .

روي عن الامام الصادق (ع) في قوله تعالى « من كان في هذه أعمى فهو في الاخرة أعمى واضل سبيلا » (١) قال نزلت فيمن يسوف الحج حتى مات ولم يحج فعمي عن فريضة من فرائض الله ، وروي عن ذريح قال سمعت الصادق (ع) يقول : من مات ولم يحج حجة الاسلام ولم يمنعه عن ذلك حاجة تجحف به او مرض لا يطيق الحج من اجله او سلطان يمنعه فاليمت ان شاء يهودياً وان شاء نصرانياً ، والاخبار كثيرة في اخبار تارك الحج .

واما الأخبار الواردة في ثوابه فكثيرة أيضاً ، فقد روي عن الصادق (ع) عن أبيه قال : قال رسول الله (ص) للحاج والمعتمر احدى ثلاث خصال : اما يقال له قد غفر لك ما مضى وما بقي ، واما يقال له قد غفر لك ما مضى فاستأنف العمل ، واما ان يقال له

---

(١) آل عمران آية ٩٧ .

قد حفظت في اهلك وولدك وهي احسنهن ، وعن الصادق (ع) قال: لو كان لأحدكم مثل ابي قبيس ذهب ينفقه في سبيل الله ما عدل الحج ولدرهم ينفقه الحاج يعدل الفي الف درهم في سبيل الله ، وعن الصادق (ع) قال : اذا اجتمع الناس بمنى نادى مناد ايها الجمع لو تعلمون بمن حللتم لا يقنتم بالمغفرة بعد الخلف ثم يقول الله تبارك وتعالى « إن عبداً أوسعت عليه في رزقه لم يفد الي فى كل اربع لمحروم وروي ان حجة مقبولة خير من الدنيا وما فيها والاخبار كثيرة . وأما من منع احداً من الحج فأثمه عظيم ، فقد روي عن الصادق (ع) قال ليحذر احدكم ان يعوق اخاه عن الحج فتصيبه فتنة في دنياه مع ما يدخر له في الآخرة ، وعن اسحاق بن عمار قال : قلت لابي عبد الله (ع) « إن رجلاً استشارني فى الحج وكان ضعيف الحال فاشرت عليه ان لا يحج فقال الامام (ع) « ما اخلقك ان تمرض سنة فمرضت سنة » وفي مجمع البيان فى تفسير هذه الاية ، وروي عن ابي حمزة الثمالي قال : قال لنا علي بن الحسين « أي البقاع أفضل ؟ » فقلنا « الله تعالى ورسوله وابن رسوله أعلم فقال لنا : افضل البقاع ما بين الركن والمقام ولو ان رجلاً عمر ما عمر نوح في قومه الف سنة إلا خمسين عاماً يصوم النهار ويقوم الليل فى ذلك المكان ثم لقي الله تعالى بغير ولايتنا لا ينفعه ذلك شيئاً ، انتهى .

قوله تعالى :

« يا ايها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد أيمانكم كافرين » (١) .

روي عن زيد بن أسلم والسدي ان قوماً من اليهود أغروا بين

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٠

الاوس والخزرج بتذكيرهم حروبهم في الجاهليـــة ليفتنوهم عن دينهم فنزلت الآية وهذه الآية حكمها باق الى يومنا هذا وان اغراء اليهود بين طوائف المسلمين في هذا العصر اكثر باضعاف مضاعفة مما كانوا يأتونه ايام النبي (ص) ، وقد سمعت وتسمع من الآيات التي تنوه عما يأتونه في ذلك العصر مع وجود النبي (ص) ونزول الوحي عليه مع ان المسلمين كان إيمـانهم اقوى من ايمـان مسلمي هـذا الزمان ، وكان النبي (ص) يقرأ عليهم الآيات التي توحى اليه ويعرفهم بالطرق التي يسلكها اليهود ويحذرهم منها . اما فى هذا الزمان وان تنورت فيه الافكار وتبصر فيه الناس وان شباب المسلمين قد يصل الى حقائق الأمور قبل وصول شيوخ العصور السابقة ولكن كما تقدم هؤلاء فرضاً خمسون بالمائة فان اليهود تقدموا ايضاً بالمكر والخداع والحيلة مائة بالمائة . والمسلمون مختلفون على حقهم وفي كل وقت ترى الأعداء يلقون الفتنة بين المسلمين وهذا ديدنهم وشأنهم ومما يوحيه اليه كفرهم بالحق والحقيقة ، ولكن اللوم كل اللوم يتجه الى المسلمين إذ ان الآية الشريفة لم يختص حكمها بزمان النبي (ص) وانمـا يعم كل زمان ويعم جميع طبقات المسلمين وكذا يعم جميع طبقات اهل الكتـاب فقوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا » يعم جميع الدول الاسلامية المؤمنة ، عراق ، حجاز ، أردن سوريا ، كويت ، يمن ، ايران ، افغان ، باكستان وغيرها ،

وقوله : « ان تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يعم جميع حكوماتهم . امريكا ، انكليز ، روسيا فرنسا وغيرهـا ، والاطاعة تعم الاطاعة بكل شيء . فتح محلات لبيع الخمور فتح مصارف لمعاطاة الربا فتح دور للرقص ، فتح دور اذاعة للغناء ، ترخيص اللعب بالقمار ، فان اهل الكتاب اعداء المسلمين انما يأمرون المسلمين بكل شيء مناف

للدين الاسلامي ثم يأتونهم من طرق السياسة فيلقون الفتنة بينهم ، فلذا ترى الحكومات الاسلامية ينتقد بعضهم بعضاً ويشتم بعضهم بعضاً بل نرى داخل الحكومة الواحدة والشعب الواحد فئات مختلفة من هذه الأحزاب الالحادية وكل فرقة معادية لبقيـة الفرق وكل فرقة تتربص الدوائر لبقية الفرق فهم يتضاربون فيما بينهم حتى يفني بعضهم بعضاً وهم لا يشعرون ، تفنى الاموال وتفنى النفوس شيئاً فشيئاً حتى يهلكوا عن آخرهم .

« يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين » (١) .

ايها المسلمون أتشعرون انكم اذا رفضتم مبادىء الاسلام اذا رفضتم احكام القرآن واعتنقتم مبادىء الكافرين واطعتموهم في اعتنـاق هـذه المبادىء اتشعرون أنهم ردوكم بعد ايمانكم كافرين . ايها المسلمون اذا تركتم الكتاب والسنة والقوانين الاسلامية وتمسكتم باقوال الكافرين واعتصمتم بقوانينهم واطعتم قولهم وامتثلتم أمرهم فى قتل اخوانكم واهل بلادكم وسجنتم النساء كما يأمركم عدوكم فقد ردكم من بعد إيمانكم كافرين فتأملوا قليلاً فى معنى الآية فان الله يناديكم ويعرفكم حقيقة الأمر ويحذركم مكائد اعدائكم ، فاطيعوا الله تربحوا ولا تخالفوه فتهلكوا ويسلط عليكم عدوكم فيستعبدكم ويستعمركم . وبعـد فان كنت ايها العبد المسلم تصدق بكلام الله وبأخباره وحيث إنك مسلم يلزمك التصديق فاذا لم تصدق بها فانت غير مسلم وليس لنا معك كلام اصلاً ، اما اذا كنت مسلماً فان الله اخبرك بانك اذا اطعت احداً من اهل الكتـاب يعني يهودياً او نصرانياً فانه سيردك ايها المسلم بعد ايمانك كافراً إما

(١) آل عمران آية ١٠٠ .

دفعة واحدة اي بفعلة واحدة من الأفعال الموجبة للكفر، أو يردك كافراً تدريجياً بحيث يأمرك اولاً بمعاداة اخوانك المسلمين باتخاذك مبدءاً جديداً ثم يأمرك بشرب الخمر ولعب القمار واكل لحم الخنزير واكل الربا وغيرها من المحرمات فتكون كافراً وانت لا تشعر بنفسك وتظن انك من المؤمنين ولكن نحن لا يمكننا ان نصدقك ونكذب اخبار الله فيك إذا رأيناك تطيع الكافرين بل نرى عندك اكثر من الاطاعة اذ نراك تريد ان تطبق نظام الكافرين على جميع المسلمين وتحاربهم على ذلك وتقتل منهم جماعة على ذلك تقتل الرجال والنساء والاطفال ولا تبالي بشيء في سبيل تطبيق نظام الكافر وانا أرجو منك احد أمرين إما ان تحكم على نفسك بالاسلام فتطيع أمر الله سبحانه حيث يقول : « لا تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب » .

وأما ان تحكم على نفسك بالكفر فتلتحق باخوانك من يهود او نصارى ، ثم بعد ما حكم الله بالكفر على من يطيع الكفار وجه اليهم سؤالاً يلزمهم الأجابة عليه فقال تعالى : « وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم » (١) .

هنا سؤال إنكاري بصورة التعجب من هذا الأمر ، الأمر الذي قد وقع منك يقول الله تعالى يا ايها الرجل الذي كان مؤمناً ثم إرتدّ وصار كافراً انت لما اعتنقت الدين الاسلامي انما اعتنقته عن بصيرة وتدبر وبعد قيام الحجج والأدلة على احقيته وأنه هو الوحيد من الاديان الذي يلزم العاقل اعتناقه والالتزام به فصرت مسلماً وآباؤك واجدادك كانوا مسلمين ورسول الاسلام هو ذلك الرسول بعينه وكتاب الاسلام

(١) آل عمران آية ١٠١ .

هو القرآن بعينه والآيات تتلى عليك صباحاً ومساءً فما بدالك حتى صرت كافراً ؟ فهل تبين لك بطلان الدين بحجة اقوى ودليل دلّ على بطلان الاسلام وأحقية ما دخلت فيه من احزاب الكافرين ؟ فان حدث عندك دليل جديد فاعلنه للناس حتى يعرفوه واطرحه امام العلماء المتمسكين بالقرآن فاما ان يذروه وإما ان يوافقوك عليه . هذا السؤال متوجه من الله اليك فاجب عنه . وليس عندك جواب ولكن العدو خدعك وغرك وأملك باشياء باطلة لا يفي بشيء منها وإنما يسلب منك دينك حتى يستعبدك ويجعلك خادماً عنده فتخسر الدنيا والآخرة . ثم بيّن الله لك ولكل مسلم أنكم اذا أردتم التخلص من كيد هؤلاء الكافرين وان يكون ايمانكم ثابتاً غير متزلزل فعليكم بالاعتصام بالله فان من يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم » .

الاعتصام هو التمسك ، والمقصود من هذه الجملة أنه ينبغي للمسلم ان يلتجىء الى الله في جميع أموره حتى يساعده الله عليها ، وينبغي له ان يتمسك بدين الله بحيث لا يترك واجباً ولا يفعل حراماً ولا يعمل برأيه بل يأخذ دينه من الله بالوسائط التي عينها الله له ولا ينخدع بقول من يدعي العلم او المعرفة او يدعي أنه امام المسلمين ما لم يقم الحجة التامة على دعواه ، فاذا اعتصم بالله فقد هدي الى الصراط المستقيم والله هو الهادي وهو المرشد ، فقد بيّن الطريق واوضحه للنبي (ص) والنبي بيّنه لأمته بقوله : « اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي » .

وهذا يفسر قوله تعالى : « كيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله » فان الآيات هي نفسها باقية والرسول وإن ارتحل عنا ولكنه اقام مقامه اهل بيته فهم الذين يفسرون لنا القرآن

فلا يكون المسلم كافراً ما دام متمسكاً بهذين الامرين ، اما اذا تخلى عنهما او عن أحدهما فان الكافر يطمع فيه ويأمل ان يجره اليه ويخرجه من دين الاسلام ، فلا تغفل عن نفسك ايها المسلم فان الله قد أرشدك ودلك على الطريق ، ثم ان الله اكدّ لنا الامر واوضح لنا الطريق تفضلاً منه على عباده فقال عز وجل .

« يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون » (١) .

لمّا بين لنا الله قبل هذا ان اطاعة الكافر تسبب الارتداد الى الكفر ، وبيّن أن الاعتصام بالله يهدي الى الصراط المستقيم ذكر في هذه الآية ان الذي يهيىء الانسان للموت على الاسلام هو تقوى الله اي الأحتراز عن عذاب الله بحيث لا يقترب الى معاصيه بترك واجب أو فعل حرام ، فاذا اراد العبد ان يتخلص من شر شياطين الإنس وهم اليهود والنصارى فانهم صاروا تلاميذ اليهود فى هذا العصر فصدق عليهم وصف الشيطنة ، واراد ان يكون حسن العاقبة فانه يحصل على كلا الامرين بتقوى الله حق تقاته ، فقد فسّر الامام الصادق (ع) هذه الجملة اي تقوى الله حق تقاته بقوله :

« يطاع ولا يعصى ويذكر ولا ينسى ويشكر ولا يكفر » .

وهذه مرتبة عظيمة لو اتصف بها العبد لا يترك واجباً ولا يفعل محرماً ولا يطيع كافراً ويوفقه الله ان يموت مسلماً ، فانه اذا لا ينساه في سائر أوقاته لا ينساه ساعة الموت ايضاً ثم قال تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم ان كنتم اعداءً فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من

(١) آل عمران آية ١٠٢ .

النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » (١) .

لقد امرنا الله في هذه الآية بثلاثة اشياء ، ونهانا عن شيء واحد أما الامور التي أمرنا بها فالأول : أمرنا ان نعتصم بحبل الله ، الثاني ان نذكر نعمة الالفة بين قلوبنا بعد ما كنا اعداءً ، الثالث : ان نذكر نعمة انقاذنا من النار وقد كنا على شفا حفرة منها . واما الذي نهانا عنه فهو التفرق إذ قال « ولا تفرقوا » .

امـا الاعتصام بحبل الله فقد فسر بتفاسير متعددة فقـال بعضهم « حبل الله هو القرآن ، وقال بعضهم « الدين الاسلامي » ، وقال بعضهم « التوبة » ، وقال بعضهم « طاعة الله » ، وهناك أقوال اخر . واما إنقاذهم من النار فمن حيث تركهم الكفر واعتنـاق الاسلام ، والكافر هو على شفا حفرة من النار ، فانقذهم بالرسول الأعظم حيث بعثه اليهم فآمنوا به وصدقوه ، وهذه نعمة يجب أن يذكروها ويشكروها مدى الحياة . واما نعمة الالفة بين القلوب فانها ايضاً بسبب الاسلام فانهم حين كانوا كافرين كان كل فريق منهم لا يرى للاخرين حرمة لا في الدمـاء ولا في الأموال ولا يعرف شيئاً من الحرام أنه حرام ، وكان يغزو بعضهم بعضاً والقتل والأسر يقع ضمن الغزو ونهب الاموال فلما اسلموا حصلت الالفة بينهم بسبب الاسلام . فالاسلام هو المؤلف والكفر هو المفرق ، ومن هنا نعرف ان الأمر الواحد الذي نهينا عنه وهو التفرق إنما هو التفرق في الدين وأنه نهى عن العودة إلى الكفر والخروج عن الاسلام فقد عرفنا ان الاسلام هو المنقذ من النار والاسلام هو الموجب للالفة والمحبة ونبذ العداوة وان التفرق موجب للكفر بالنسبة إلى الفرقة التي تفارق الاسلام لتركها بعض الامور الاساسية

(١) آل عمران آية ١٠٣ .

للاسلام التي مهدها النبي (ص) في حياته ففارقتها بعض الفرق اما في حياته او بعد وفاته ، وقد تواترت الرواية عنه أنه قال : « ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة ، فرقة واحدة ناجية والباقي في النار » وهذه الرواية تفسر لنا الآية وهي الاعتصام بحبل الله فان الحبل الموصل الى رضا الله واحد ليس له شعب .

بقي علينـا ان نعرف المقصود من حبل الله اي شيء هو فهل هو انسان جمع العلوم الموصلة الى الله والى رضاه ، او إنه عمل او عقيدة او شيء آخر ؟ ؟ لا شك ولا ريب ان النبي (ص) فى حياته هو الحبل الموصل الى الله إذ هو العارف بحكم كل شيء من الاشياء اما لوجوده في القرآن او لعلمـه به من الملك أو من الآيات المتشابهة بحيث انه عالم بها . اما بعد فقدان النبي (ص) فالقران موجود ولكن لا يعرف احكامه كل احد ، بل لا يعرف جميع احكامه احدكما يعرفها النبي (ص) الا اذا كان النبي قد اخبرنا انه علمها لرجل بعينه .

بقى علينا ان نسأل الفرق الاسلامية فرقة فرقة هل ان فى رجالكم الذين اخذتم منهم مبادئكم الدينية اصولاً وفروعاً احدا قد علمـه النبي (ص) جميع احكام الدين وتفسير القرآن حتى يحل محل الرسول بعد رحلته الى دار البقاء ؟ فما اجاب احد على هذا السؤال إلا فرقة الامامية فقالوا انه قد تواتر عن النبي (ص) كما يروي الفخر الرازي في تفسيره الكبير ج ٨ ص ١٧٣ في تفسير نفس الآية قال وروي عن ابي سعيد الخدرى عن النبي (ص) انه قال (اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله تعالى حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي) وهذه الرواية يرويها جميع علمـاء المسلمين وقد رواها بعضهم عن ابي سعيد بابسط واوضح مما ذكرها الفخر ، قال روى ابو سعيد الخدري

عن النبي (ص) انه قال : (ايها الناس اني قد تركت فيكم حبلين ان اخذتم بهما لن تضلوا بعدي احدهما اكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي ألا وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) . فان هذا الحديث يدل على انه اودع علومه كلها عند اهل بيته وان اول اهل بيته ورئيسهم علي بن ابي طالب وان فرقة الامامية تحتج بهذا الحديث ، ولذا توالي اهل البيت وترجع اليهم فى اخذ احكام الدين ، ولهم ادلة اخرى كثيرة على ان علي بن أبي طالب هو المؤهل للخلافة من الله ومن رسول الله بحديث الغدير وانه اكثر الصحابة علماً وانه اقضى الاصحاب كما ورد عن النبي (ص) انه قال اقضاكم علي . والظاهر ان السبب فى حدوث هذه الفرق التي أخبر عنها النبي (ص) هو اطاعتهم أهل الكتاب فانهم في زمن وجود النبي (ص) لم يتمكنوا ان يؤثروا على المسلمين ولكن بعد وفاة النبي (ص) تمكنوا من التغلب على جملة من الرجال فجعلوا يحدثون فرقة بعد فرقة ولم يكتفوا بما فعلوا فانهم في هذا الزمان يعملون ويجدون فاحدثوا احزاباً الحادية اشغلوا المسلمين بهذه الامور حتى يعملوا ما يريدون . ايها المسلمون تنبهوا وافتحوا عيون قلوبكم وتداركوا الامر قبل أن يفوت أوانه فلا تقدرون على شيء ، ثم بعد هذا البيان الوافي فى القرآن والتأكيد المكرر وايضاح الامر وتفصيله وحصر الوصول الى الله والى رضوانه بطريق واحد يستخرجه العاقل بفهمه وذكائه فانه غير خفي على من كان له أدنى فهم ان حبل الله ليس كسائر الحبال ، حبله أضوء من القمر وانور من الشمس ، حبل يأمر الله الناس أجمعين ان يعتصموا به ويجعله دقيقاً خفياً حاشا لله أن يفعل هكذا بعباده وهو الرؤف الرحيم ولكنه مع هذا الايضاح يعلم ان الناس لا يطيعون كلهم وإن الأغلب منهم يغلب

عليهم الطمع وحب الدنيا والميل الى اللهو واللعب ، ولذا اوجب وأكد على ذوي العقول الكاملة ان يكونوا دعاةً للدين وأن يبذلوا جهودهم بمقدار ما يمكنهم في ارشاد الناس وأن يفهموهم الحق ويرشدوهم الى الطريق المستقيم وهو حبل الله الممدود من السماء الى الأرض كما اوضحه لهم النبي (ص) اوضحه لجميع أمته فليس الموجود فى هذا العصر من العلماء اقل تكليفاً ممن كان في عصر النبي إن الآيات والاحاديث موجودة وقد محصت وغربلت وتبين الكذب من الصدق وقد اوجب الله على العلماء أن يقوموا بهذه المهمة كما فى قوله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون » (١) .

هذه المهمة هي مهمة الأنبياء فان كل نبي مبعوث من الله الى البشر انما يؤمر ليكون بهذه الصفة وليكون عمله الذي ذكر فى هذه الآية يدعو الى الخير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فقد اوجب الله على علماء أمة محمد (ص) الذين يعملون بالخير ان يدعوا الناس الى الخير بعملهم وأن يأمروا بالمعروف بشرط ان يكونوا عاملين به وان ينهوا عن المنكر بشرط ان يكونوا تاركين له ، أمر العلماء الذين هم من الفرقة الناجية المعتصمين بحبل الله بأن يكونوا على يقين من أمرهم بحيث تكون معهم ادلة قوية متينة لا تتمكن بقية الفرق الذين بلغ عددهم اثنان وسبعون فرقة على رد حججهم وابطال أدلتهم ، هؤلاء العلماء من الفرقة الناجية أو كل الله اليهم وظيفة الانبياء وامرهم بارشاد الناس الى حبل الله ليعتصموا به حتى يتخلصوا من كيد الشياطين الذين يسمون أنفسهم باهل الكتاب فان الله ما سماهم بهذا الاسم إلا توبيخا

(١) آل عمران آية ١٠٤ .

لهم والزامهم بالحجة التي سوف يعاقبهم عليهـــا حيث إنهم لم يعملوا بكتابهم المنزل على رسولهم بل حرّفوه وغيروه ، ولم يعترفوا بالكتـاب المنزل على الرسول الذي جاء مصدّقاً لما مع الرسول السابق وقد اخذ العهد والميثاق منهم بان يصدقوه إذا جاء . هذه هي وظيفة العلماء التي بينها الله لهم فى القرآن بعد ان اوضح لهم الطريق فمن عرف الطريق وارشد اليه فقد نجا وصار من مصداق قول النبي (ص) « فرقة ناجية » ، ومن عرف الطريق وخرج منه وسار فى طريق آخر اوعرف الطريق وارشد إلى طريق الغي والضلال فـان النبي (ص) أخبر ان الفرق الهالكة التي تكون فى النار عددها اثنان وسبعون ، اضافة الى ما حدث في هذا الزمـان من فرق الضلال « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » .

ثم يقول تعالى في آخر الآية : « كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » وبعـد ذلك اشار الى الفرقة النـاجية التي اعتصمت بحبل الله وسارت في الطريق التي دلهم عليه نبيهم وعملوا بوظيفتهم من الدعاء إلى الخير والعمل به والامر بالمعروف والعمل به والنهي عن المنكر والترك له اشار الله اليهم بقوله : « وأولئك هم المفلحون » .

ثم ان الله عز وجل بعد ما أمرنا بالاعتصام بحبله وأمر نبيه ان يوضح لنا الأمر ولا يتركه مبهماً ونهانا عن التفرق والاختلاف في الدين وعرّفنا الرسول (ص) أن الاختلاف والتفرق مهلك وإنما ينجو منكم من هذه الفرق فرقة واحدة وهي المتمسكة المعتصمة بحبل الله ، وبعد هذه الادلة كلها ذكرنا ونبهنا إلى مـا صارت اليه الامم السالفة بعد نبيها من الاختلاف والافتراق وأن هذا التفرق سبب خروجهم من الدين الذي جاءهم به نبيهم فصاروا كافرين واستحقوا من الله اللعنة ، وهذا

الذم الذي ورد في القرآن وقد مرت عليك الآيات الكثيرة ومثلها اضعافها فاياك ايها المسلم من الخروج عما جاء به نبيك قال تعالى : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم » (١) .

هذه الآية الشريفة تبين لنا ان الامم التي كانت قبلنا وهم اليهود والنصارى قد جاءتهم البينات من ربهم ، والبينات هي الاوامر التي ارسلها الله الى رسولهم مقترنة بالادلة والحجج القوية التي تثبت انها من الله عز وجل ولا يبقى لاحد شك او شبهة ، وهذه البينات التي جاءتهم تبين لهم الطريق التي يجب عليهم السير فيه وعدم التعدي الى غيره وتعرفهم بالمرشد والدليل الذي يدلهم على كيفية أعمالهم وتعرفهم بالذي يكون خليفة بعد نبيهم وان النبي (ص) يودع عنده العلوم التي تحتاج اليها الامة ولكنهم مع هذه البينات والآيات تفرقوا واختلفوا . والآية هذه تنهانا ان نكون مثل هذه الامم وتبين لنا ان من يكون كذلك فله عذاب عظيم ، أي انكم يا امة محمد قد جاءتكم البينات من الله فقد انزل الله على نبيه قوله : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » ، والنبي عرفكم بما يراد من الحبل فقد قال لكم : « ايها الناس اني تارك فيكم حبلين إن اخذتم بهما لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي » .

وقد ذكرت لك الحديث قبل هذا عن قريب فالله والرسول قد اوضحا لنا الامر جلياً بيناً فلا عذر لاحد ان يقول ما كنت أعلم ، فاياكم يا أمة محمد ان تكونوا مثل الامم السالفة فلا تفرقوا ولا تختلفوا فيكون مصيركم الى العذاب العظيم ، وان هذا البيان وهذا الانذار هو لطف

---

(١) آل عمران آية ١٠٥ .

زائد من الله والا فان حقنا على الله ان يبين لنا ما أوجبه علينا وقد بين ذلك بقوله : « واعتصموا بحبل الله » ، وشرح النبي لنا هذه الجملة فتمت بذلك الحجة علينا . أما بيان ان الامم السالفة قد خالفوا هذا الامر وقد كفروا واستحقوا العذاب العظيم وانتم اذا اختلفتم وتفرقتم مثلهم أيضا تكونون كفرة وتستحقون العذاب العظيم فهذا لطف زائد من الله تعالى ولكن بعد فقد الرسول قد تداخل اهل الكتاب في الامر وكانوا يظنون أنهم قد قطعوا الحبل وانهم اطفأوا نور الاسلام والله يأبى إلا ان يتم نوره ولو كره الكافرون فوقع الاختلاف ووقع التفرق ، والآن لا يمكن اصلاح المجتمع باكمله ولكن الانسان عليه نفسه فليتأمل ولا يتبع ما وجد عليه آباءه فانه عاقل رشيد بصير انما ينفع نفسه أو يضرها ، ثم بعد هذا اللطف العظيم من الله على عباده حيث اوضح لهم الامور وشرح لهم حال الامم التي كانت قبلهم زادهم لطفاً فذكر لهم عقاب هذا الصنف من الناس وهم الذين آمنوا ثم كفروا بعد إيمانهم لانهم تركوا الطريق التي امروا بسلوكها او لانهم تفرقوا واختلفوا فقال تعالى :

« يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » (١) .

أسمعت ما يقول الله ايها المسلم ؟ انه يقول سيأتي عليك يوم وهو يوم القيامه وهو يوم الجزاء ، يوم يرى كل انسان ما عمله فى الدنيا ، ففي ذلك اليوم تبيض بعض الوجوه وتسود بعض الوجوه ، أي ان هذا الانسان الذي آمن بالله وصدق نبيه ثم كفر بعد ذلك بان صار من الذين تفرقوا واختلفوا وتركوا الذي جاء به النبي من الله من اصول

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٦ .

الدين الاسلامي وهم مع ذلك ينتسبون الى الاسلام فهذا الشخص يسود وجهه أي يُحشر يوم القيامة اسود الوجه او اسود الصحيفة ، أو عليه كآبةُ الخوف او تحوطه ظلمة شديدة من جميع أطرافه فلا يهتدي الطريق في الأخرة كما ترك الطريق في الدنيا ثم يوبخ بما ذكره الله فيقال له « يا فلان ابن فلان اكفرت بعد إيمانك » وهذا تعجب من فعله الذي فعله في الدنيا يقال له انك آمنت بالله وصدقت بالنبي محمد (ص) فلماذا كفرت بعد ذلك ؟ اكان كفرك طمعاً في الدنيا وحرصاً عليها ؟ تركت الدين الحق والطريقـــة التي عينها الله لك واوضحها لك النبي وخالفت المسلمين وفارقتهم ومـع ذلك تدعي انك مسلم وتفرض نفسك على المسلمين وتزاحمهم فى حقوقهم فصار كفرك سبباً لوصولك الى العذاب في نار جهنم « فذوقوا العـذاب بمـا كنتم تكفرون » ، وينتهي الأمر بادخالك فى جهنم ، وتنسى جميع تلك اللذات التي ذقتها في الدنيـا بسبب الكفر فلا تذوق هناك الا العذاب ، تنسى كل شيء حصلت عليه في الدنيـا ولا تذكر إلا تلك الخطوة التي خطوتها من طريق الحق الى طريق الباطل برفع يدك واطلاقها من حبل الله واعتصامها بحبل الشيطان فكن حازماً رشيداً واعتصم بحبل الله ثم قال تعالى : « وامـا الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون » (١) .

هؤلاء الذين آمنوا بالله وصدقوا النبي وثبتوا على إيمانهم وساروا على المنهاج الذي أمرهم به نبيهم واعتصموا بحبل الله ولم يفارقوا قانون الاسلام ولم يخالفوا احكام الشريعـــة تبيض وجوههم في ذلك اليوم وتبيض صحـائفهم ، ويظهر السرور والفرح على وجوههم ، ويحـاطون بالنور من جميع اطرافهم يسعى نورهم بين ايديهم وعن أيمانهم ؛ ألا

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٧ .

تحب ايها المسلم ان تكون مثل هؤلاء ومعهم ، فان كنت تحب ذلك فكن مسلماً حقاً وسر على النهج الذي سنه لك نبيك ، اتعرف ما هي رحمة الله ؟ هي الجنة التي عرضها السماوات والأرض ، الجنة التي فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين ، الجنة التي من دخلها لا يخرج منها أبداً كما نطقت الآية : « ففي رحمة الله هم فيها خالدون » .

قوله تعالى : « تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلماً للعالمين » (١) .

لما بين سبحانه أن الأمم السابقة جاءتهم البينات والدلائل والحجج الواضحة الدالة على وحدة الدين الآمرة لهم باتباعه باجمعهم ليكونوا فرقة واحدة وأنهم خالفوا البينات فتفرقوا واختلفوا فخرجوا عن الدين وكفروا فاستحقوا العذاب الاليم ذكر فى هذه الآية : ان تلك الآيات التي مر ذكرها عليك يا محمد وانت بينتها لامتك وفصلتها لهم تفصيلا وان تلك الآيات كلها حقائق جارية على الحكمة والصواب ، وان الامم السالفة لما كان بعضهم مطيعاً وبعضهم عاصياً فان الله يعامل كل احد بما يستحقه من الثواب والعقاب بلا زيادة في العقاب ولا نقيصة فى الثواب ، إذ الزيادة فى الأول والنقيصة فى الثاني انما هما من الظلم والله منزه عن الظلم لان المحتاج الى الظلم العاجز والفقير والله هو الغني القادر وهو الذي خلق الناس وانشأهم وابتدعهم واتاهم من النعم مالا تسمو اليه هممهم ، واعد لهم من نعم الآخرة ما هو أعظم منها قدراً واجل خطراً ، وانتم يا امة محمد قد جاءتكم البينات كما جاءت لمن كان قبلكم وعلمتم ما صارت اليه عاقبة من كان قبلكم فازددتم بذلك اعتباراً وعظمة فلا ينبغي لكم أن تكونوا مثلهم فى التفرق والاختلاف

(١) آل عمران آية ١٠٨ .

ويلزمكم السير على الطريق المستقيم والاستقامة في الدين كاستقامة الحبل الممدود من السماء الى الأرض ليس فيه إعوجاج ولا التواء فكونوا كذلك فى الدنيا لتكونوا كذلك في الآخرة ، ثم ذكر سبحانه وجه غناه عن الظلم فقال : « ولله مافي السماوات وما فى الارض والى الله ترجع الأمور » (١) .

فهو الخالق وهو المالك وهو العالم بعاقبة كل احد وكل شيء وهو المجازي عباده بما يستحقونه من ثواب وعقاب ، وانتم ياامة محمد عليكم أنفسكم ولا يغلبنكم عليها الشيطان فتخسروها ، ومن خسر نفسه فقد خسر كل شيء وليس له شيء فعليكم بالامر الأول الذي ذكر لكم وهو من أهم البينات التي ذكرت للاولين والآخرين « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم » (٢) وروى علي بن ابراهيم القمي في تفسيره عند ذكر قوله تعالى : « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه » ، قال حدثني ابي عن صفوان بن يحيى عن أبي الجارود عن عمران بن هيثم عن مالك بن ضمرة عن أبي ذر رحمة الله عليه قال لما نزلت هذه الآية : « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه » قال رسول الله (ص) يرد علي امتي يوم القيامة على خمس رايات فراية مع عجل هذه الامة فاسألهم ما فعلتم بالثقلين من بعدي فيقولون أما الأكبر فخرقناه ونبذناه وراء ظهورنا وأما الأصغر فعاديناه وابغضناه وظلمناه فاقول ردوا النار ضمئاً مضمئين مسودة وجوهكم ، ثم ترد علي راية مع فرعون هذه الامة فاقول لهم ما فعلتم بالثقلين من بعدي ؟ فيقولون اما الاكبر فخرقناه وفرقناه وخالفناه ، واما الأصغر فعاديناه

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٩ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .

وقاتلناه فاقول ردوا النار ضمئاً مضمئين مسودة وجوهكم ، ثم ترد علي مع سامري هذه الامة فاقول لهم ما فعلتم بالثقلين من بعدي ؟ فيقولون اما الاكبر فعصيناه وتركناه ، واما الأصغر فخذلناه وضيعناه وصنعنا به كل قبيح فاقول ردوا ضمئاً مضمئين مسودة وجوهكم ، ثم ترد علي راية ذي الثدية مع اول الخوارج وآخرهم فاسألهم ما فعلتم بالثقلين من بعدي ؟ فيقولون : امـا الاكبر فخرقناه وبرئنا منـه ، وامـا الأصغر فقاتلناه وقتلناه ، فاقول ردوا النار ضمئاً مضمئين مسودة وجوهكم ، ثم ترد علي راية مع إمام المتقين وسيد الوصيين وقائد الغر المحجلين ووصي رسول رب العالمين فاقول ماذا فعلتم بالثقلين من بعدي ؟ فيقولون اما الاكبر فاتبعناه وأطعناه ، وامـا الأصغر فاحببناه وواليناه وآزرناه ونصرناه حتى اهرقت فيهم دماؤنا ، فاقول ردوا الجنة رواء مرويين مبيضة وجوهكم ، ثم تلا رسول الله (ص) قوله تعالى : « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون » (١) .

هذه الرواية تذكر ان النبي (ص) قال ان الرايات خمس يوم القيامة مع ان الفرق التي ذكرت للامة اكثر من خمسة ، فالظاهر ان الفرق تجتمع على المفرّق الاول لها وان تفرقت بعد ذلك الى عدة فرق فكانما اذا كانت عشر فرق او اكثر كلهم يرجعون الى امام واحد فيجتمع الكل تحت رايته وقد ذكر الله تعالى ذلك بقوله : « يوم ندعو كل اناس بامامهم فمن أوتي كتـابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٦ ـ ١٠٧ .

ولا يظلمون فتيلاً » (١) .

« ومن كان فى هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى واضل سبيلا » (٢)

ومن الواضح البيّن ان الامام والمأموم حكمهم واحد فى إيتاء الكتاب فى اليمين او الشمال ، وفى كون كل من الامام والمأموم اعمى فى الآخرة إذا كان اعمى في الدنيا عن طريق الحق . واما الجواب من اهل الرايات عن السؤال حين سألهم ما فعلتم بالثقلين؟ قالوا : أما الأكبر فخرقناه أو يقولون مزقناه . ان المراد بالاكبر هو القرآن الكريم ، والمقصود من التخريق والتمزيق هو نبذ احكامه وعدم العمل بها ، وليس المقصود انهم يأخذون القرآن فيخرقونه بل مخالفة ما فيه من الأحكام هو تمزيق له ، ولا يخفى ان امة محمد (ص) من اولها الى آخرها كل واحد منهم يلحق بامامه الذي اتخذه واقتدى به ، فليتخذ اماماً صالحاً للامامة بحيث اذا سأله ربه يوم القيامة عن الحجة التي دعته الى اتخاذ هذا الامام ان يكون عنده جواب معقول ولا يكفي ان يقول في الجواب وجدت أبي هكذا فاتبعته او أني أطعت السيد أو الكبير على هذه الطريقة فسلكتها ، فان هذا لا يكفي ، نعم يكفي فى الجواب ان يقول العبد لربه : إن نبيك امرني ان أتخذ فلاناً اماماً فاتخذته ، فاذا كان صادقاً في قوله وكان النبي (ص) قد أمره بذلك فهو سبب نجاته .

قوله تعالى : (كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . ولو آمن اهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون) (٣) .

لقد اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية على اقوال عديدة واقرب

(١) الاسراء آية : ٧٠ (٢) الاسراء آية : ٧١

(٣) آل عمران آية : ١١٠

الأقوال الى ظاهر الآية ماذكره الشيخ الطوسي في التبيان وحاصله ان ذلك لما كان فى الكتب المتقدمة ما يسمع من الخير في هذه الأمة من جهة البشارة قال الجن نحن آخرها واكرمها على الله ، وكذلك روي عن النبي (ص) انه قال : (انتم تتمون سبعين أمة انتم خيرها واكرمها على الله) ثم قال الطوسي : ويكون التقدير (كنتم خير أمة) من الكتب الماضية فحققوا ذلك بالافعال الجميلة انتهى كلام الشيخ الطوسي وان هذا المعنى الذي ذكره لا يدل على المدح المطلق وان المدح انما يكون باتصاف الامة بالصفات المذكورة عن الله ، وهي ان الله يريد من امة ان يتصفوا بالأمور التي ذكرت في الآية الشريفة وهي : ان يؤمنوا بالله ويأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر فان كل أمة او معظم الأمة التي يمكنها التغلب على الباقي اذا اتصفت بهذه الصفات صلحت الأمة كلها وكانت خير امة على وجه الأرض ، ولكن انت ايها المسلم ترى من أمة محمد ما ترى من ترك المعروف وارتكاب المنكر . وقد يقال في حقهم انهم يرون المعروف منكراً والمنكر معروفاً كما اخبر النبي (ص) انه يكون الأمر كذلك فى آخر الزمان فقد وصف الله في هذه الآية خير أمة ظهرت للناس بثلاث صفات ، فلو ان هذه الصفات تجتمع في جماعة من الأمة بحيث تكون لهم قابلية وقدرة على التأثير على بقية الأمة لصلحت جميع الأمة ، والخصال هي : ١ - الأمر بالمعروف ٢ - النهي عن المنكر ٣ - الايمان بالله تعالى ، والثالث هو عمدتها وأهمها فان ما قبله مترتب عليه ، وذلك ان الايمان بالله هو ايمان بجميع ما يأمر به الله وما يريده منهم ، وكذلك ايمان به في كل ما يكرهه وينهى عنه ، فان الايمان بالله ايمان بوجوده وبصفاته ، ومن جملة صفاته الايمان بعلمه ومنه العلم بمصلحة ما أمر به ونفعه للعباد والعلم

بمفسدة ما ينهى عنه وضرره للعباد ، فاذا علم العبد وتيقن واعتقد بان الله عالم بجميع المصالح والمفاسد وانه لا يأمر ولا ينهى إلا لمصلحة او مفسدة يلزمه امتثال أوامره والانتهاء عن نواهيه فقوله تعالى (وتؤمنون بالله) أي تمتثلون جميع اوامره ونواهيه مع اعتقاد بالقلب بان صلاح الدين والدنيا والآخرة انما يترتب على هذا الامتثال وهذه الطاعة ثم يحثه هذا الايمان بالله على أن يدعو الناس كلهم الى هذا الايمان فيرى من واجبه العقلي ان يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر لأنه يرى الخير كله في هذا الايمان ويدعوه حب الخير للبشر ان يدعوهم ويجرهم الى ما وصل هو اليه قبل ان يرد فيه أمر شرعي فاذا جاءه الأمر من الله تأكد عليه الواجب .

اما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر انه لا يقدر عليه كل أحد وانما يقدر عليه من يعرف المعروف والمنكر ويمكنه التمييز بينهما ويمكنه الأمر والنهي من غير ضرر يرد عليه فانما يجب على من توفرت فيه الشروط ، وقد سئل الأمام الصادق عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أواجب على الامة جميعاً ؟ فقال : لا ، قيل ولم ؟ قال انما هو على القوي المطاع العالم بالمعروف من المنكر لا على الضعفاء الذين لا يهتدون سبيلا الى أي من أي : يعني الى الحق من الباطل ، ويشير الى ذلك قوله تعالى : (ولتكن منكم أمة) فانه لم يوجبه على كل الامة وانما جعله خاصاً ، فالوجوب ليس على الجاهل ولا على الضعيف وانما يتأكد الوجوب على ذوي السلطة من الامراء والحكام من حيث قوتهم ، وعلى العلماء من حيث علمهم بمواقعه ومواضعه . فاذا كان الامراء والحكام هم احوج الناس الى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ممن يكون اقوى منهم حتى يأمرهم وينهاهم بقول انما يكون اقوى منهم

العالم الذي لا تأخذه في الله لومة لائم ويكون اعتماده على الله ، وقد جاء في الحديث عن النبي (ص) : (ان افضل الجهاد كلمة عدل عند امام جائر) اذا كان العالم يضن انه يقبل منه ، ثم إذا كان الامير او الحاكم من غير المسلمين فأنه يتبع دينه وعلماء ملته اولى به . اما اذا كان من المسلمين فان الله والرسول يحتمان عليه والقرآن والدين يوجبان عليه ان يكون هو من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر لانه قوي مطاع واذا كان هو من التاركين للمعروف والفاعلين للمنكر اما في صدر الاسلام فلا يتمكن احد من امره ونهيه حيث كان الامر كله بيده يفعل ما يشاء . واما في هذا الزمان فان الوزير يتمكن ان يأمره وينهاه ، فان كان وزيره مثله فالوجوب على بقية الوزراء ، فاذا كانوا كلهم كذلك صار التكليف على العلماء المرتبطين بهم فانهم اولى بهم ، فان زعموا انهم لا يتمكنون من ذلك فعليهم ان يهجروهم ولا يجالسوهم ولا يضحكوا في وجوههم . فقد روي فى تفسير قوله تعالى : (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) . قال اما انهم لم يكونوا يدخلون مداخلهم ولا يجلسون مجالسهم ولكن كانوا اذا لقوهم ضحكوا في وجوههم وانسوا بهم . وعن امير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) قال : (ان الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين ايديكم إلا لتركهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فلعن منهم السفهاء لركوب المعاصي والحكماء لترك النواهي) وعن شهر بن حوشب ان علياً (ع) قال لهم : (انه لم يهلك من كان من الامم الا بما اتوا من المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار فلما تمادوا في المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار عمهم الله بعقوبة . ألا فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل ان ينزل بكم مثل الذي نزل بهم واعلموا ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لا يقربان من اجل ولا ينقصان من رزق فان الامر نزل من السماء الى الارض كقطر المطر الى كل نفس بما قدرالله لها) وعن اميرالمؤمنين عليه السلام قال : ان الله تعالى ذكره لم يرض من اوليائه ان يعصى في الامر وهم سكوت مذعنون لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر وقد روي ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضتان واجبتان من الله عزوجل على الامكان ، على العبد ان يغير المنكر بقلبه ولسانه ويده فان لم يقدر عليه فبقلبه ولسانه فان لم يقدر فبقلبه ، وقال اميرالمؤمنين الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم ، وعلى كل داخل في باطل اثمان : اثم العمل به واثم الرضا به . (تفسير الصافي) عن الصادق (ع) : الامر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله تعالى فمن نصرهما اعزه الله ومن خذلهما خذله الله ، وفيه ايضاً عن النبي (ص) قال لا يزال الناس بخير ما امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر فاذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات وسلط بعضهم على بعض ولم يكن لهم ناصر فى الارض ولا في السماء .

فتحصل لنا من هذه الآية ان امة خاتم الانبياء انما تكون خير امة اذا اتصفت بالصفات المذكورة ، ويؤكد هذا المعنى ما ذكره بعض المفسرين من ان قوله تعالى تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر حال عن الأمة يفيد اشتراط اتصافها بالاوصاف المذكورة وقوله : (وتؤمنون بالله) يعم الاوصاف المتقدمة في الآيات التي قبل هذه الآية من الاعتصام بحبل الله وعدم التفرق وعدم الأختلاف فلا يمكننا القول بان قوله : « كنتم خير أمة » يعم جميع الامة من اولها إلى آخرها ، نعم يمكن القول بل يمكن الجزم بانه يعم الفرقة التي اشار اليها النبي (ص) بقوله : « فرقة ناجية والباقي في النار » فان اهل النار ليس فيهم ولا

عندهم شيء من الخير ، نعم اذا عدلت الفرق الضالة عما هي عليه إلى ما كان عليه النبي (ص) واصحابه فصار الكل فرقة واحدة يقال لها حينئذ « انها خير امة » نسأله تعالى ان يجعلنا كذلك انتهى .

قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ، ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر ، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون » (١) .

لقد تكررت الآيات وتكاثرت من اول القرآن الى هذه الآية في نهي المؤمنين عن موالاة الكافرين وقد جاءت الآيات مختلفة البيان ففي كل آية يكون البيان مشيراً الى علة قوية تدل على وجوب مقاطعتهم وعدم السماح بالاتصال بهم ، واما هذه الآية فقد بين الله لنا أسرارهم وما تخفيه صدورهم مما يريدون بنا وهذا من غاية لطف الله بالمؤمنين فانه تعالى قد تكفل لعباده ان يرزقهم في الدنيا من المعيشة بمقدار كفايتهم وان يرشدهم لأمور دينهم ما يكفل لهم نجاتهم في الآخرة من العذاب . أما إنه يخبرهم ويطلعهم على أسرار عدوهم ويوضح لهم ما يضمره العدو لهم من تدبير شيء ليضرهم به فهذا لم يتعهد به الله لعباده ولم يتفضل به على غير المؤمنين مع أنهم ليسوا بمؤمنين كاملين في الأيمان إذ ان فيهم جملة كثيرة من المنافقين ، فما ظنك بربك ايها المؤمن الكامل وما ظنكم بالله في معاملة ذلك المؤمن الذي لا يغفل عن ربه طرفة عين أبداً أما تأملون من الله ان يطلعه على علم ما كان وما يكون بان يبعث لهم ملكاً او يلهمه إلهاماً أو يملأ قبله نوراً فيرى به ما كان وما يكون إن ذلك ليس بكثير على الله مع عبده المؤمن ، فاستمع ايها المؤمن لما يخاطبك به الله فان كنت مؤمناً فاطع الله فيما يأمرك به

(١) آل عمران آية ١١٨ .

وان لم تكن مؤمناً فليس لنا معك كلام فانه يخاطب المؤمنين يقول الله (يا ايها الذين آمنوا) ايماناً ظاهراً او ايماناً باللسان دون القلب إن اردتم ان تكونوا مؤمنين حقيقيين ، ان اردتم ان تكونوا مؤمنين كاملي الأيمان ، ان أردتم ان تحرزوا بايمانكم خير الدنيا والآخرة ان أردتم ان تكونوا مؤمنين يحبكم الله والرسول فاستمعوا لما يتلى عليكم (لا تتخذوا بطانة من دونكم) اي لا تتخذوا اصدقاء من الكافرين تجعلونهم من اخصائكم لاحقين بكم كما تلصق بطانة ثوبكم بجلدكم فهم لا يفارقونكم في وقت من الأوقات وانتم تفشون لهم أسراركم وتطلعونهم على كل شيء يحدث عندكم ، ايها المؤمن اما سمعت اليهود قبل هذا يوصي بعضهم بعضاً (لا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم) فكن انت ايها المؤمن حريصاً على اسرار المسلمين ولا تبديها لليهود ولا لغيرهم من اعدائكم فيكيدوا لكم كيداً فانهم « لا يالونكم خبالاً » .

أي انهم لا يقصرون فيما يؤدي الى فساد أمركم ولا يدعون جهدهم في مضرتكم ولا يفترون عن القائكم فيما يضركم من المهالك ثم اخبر الله المسلمين بأن هؤلاء الذين تتخذونهم بطانة « ودوا ما عنتم » أي تمنوا وأحبوا عنتكم وهو وقوعكم فى شدة الضرر والمشقة او تمنوا اضلالكم عن دينكم لقد أخبركم الله عن تمنياتهم التي أضمروها في قلوبهم ، فالمؤمن الكامل يصدق بما أخبره الله به ويجزم بان هؤلاء اليهود يودون أن نرتد عن ديننا وان نكون في كل وقت فى شدة وضرر ومشقة وعناء وتعب ولا نستريح في وقت من الأوقات ، ثم إن الله نبه المسلمين والفت انظارهم الى شيء لا ينبه عليه الا الغافل الخامل الذي لا يلتفت الى ما يأتي به قرينه وجليسه وبطانته ومن يكون كذلك يوصف بالبلادة وعدم الذكاء فقال تعالى .

(قد بدت البغضاء من افواههم) أي ظهرت إمارات العداوة لكم على السنتهم وفي فحوى اقوالهم وفلتات كلامهم فلماذا لا تشعرون بذلك وانتم تحسبونهم اولياء تكشفون لهم اسراركم المهمة ، ثم اخبر الله تعالى المسلمين بشيء آخر خفي لا يطلع عليه إلا علام الغيوب فقال : « وما تخفي صدورهم اكبر » .

اخبر الله المسلمين عن ضمائر اليهود والنصارى بان الذي يخفونه في صدورهم من العداوة والبغضاء لكم اكبر واكثر مما يبدونه بالسنتهم ، فانظر الى لطف الله ورأفته بالمسلمين كيف يخبرهم عن سرائر أعدائهم ويأمرهم أن يكتموا عنهم أسرارهم ولا يبدوها لهم وهم يخالفون أمر ربهم ويوالون أعداءه واعداءهم ويعلمونهم أسرارهم . ان مثل هؤلاء الذين يسمون انفسهم مسلمين ولكنهم ليسوا بمسلمين بل هم اعداء المسلمين ، ومثل هؤلاء البشر كثيرون في هذا الزمان وفيهم أناس كبار ورؤساء ووزراء يأتمرون بأمر الكافر وينفذون ارادته على المسلمين لا يمتثلون شيئاً من أوامر الله ولا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر بماذا يجيبون الله يوم يوقفهم للحساب ويقول لهم إني اعطيتكم الرئاسة والامارة والوزارة على جماعة المسلمين فماذا صنعتم ؟ هل نصرتم مظلوماً أو أغثتم ملهوفاً او دفعتم ظالماً او قمعتم بدعة او أقمتم سنة ؟ فماذا يكون جوابهم ، فان سيدهم لم يأمرهم بهذه الأشياء وإنما أمرهم بالظلم والجور وفتح محلات لبيع الخمور وفتح مصارف لأخذ الربا وفتح محلات للرقص والغناء واللعب بالميسر وامثال ذلك وهذه الأمور كلها ينتفع بها الكافر وتضر بالمسلمين وتوقعهم في الشدائد والمشقة واوزار الجميع تكون على هذا الرئيس وجماعته الذين يساعدون على تنفيذ أوامر سيدهم الكافر فاعرف ايها المسلم معنى قوله تعالى .

« ودوا ماعنتم » فقد ذكرت لك معناها قبل أسطر .

فان هذا الرئيس أو الأمير مهد لهذا الكافر الوصول الى ما تمناه ووده من عنت المسلمين فيكون المهنأ لذلك الكافر والعبىء والوزر والعذاب والعقاب والحساب والنار لهذا الذي يسمي نفسه مسلماً ، ولعل بل الأقرب ان تكون عاقبته القتل والصلب والسحب في الشوارع والازقة كما رأينا كثيراً منهم كذلك فارع نفسك ايها الرئيس والأمير والوزير فان الله قد لطف بك لاجل هذا الصفة التي اتصفت بها ظاهراً وبالاسم المجرد عن كل معنى وهي صفة الاسلام فقد اطلعك الله على ضمائر اعداء الاسلام الكافرين وامرك باجتنابهم والتباعد عنهم ولكن فى آخر الآية كلمة لا يعرف معناها الا المؤمن الحقيقي ولو فسرناها الف مرة وهي قوله تعالى : « قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون » .

هذه كلمة مستعملة فى عرف الناس وخطاب بعضهم لبعض فاذا كان لاحدهم ولد او صاحب او أخ يدله في كل وقت على ما ينفعه ويصلحه ثم اوقفه امامه فى بعض الأيام واخذ يرشده الى ما يصلحه وبعد ان انتهى من كلامه قال له : إني قد بينت لك جميع الأمور التي تنفعك وحذرتك عن كل ما يضرك إن كنت تعقل .

فمعنى هذه الجملة الشرطية هو ان المخاطب لا يعقل شيئاً مما ينفعه أو يضره فهو كالمجنون والجاهل الذي لا يعقل ما يضره ويهلك نفسه واهله فافهم واغتنم نصائح الله لك ثم بعدما علق فهم هذه الآيات البينات على تعقلهم لها وجعل الشرط لفهمها ثبوت عقول راسخة وحيث إنهم لم يفهموها تبين أنهم لا عقول لهم فخاطبهم كما يخاطب الصبي الجاهل بقوله : « ها أنتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله » .

إذا كان لشخص ولد غر وكان يماشي او يجالس او يلعب مع

صبي خبيث ابن حرام وهذا ابن الحرام يبغي الغوائل لذلك الغر ويسرق منه نقوده وأسباب لعبه وهو لا يقلع عن مجالسته كلما نهاه ابوه فان في آخر الأمر لا يرى الأب ما يقنع به ولده عن مجالسة ذلك الخبيث إلا ان يقول له يا بني انك تحب فلاناً وهو لا يحبك فالصبي إذا سمع هذه الكلمة من ابيه وهو يعرفه بالصدق والنصيحة يقاطع ذلك الخبيث ابن الحرام ولا يجالسه ، وان الله خاطب هؤلاء الجهلة بما يخاطب به الصبي الغر بعد ما نبههم كما ينبه النائم بهذا النداء « ها » اي تنبهوا واسمعوا ، نبههم كما ينبه الصبي الغر ثم قال « انتم أولاء » اي هؤلاء الخاطئون الذين واليتم الكافر واطعتم أمره وصرتم عبيداً له ومهدتم جميع ما تمناه واعلموا أنكم تحبون هؤلاء الكافرين وهم لا يحبونكم فان كنتم عقلاء فقد كلمكم الله كما يكلم العقلاء ، وان كنتم جهلاء ولا تفهمون الا لغة الصبيان فقد خوطبتم بها فافهموا ذلك ، ثم كرر عليهم الخطاب كما يخاطب العاقل فقال « وتؤمنون بالكتاب كله » .

اي انكم تؤمنون بكتابكم وكتابهم وبقية الكتب المنزلة من الله أي مع كونكم تؤمنون بكتابهم فهم لا يحبونكم فلماذا أنتم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم ، فالصبي اذا افهمه أبوه بهذا اللسان يقلع عن مصاحبة الخبيث ولكن هؤلاء الموالين للكافرين لم ينفع معهم كل ما قيل لهم فهم اشد حباً للكفر من الكافرين وهم يسمون انفسهم مسلمين ثم ان الله تعالى لم يقطع عطفه ورأفته عن هؤلاء المسلمين الذين صاروا أشد جهلاً من الجهال فأخبرهم بصفة اخرى من صفاتهم السرية وبفعل من افعالهم التي يفعلونها اذا خلوا فيما بينهم فقال تعالى : واذا لقوكم قالوا آمنا » كذباً منهم وزورا وتغريراً لكم ليخدعوكم كما يخدع الطفل وتأثرتم بهذه الكلمة الواحدة التي قالها لكم هذا الكافر المخادع مع

ما جاءكم من الآيات البينات حيث إنكم لم تنتفعوا بها مع ان هؤلاء الذين يقولون لكم حين يلقوكم آمنا « وإذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ » . هذا الفعل وهو عض الانامل إنما هو من افعال الجاهل اذا تأسف على شيء فات منه أو رأى شيئاً يغيظه ولم يتمكن من تغييره جعل يعض أنامله ، اما العاقل المتوكل على الله فلا يفعل هذا الفعل وإنما يلجأ إلى ربه ويدعوه ليغير الشيء الذي يضره او يضر المسلمين ، وإن هؤلاء الاعداء من اهل الكتاب هم اليهود فانهم لما رأوا اتفاق المسلمين وتكاتفهم واجتماع كلمتهم ورأوهم يصدرون عن رأي رسول الله (ص) المأخوذ من الله عز وجل لم يجدوا سبيلاً إلى تفريق كلمتهم والقاء العداوة بينهم كما كانوا يفعلونه قبل الاسلام عملاً بالقاعدة المعروفة بين الناس « فرق تسد » إذا رأوا ذلك من المسلمين وخلوا فيما بينهم يعضون أناملهم من الغيظ تأسفاً . وهنا ايضاً علم الله المسلمين ما يفعلونه مع هؤلاء الكفرة فقال لنبيه أو أنه خاطب كل مسلم بقوله تعالى : « قل موتوا بغيظكم » اي ايها المسلمون اذا رأيتم اعداءكم متألمين ومتأسفين من تآلفكم واتحاد كلمتكم ومساندة بعضكم لبعض فلا يهمكم ما هم فيه بل قولوا لهم أو نادوا بصوت واحد « موتوا بغيظكم » اي اطلبوا من الله ربكم الذي أنعم عليكم بالألفة ومحبة بعضكم لبعض اطلبوا منه ان يميتهم على هذه الحالة من الغيظ اي اطلبوا من الله ان يبقيكم في الفة واتفاق ومحبة فيبقون هم في غيظ واسف الى ان يموتوا . هذا امر الله وارشاده للمسلمين ، فهل امتثل المسلمون هذا الأمر وهل عملوا بما ارشدهم اليه ربهم ؟ وهل بقي الاعداء في غيظ وكمد واسف ؟ كلا فلا المسلمون بقوا في إتفاقهم وإلفتهم وعزهم ولا الكافرون بقوا في أسفهم وغيظهم بل انعكس الامر بعد

رحلة النبي (ص) إلى دار البقاء فان الكافرين قد حصلوا على ما يريدون وتمكنوا من تفريق المسلمين والقاء العداء بينهم حتى صاروا ثلاثاً وسبعين فرقة ، فهل تركوهم حين وصلوا الى هذا العدد ؟ كلا إنهم فى هذا العصر اكثر تصرفاً فى شوؤن المسلمين وأشد ايذاء لهم ، وهم يطمعون أن يجعلوا عند كل فرد منهم عشرة من المسلمين ليكونوا عبيداً لهم ، فلا يتخلص المسلمون من شرهم وكيدهم ونفاقهم حتى تكون بين جميع المسلمين الفة واخوة ومحبة وترتفع هذه الحزازات والعداوة وبعبارة اجلى حتى يجعلوا اعمالهم وقوانينهم موافقة لاحكام القرآن ويمنعوا كل شيء حرمه القرآن من خمر وقمار وربا ورقص وغناء ولكن أنى يكون هذا والكافر معهم في كل وقت ، واذا اراد احدهم ان يفعل شيئاً من هذا يخدعه الكافر بقوله الباطل بأن فعل هذا خلاف التقدم والتمدن فاذا فعلته سوف تتأخر بلادك وشعبك حتى يصرفه عن فعله . فنقول للمسلمين اذا أردتم ان يرجع اليكم مجدكم السابق فتمسكوا بكتابكم وبشريعة نبيكم ولا تخالفوها واعملوا بهذه الآيات التي مرت عليكم وبالآيات التي تأتي بعد ذلك .

وبعد ان بين الله لكم هذه الأحكام وكشف لكم هذه الأسرار ذكر لكم أمراً عاماً يكون فيه بشارة للمسلمين ونقمة على الكافرين فقال تعالى :

« ان الله عليم بذات الصدور » أي ان الله الذي أخبركم بهذه الأسرار وهذه الأمور التي اراد عدوكم ان يكيدكم بها لأنه عليم بذات الصدور أي بكل شيء في الصدر من خير او شر فيعلم مافي صدورهم من غيظ وحنق وبغضاء وماهو اخفى منها . وذات الصدور هي الصور العلمية المتمكنة في الصدور ، وانما تكون بشارة للمسلمين لان

الله يخبرهم بكل شيء يحدث ويتجدد فى صدور الكافرين فيأخذوا حذرهم منه ، فينبغي للمسلم ان يكون امله الدنيوي والاخروي بالله ولا يأمل غيره ولا يخالف امر الله ولا يوالي عدو الله ، فانه ان والى عدو الله صار من اعداء الله ، وان الله كما يعلم ما في صدور الكافرين كذلك يعلم مافي صدور المسلمين الذين يوالون الكافرين ويكشفون لهم أسرار المسلمين فيعوضونهم عن هذه الخيانة بشيء من مال الدنيا الفانية ، ويغفل هذا الذي يدعي الاسلام من ان الله مالك الدنيا والآخرة « وإنه يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء » فالله عالم بسريرته وضميره ، فان المسلمين اذا صلحوا كلهم وكان الخائن واحداً فانه يفسد عليهم أمرهم فلا يمكنهم الاصلاح حتى يقتلوا هذا المفسد الذي ينقل اخبارهم الى الكافرين أو يسجنوه حتى لا يصل الى الكافر . ثم إن الله تعالى أخبرنا بسر آخر من أسرار اعدائنا التي انطوت عليها صدورهم ولم يظهروها الى الخارج ولكن الله العليم بذات الصدور أخبرنا به لنعرف ولنصدق أنهم اعداء لنا فقال تعالى :

(ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها) (١) ان هذه الصفة التي ذكرها الله للمسلمين واخبرهم انها من صفات عدوهم لهي من اقوى الادلة واكبر الحجج على شدة عداوة اهل الكتاب للمسلمين فان الانسان اذا كان يستاء ويحزن ويتألم بما يصيب المسلمين من الامور الحسنة كزيادة الرزق والغلبة فى الحرب وتأكد الالفة والمحبة بينهم فهذا الذي يستاء لذلك هو من اعدى الاعداء لهم ، ثم اذ اصاب المسلمين ما يسؤهم من محنة او اختلاف في الرأي او تفرق في الدين او تسلط عـدو عليهم فان اهل الكتاب المتقدم ذكرهم يفرحون بهذا ويأنسون به

(١) آل عمران آية ١٢٠ .

وهذه ايضا اعظم حجة على عداوتهم الشديدة للمسلمين وبغضهم لهم ، فهذا العدو اللدود لا ينبغي للعاقل ان يقرب اليه ويواليه ويبين له اسراره فانه يجتهد في افساد امره وابطال عمله . فهل عرفت ايها المسلم ان الله كشف لنا جملة من اسرارهم التي اضمروها لنا وستروها عنا ونحن لا نعلم بشيء منها ولكن من رأفة الله بنا اخبرنا بها لنكون على بصيرة من امرنا ، واني ارى ان اعدد لك الامور التي اضمروها لنا الاعداء في صدورهم واخبرنا بها الله لتعرف نعمة الله على المسلمين فتكون مسلما كاملا وذلك بعد ان أمرنا الله ان لا نتخذ منهم بطانة .

١ ـ قوله (لا يألونكم خبالا (٢) (ودوا ما عنتم) (٣) (وما تخفى صدورهم اكبر) (٤) (ولا يحبونكم) (٥) (اذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ) (٦) ، ان تمسسكم حسنة تسؤهم (٧) « وان تصبكم سيئة يفرحوابها » .

هذه الامور السبعة كلها كانت مخفية في صدورهم لا يعرف المسلمون عنها شيئاً وكانوا يتربصون بكم فكلما وجدوا مجالاً لتنفيذها كلها او بعضها نفذوه وان الله قد اخبركم بها واطلعكم عليها وابطل جميع محاولاتهم بهذا الاخبار وأمركم في أول الأمر ان لا تتخذوا منهم بطانة ، وفي كل هذه الأمور تكون الحجة قوية على المسلمين ممن خالف أمر الله واتخذ ولياً من الكافرين فان حجة الله عليه مؤكدة فيكون العذاب عليه أشد وأبقى ، ثم بعد ذلك ارشدنا إلى الطريق والعمل الذي نسلم به من غوائل العدو ولا يضرنا كيده ، ونفس هذا العمل يحرز لنا النجاة في الآخرة والراحة في الدنيا والنصر على هذا العدو فقال تعالى تكملة الآية (رقم ١٢٠) « وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما تعملون محيط » .

أمرنا الله بالآية بالصبر على عداوتهم وعلى التكاليف الشاقة والصبر

عن ملاذ المحرمات وأمرنا بالتقوى والتحرز عن موالاتهم وعن المعاصي وإن اكبر المعاصي موالاتهم ، فان الآيات السابقة والأخبار عما في صدورهم كلها لإجل التحرز عن موالاتهم ومع كل هذه التأكيدات فانه يوجد بعض الناس لهم نفوس خبيثة لا يؤثر فيهم شيء ولذا ذكر الله في آخر الآية كلمة فيها نوع من التهديد لمريدي السوء ، وفيها وعد بحسن الجزاء لمريدي الخير فقال تعالى : « إن الله بما تعملون محيط » علمه محيط باعمالكم واقوالكم ونياتكم يعلم ما تعملونه من خير أو شر ويعلم مقدار صبركم ومقدار تقواكم ويعلم من يوالي الاعداء ومن يوالي المؤمنين لانه قال في اول الآية حين وجه النداء إلى المؤمنين « لاتتخذوا بطانة من دونكم » فبطانة المؤمن يلزم ان يكون مؤمناً أي ان المؤمن لا يجوز له أن يكشف أسرار المؤمنين التي من شأنها معاملة الكافرين ومقابلتهم الا لمؤمن مثله . تذكر كيف أوصى اليهود بعضهم بعضاً حين قال الأحبار لاتباعهم « لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم » وانت ايها المؤمن الله يوصيك ويعلن لك إعلاناً ويقول بصورة جهرية « لاتتخذوا بطانة من دونكم » حتى يسمع اليهود والنصارى ان الله قد نهى المسلمين من إتخاذهم بطانة ويعرفوا أن من اتخذهم بطانة بعد هذا النهي فانه خائن للمسلمين فلا يحسبوه على المسلمين ، والمسلمون اذا اطلعوا عليه لا يحسبونه مسلماً والله لا يحبسه مسلماً لا في الدنيا ولا عند الموت ولا في الآخرة ، ولا يخفى على ذلك الشخص الذي يوالي اليهود والنصارى ان اليهود لا يحسبوه يهودياً لانهم لا يأتمنونه على أسرارهم التي تواصوا بينهم ان لا يبدونها إلا لمن تبع دينهم وكذا لا يحسبه النصارى مسيحياً لأنهم لا يبدون له أسرارهم التي يعاملون بها من يستعمرونه من المسلمين .

اعرفت الآن مصيرك يا من تسمي نفسك مسلماً وانت تتولى اليهود والنصارى ، أما أنا وغيري من المسلمين فلا نعرفك مسلماً لان الله ورسوله والمسلمين لا يدعونك مسلماً ولا يقبلونك ان تكون واحداً منهم لا حياً ولا ميتاً ، وأما اليهود فلا يعدونك يهودياً ولو صرفت عمرك فى خدمتهم ، واما النصارى فلا يعدونك نصرانياً . فأين تذهب وإلى أي امة تنتمي ، فان الله اعلم بمصيرك فلابد ان يلحقك بامة من الأمم . فاعرف نفسك ولا تبقى مجهول الجنسية عند جميع الملل والامم واسأل الله الهداية للجميع والسلام على من اتبع الهدى .

قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة واتقوالله لعلكم تفلحون » (١) .

الربا باب من الابواب المحرمة في الدين الاسلامي وقد ذكره الفقهاء فى الرسائل العملية التي يكتبونها للعوام ليعمل على طبقها وذكروا له شروطاً وقواعد . فهو اي حرمة الربا مما اتفق عليه جميع فرق المسلمين ولكنه بالرغم من هذا الاتفاق فان جميع الحكومات الاسلامية تتعاطاه وتتعامل به مع شعبها او مع حكومة أخرى وانالله قد خص المؤمنين بالنداء ووجه لهم نهياً صريحاً « لا تأكلوا الربا » فلو اخذه المسلم وصار في قبضته وتحت تصرفه فلا يجوز له أن يأكل منه شيئاً بل يجب عليه ان يرده إلى صاحبه الذي اخذه منه ، وكل من يعد نفسه من المؤمنين ويشمله النداء فلا يجوز له التعامل به ، والربا هو اخذ الزيادة على ما يدفعه الانسان لآخر سواء تكررت أم لا ولا فرق فيما يأخذه سواء أكله أم لم يأكله ، وقد فصلت احكامه في كتب الفقه والمقصود هنا تفسير الآية الشريفة فان الله قد نهى المؤمنين

---

(١) آل عمران آية ١٣٠ .

عنه وجعل اجتنابه والبعد عنه وعدم التناول منه علة موجبة للفلاح ثم قال في آية ١٣١ .

« واتقوا النـــار التي اعدت للكافرين » فانه يظهر من الآية الشريفة ان التناول من الربا يسبب دخول النار ، وان تركه وعدم أخذه منه اتقاء النار التي اعدت للكافرين ثم قال آية ١٣٢ .

« واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون » .

ان اطاعة الله والرسول واجبة على كل من صدق بالنبي وصار من المسلمين ، ومعنى ذلك ان يفعل الواجب ويترك المحـرم فيكون الامر بالاطاعة هنا بعد النهي عن اكل الربا تأكيداً لبيان حرمته ، وان العصيان هنا في امر الربا لازمه عدم اطاعـة الله والرسول ، ومن لم يطع الله والرسول فالرحمة بعيدة عنه ، اما المطيع لله ولرسوله في ترك الربا فالرحمة قريبة منه .

وقد وردت اخبار كثيرة في عقاب آكل الربا وان الدرهم الواحد اعظم من سبعين زنية ، وروي عن النبي (ص) ان الله لعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه ، وروي أنه قيل للصـادق (ع) ان الله تعالى يقول « يمحق الله الربا ويربي الصدقات » وقد نرى الرجل يزني وماله يكثر ، فقال عليه السلام « يمحق الله دينه وان كان ماله يكثر » وروي عن النبي قال : « من اكل الربا ملأ الله بطنه نار جهنم بقدر ما أكل فان كسب منه مالاً لم يقبل الله شيئاً من عمله ولم يزل في لعنة الله وملائكته ما دام معه قيراط » وحكي عن دعوات الراوندي « أنه لما أسري برسول الله (ص) رأى نهراً احمر مثـل الدم واذا في النهر رجل سابح يسبح واذا على شاطيء النهر رجل عنده حجارة كثيرة واذا ذلك السـابح يسبح ما يسبح ثم يأتي عنـد ذلك الرجل فيفغر له فاه

فيلقمه حجراً فينطلق فيسبح ثم يرجع اليه وكلما رجع اليه فغر له فاه فالقمه حجراً فسئل النبي (ص) عنه فقيل « انه آكل الربا » والاخبار في ذلك كثيرة .

قوله تعالى : « وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض اعدت للمتقين » (١) .

لما نهى الله المؤمنين عن اكل الربا وبين لهم ان تعاطيه يوجب النار حثهم ورغبهم في هذه الآية على ما يوجب المغفرة ودخول الجنة وان احسن شيء يوجب المغفرة هو اجتناب المعاصي المعبر عنها فى القرآن الكريم وفي الأخبار بالتقوى .

فقال تعالى بعد بيان ان الجنة عرضها السماوات والأرض « أعدت للمتقين » أي ان الجنة هيئت للمتقين ثم ذكر الله بعض اوصاف المتقين فقال « الذين ينفقون أموالهم في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » (٢) .

أول وصف وصف الله به المتقين هو انفاق المال في السراء والضراء لأن المال هو اعز شيء عند الانسان بعد النفس ولكن الانسان المسلم اذا طلب غفران الله والجنة هان عليه بذل المال فى حال العسر واليسر كما عن بعض ، او في حال السرور او فى حال الاغتمام ، والمقصود أنهم ينفقون الأموال في كل الأحوال بما يقدرون عليه لان احوالهم لا تخلو عن احد هذين الأمرين اما مسرة واما مضرة وقد تقدمت آيات كثيرة في الحث على البذل والانفاق فهو محبوب لله ورسوله .

ثم الوصف الثاني للمتقين قوله تعالى : « والكاظمين الغيظ »

---

(١) آل عمران آية : ١٣٣ .

(٢) آل عمران آية : ١٣٤

ومعنى كظم الغيظ هو ان يمتلأ الانسان غيظاً وغضباً على احد ويتمكن على امضائه والانتقام منه ولكنه لا يمضيه ويشد عليه ويمنعه من النفوذ وهذه الصفة ممدوحة في الشخص سواء أكان مؤمناً ام غير مؤمن لكنها قليلة جداً في غير المؤمن ، فان المؤمن إنما يتصف بها بعد ارشاد الله له فهو يضغط على نفسه ضغطاً شديداً حتى يمنعها عن امضاء غيظها لاجل التقرب الى الله ورغبة فيما وعد الله على ذلك من الثواب ، فقد روي عن الامام الصادق (ع) قال : « من كظم غيظاً ولو شاء ان يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضاً » وعنه عليه السلام قال : « ما من عبد كظم غيظاً إلا زاده الله عز وجل عزاً في الدنيا والآخرة » وقد قال الله عز وجل : « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » واثابه الله مكان غيظه ذلك ، وروي عن أبي جعفر قال : قال لي ابي : « يا بني ما من شيء اقر لعين أبيك من جرعة غيظ عاقبتها صبر وما يسرني ان لي بذل نفسي حمر النعم » والصفة الثالثة التي وصف بها المتقين قوله تعالى : « والعافين عن الناس » العفو هو ترك عقوبة المذنب أي ترك عقوبة من جنى عليك ـ أي اعتدى عليك ـ ابتداء فيصير لك الحق فى مؤآخذته بان تقتص منه فتعفو عنه فتكون من العافين عن الناس ، وقد امر الله عباده بالعفو في آيات عديدة ومدحهم على ذلك ، وورد الحث عليه في الأخبار وصدر العفو من النبي والأئمة عمن جنى عليهم ، فمن اعظم موارده عفو النبي (ص) عن اهل مكة جملة . وقد صدر منهم من الأذى عليه وعلى المسلمين مالا يحصى . روي عن الامام الباقر (ع) قال : « الندامة على العفو افضل وأيسر من الندامة على العقوبة » وعن الامام الصادق (ع) قال : « العفو عند القدرة من سنن المرسلين والمتقين » ، وقال امير المؤمنين : في النهج :

« اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه » ، وحكي عن الشهيد الثاني (قدس سره) قال : « ورد في خبر اذا جثت الامم بين يدي الله يوم القيامة نودوا ليقم من كان أجره على الله تعالى فلا يقوم إلا من عفا في الدنيا عن مظلمة » ، وروي عن الامام موسى بن جعفر (ع) انه جمع ولده يوماً فقال لهم « يا بني إني موصيكم بوصية فمن حفظها لم يضع معها إن أتاكم آت فاسمعكم في الاذن اليمنى مكروهاً ثم تحول الى الاذن اليسرى فاعتذر وقال : لم أقل شيئاً فاقبلوا عذره » وروي عن النبي قال : (عليكم بالعفو فان العفو لا يزيد العبد إلا عزاً فتعافوا يعزكم الله .

ثم إن هذه الصفات الثلاث التي ذكرها الله وهي ١ ـ الانفاق فى السراء والضراء ٢ ـ الكظم للغيظ ٣ ـ العفو عن الناس ، جعلها من نعوت المتقين اللازمة لهم فلا يصدق على احد انه من المتقين حتى يتصف بها ، ثم ذكر صفة أخرى وذكر انه يحب من اتصف بها مطلقاً ومن أي صنف كان وهي صفة الاحسان الى الغير فقال تعالى « والله يحب المحسنين » . فاذا كانت اللام للعهد تكون الاشارة الى هؤلاء المتصفين بصفات المتقين ، واذا كانت اللام للجنس شملتهم مع غيرهم وباب الاحسان باب واسع . وقد ورد الأمر به لجميع الناس ويكفي في حسنه وفضله هذه الجملة المذكورة هنا « والله يحب المحسنين » فان الله اذا احب عبداً اعطاه كل شيء ، واذا حصل العبد على العتق من النار ودخول الجنة فقد فاز فوزاً عظيماً .

ولنذكر لك من الأخبار ما يرغبك في الاحسان روي في البحار عن ابي جعفر الباقر (ع) قال « صنايع المعروف تقي مصارع السوء وكل معروف صدقة واهل المعروف في الدنيا اهل المعروف في الآخرة

وأهل المنكر فى الدنيا اهل المنكر في الآخرة ، واول اهل الجنة دخولاً الى الجنة اهل المعروف وان اول اهل النار دخولاً الى النار اهل المنكر وفي البحـار عن الصادق (ع) عن أبيه قال : قال رسول الله (ص) « ان للجنة باباً يقال لها باب المعروف لا يدخله إلا اهل المعروف » .

وروي عن امير المؤمنين (ع) قال : (إني لا عجب من أقوام يشترون المماليك بأموالهم ولا يشترون الاحرار بمعروفهم) ، وروي عن الامـام الصادق (ع) قال : (اهل المعروف فى الدنيا هم اهل المعروف في الآخرة لانهم في الآخرة ترجح لهم الحسنات فيجودون بها على اهل المعاصي) وهذا الخبر يتضمن ما روي عن النبي (ص) أنه قال : « اهل المعروف في الدنيا اهل المعروف في الآخرة قيل يا رسول الله وكيف ذلك ؟ قال يغفر لهم بالتطول منه عليهم ويدفعون حسناتهم الى الناس فيدخلون بها الجنة فيكونون اهل المعروف في الدنيا والآخرة »

وفي البحار روي عن النبي (ص) « من ادخل على مؤمن فرحاً فقد ادخل عليّ فرحاً ، ومن ادخل عليّ فرحاً فقد اتخذ عندالله عهداً ومن اتخذ عندالله عهداً جاء من الآمنين يوم القيامة » وروي لا يتم المعروف إلا بثلاث خصال ، تعجيله ، وتصغيره ، وستره فـاذا عجلته هنأته ، واذا صغرته عظمته ، واذا سترته أتممته . وروي عن الامـام الصادق قال : من سر مؤمناً فقد سرني ومن سرني فقد سر رسول الله ومن سر رسول الله فقد سر الله ، ومن سر الله ادخله جنته ، وروي أن جارية لعلي بن الحسين جعلت تسكب المـاء على يديه ليتهيأ للصلاة فسقط الابريق من يدها فشجه فرفع رأسه اليها فقالت الجارية ان الله يقول « والكـاظمين الغيظ » فقال (ع) كظمت غيظمي ، فقالت والعافين عن الناس ، قال : عفا الله عنك ، قالت والله يحب المحسنين

قال اذهبي فانت حرة لوجه الله . فعلى هذا يكون الاحسان صفة رابعة للمتقين ثم بعدها ذكر الصفة الخامسة لهم وهي قوله تعالى :

« والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » (١) .

لقد فسروا الفاحشة بالقبح العظيم ومثلوا له بالزنا ، والظاهر ان المراد منه الذنب العظيم فيعم جميع الكبائر ، أما ظلم النفس فقد فسره بعضهم بما هو اعظم من الفاحشة ، وفسره بعضهم بماهو أهون منها ومثل له بالصغائر . وعلى كل فان كل معصية كبيرة كانت اوصغيره فيها ظلم للنفس وبعضها يكون فيها تعد على الغير وظلم لهم وبعضها لم يكن فيها سوى ظلم النفس . وعلى كل فان الله يصف هؤلاء القوم اي المتقين بانهم اذا فعلوا معصية ذكروا الله إما بتذكر نهيه عن هذا الفعل او بتذكر عقابه أو انهم فى كل وقت يذكرون الله ولا ينسونه كما مر في تفسير قوله (فاذكروني اذكركم) فاذا ذكر الله لا يمكنه ان يبقى على حالته التي ارتكب فيها السيئة او لا يبقى ملتذاً بها كحالتها حين التلبس بل يندم ويأسف ويحس بألم يحز به من تلك المعصية فاذا ندم على فعله وذكر الله يستغفر الله ويطلب منه العفو والمغفرة إذ أنه لايجد ملجأ ولا يعرف احداً يغفر له تلك الفاحشة ويمحو عنه تلك المعصية الا الله وقد أيد الله هذه العقيدة أي انه لايغفر الذنوب أحد إلا الله ثم وصفهم بانهم اذا ندموا واستغفروا الله لا تتكرر منهم تلك المعصية او مطلق المعصية فقال تعالى : (ولم يصروا على ما فعلوا) اي ان المعصية التي فعلوها ثم ندموا عليها واستغفروا الله منها لا تتكرر

(١) آل عمران آية ١٣٥ .

منهم مرة ثانية لان ندمهم ناشيء عن ذكر الله وعن تدبر ومعرفة بالله وبعقوبته التي اعدها للمذنبين فهو يريد ان يتدارك هذا الظلم الذي أتى على نفسه ويرفعه عنها إذ لا طاقة له به ، ومن كان كذلك لا يكون سبباً لجلب ظلم آخر على نفسه إذ ليس لنفس واحدة وبدن ضعيف تحمل ظلمين من نوع أو نوعين يسببان عقابين ، فكيف اذا تكرر الظلم مراراً فوصل الى العشرات أو المئات ولذا قال تعالى في وصفهم « ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » اي لم يأتوا بهذه المعصية مرة أخرى وهم يعلمون أنها معصية إلا ان تصدر منهم جهلاً وخطأ لا عن عمد وعلم . وروي عن الباقر (ع) قال : الاصرار ان يذنب الذنب فلا يستغفر الله ولا يحدث نفسه بتوبة فذلك الاصرار وقد وردت الاخبار الكثيرة في الحث على الاستغفار وفوائده الكثيرة ، وروي عن النبي (ص) قال : « عودوا السنتكم الاستغفار فان الله تعالى لم يعلمكم الاستغفار إلا وهو يريد ان يغفر لكم » وعن محمد بن الريان قال كتبت الى ابي الحسن الثالث (ع) اسأله ان يعلمني دعاء للشدائد والنوازل والمهمات وان يخصني كما خص آباؤه مواليهم فكتب إلي « الزم الاستغفار » ، وروي عن الصادق (ع) قال : من استغفر بعد ذنبه بقوله : « أستغفر الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم الغفور الرحيم ذو الجلال والاكرام واتوب اليه » لم يكتب عليه شيء ، وروي عن النبي (ص) قال : اذا صليت العصر فاستغفر الله سبعاً وسبعين مرة تحط عنك عمل سبع وسبعين سنة ، وروي عن النبي (ص) قال : من ظلم احداً ففاته فليستغفر الله له فانه كفارة .

فعلى هذا يكون الاستغفار كفارة لظلم نفسه وظلم غيره . فالعاقل المعتقد بان الحسنات والسيئات كلها تكتب عليه وسوف يحاسب عليها

ثم يكون الثواب والعقاب عليها واعلم ان السيئة يمكن ان لا تسجل عليه أو يمكن محوها من الصحيفة بعد تسجيلها لا ينبغي له ان يتسامح في هذا الأمر ويبقيها في صحيفة مسجلة عليه وهو يجد لمحوها طريقاً . هذا هو الحكم العقلي الذي يسير عليه العقلاء فلا تغفل منه .

قوله : « يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين » (١) .

إن الآيات الناهية للمؤمنين عن إطاعة الكافرين متكررة وكثيرة في القرآن بتعابير مختلفة كما مرت عليك ، فتارة تقول لا تتخذهم أولياء وتارة تقول لا تتخذوهم بطانة اما التعبير في هذه الآية فانه ينبه السامع بان المتصف بهذا الوصف انسان مختل العقل او منافق لا يعقل شيئاً من الأمور الواضحة ، فان المؤمن إنما يقال في مقابل الكافر ، فهما لفظان متضادان فالمؤمن هو الذي آمن بالله وصدق الرسول وصلى الى الكعبة وصام شهر رمضان وجاهد الكفار . والكافر هو من لم يفعل شيئاً من هذه الأمور ، فاذا قيل ان فلان مؤمن مطيع للكافر ! يتعجب السامع من هذا الكلام ويلتفت الى المتكلم مستفهماً منه كيف يكون فلان مؤمناً وهو يطيع الكافر والمبادىء مختلفة ، فالمؤمن موحد والكافر غير موحد ، وهذا مصدق بالرسول وذلك غير مصدق ، وهذا يصلي الى الكعبة وذاك لا يصلي وهذا يصوم شهر رمضان وذاك لا يصوم ، والمسلم يحارب الكافر فكيف يحاربه وكيف يطيعه ، ومن اطاع شخصاً لا يحاربه ، فهو اذن ليس بمؤمن ، ومن حارب شخصاً لا يطيعه فالمؤمن المحارب لا يطيع الكافر فاتضح لك ان المؤمن لا يمكن ان يطيع الكافر ، فيكون قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا » تنبيهاً للبشر وتنبيهاً

(١) آل عمران : آية ١٤٩ .

للمؤمنين بان هذا الشخص المدعي للايمان وهو يطيع الكافر ليس بمؤمن وانما هو منافق فعلاً وسوف يرد على عقبه فينقلب حاسراً حتى من اسم المؤمن فانه دخل مع المؤمنين وانتسب اليهم ليحصل على هذا الاسم ولكنه لا يسمى مؤمناً بعد ما عرف أنه يطيع الكافر ، وقد ذكر المفسرون ان الآية نزلت في المنافقين إذ قالوا للمؤمنين يوم أحد يوم الهزيمة « ارجعوا إلى اخوانكم وارجعوا إلى دينهم » ، وقيل فى اليهود والنصارى سواء أكان القائل المنافقون أو اليهود فان الله جعلهم من الكافرين كما عبر عنهم كذلك وهم قد تهيأوا وتحفزوا لاضلال المسلمين بحيث بذلوا جهدهم كله لذلك ، ولذا تجد الآيات الكثيرة تحذر المسلمين وتنبههم وتخبرهم عن ضمائر اليهود المنطوية على الغل والحسد والمكر والخديعة ومع ذلك كله نرى جماعات من المسلمين موالين لهم ويطيعون أوامرهم وينفذونها في البلاد الاسلامية ، ونحن إنما نسميهم مسلمين لاجل ان يعرفهم الناس بهذا الاسم وإلا فهم لا يستحقون التسمية بهذا الاسم وحسابهم على الله في قوله تعالى :

« ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله ما يشاء فآمنوا بالله ورسله . وان تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم » (١)

قيل في سبب نزول هذه الآية إن المشركين قالوا لأبي طالب ان كان محمد صادقاً فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فان وجدنا مخبره كما أخبر آمنا به ، فذكر ذلك للنبي (ص) ، وقيل سئل المؤمنون ان يعطوا علامة ليفرقوا بها بين المؤمن والمنافق فنزلت الآية واذا كان المؤمنون هم طلبوا ذلك فانه ينبىء عن كثرة المنافقين في ذلك الزمان وان المؤمنين تأذوا منهم حيث إنهم يرون منهم بعض الافعال المنافية للدين

(١) آل عمران آية ١٧٩ .

امـا في هذا الزمـان فلقلة المؤمنين والمحافظين على ايمانهم نرى اكثر الناس لا يهتمون بكل شيء فيجالسون مرتكب الكبائر كشارب الخمر واللاعب بالميسر وآكل الربا وتارك الصلاة والزكاة والحج والصوم فلا يقاطعونه ولا يهجرونه بل يجالسون الموالي للكفرة والذي هو عين لهم المسمى (الجاسوس) نعوذ بالله منه وعلى كل حال فان الله وان لم يجبهم إلى ما سألوا اي لم يجبهم الى تشخيص المؤمن من المنافق بتعيين اسمه واسم أبيه وعشيرته بحيث يخبرهم ان فلان ابن فلان الاسرائيلي هو منافق وان فلان ابن فلان الاوسي او الخزجي هو مؤمن حقاً ، فانه وان لم يجبهم الى هذا الطلب ولكنه قال : « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب » « وما كان الله ليطلعكم على الغيب » اي ان الله لا يطلعكم على غيبه فتعرفون ضمائر القلوب وتطلعون على قلب المؤمن انه مؤمن وعلى قلب المنافق انه منافق ولكن الله يميزهم بالاختبار بما يكلفهم به من الاعمال الشاقة كالجهاد وأمثاله وكالامر باداء الحقوق من زكاة وغيرها ، وقد ذكر المفسرون أنه لما نزل قوله تعالى « إن الدين عندالله الاسلام » قال اليهود نحن مسلمون فلما نزلت آية وجوب الحج رفضوا الاسلام . وهؤلاء المسلمون الذين نراهم فى هذا العصر اغلبهم لا يفعل الواجبات ولا يجتنب المحرمات وهـذا يكفي في تمييز المسلم من غيره . وهناك شيء آخر يميز بين المسلم وبين غيره وهو حوادث الأيام التي حدثت فى هذه العصور ويمكن ان نعتبر هذه الحوادث من المميزات من قوله تعالى : « ولنبلونكم بشيء من الجوع والخوف ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين» .

وقد تقدم تفسير الآية في سورة البقرة ولكن ما اذكر ان احـداً فسر الصبر بالثبوت على الدين والتمسك به ، فانا قد رأينا كثيراً من

الناس قد خرجوا من دينهم عنـــد حدوث البدع من هذه الاحزاب الالحادية فانهم تركوا قوانين الدين وعند وصولي الى هذه الاية رأيت من الأقوى ان يكون المراد بقوله : (وبشر الصابرين) هو الصبر على الدين والثبوت عليه وعدم الخروج منه فان الله وان لم يجب طلب من اراد تشخيص المؤمن عن غيره ، ولكنه جعل له احكاماً كلفه بها واوجبها عليه واخرى حرمها عليه ففعل بعض النـاس بعكس ما امر الله ونهى ففعلوا المحرم وتركوا الواجب ، وهذا يكفي لتمييز المؤمن من المنافق وكذا يكفي التمييز بحوادث الأيام فانا رأينا اناساً كانوا يحضرون جماعة المسلمين فتركوها ، وجماعة كانوا يحضرون مجالسهم فتركوها بل صاروا يسخرون من المؤمنين ويعيبونهم ، ثم ان الله بين لنا انه يطلع من يجتبي من رسله على بعض الأمور الغيبية وان افضل رسله هو نبينا محمد فلابد ان يكون الله أطلعه على كثير من الأمور ، وان النبي (ص) قد أخبر باشياء غيبية كثيرة ثم بعد ذلك عين لنا ما يلزمنا فعله فقال « فآمنوا بالله ورسله » فان الذين طلبوا من الله بواسطة النبي (ص) ان يعرفهم بالمؤمن والكافر والمنافق وان يجعل بينهم فارقاً بيناً بحيث يعرفهم كل أحد اما ان يكونوا من المشركين او من المنافقين او من المؤمنين ثم بعدما بين الله لهم أنه لا يطلعهم على الغيب وانه لا يترك الناس على ماهم عليه بحيث لا يعرف المؤمن من الكافر والمنافق خاطب الجميع وأمرهم بان الذي يراد منهم ان يؤمنوا بالله ورسله . اما التمييز بين الطيب والخبيث فهو يرجع الى الله وهو عالم بهم ، وقد يحتاج النبي (ص) الى التمييز فان الله يطلعه عليه على مقتضى ما تلزمه المصلحة والحكمة وانتم أيها الناس من كان منكم مؤمناً او منافقاً او مشركاً فعليكم ان تؤمنوا بالله إيماناً حقيقياً ليس فيه شيء يفسده او يبطله وأن يكون

ايمانكم خالصاً ، وتعتقدوا بان الله وحده هو المطلع على الغيب ، وأنه قد إجتبى الأنبياء واختارهم من بين العباد وانهم لا يعلمون إلا ماعلمهم الله ولا يقولون إلا ما أمرهم به الله فعليكم ان تصدقوهم في كل ما اخبروكم به . فهذا الايمان بالله ورسله هو الذي ينجيكم من عذاب الله ويخلصكم من شر الكافرين ومن شر المنافقين . ثم ارشدنا الى اكثر من ذلك فقال : « وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم » اي من أراد ثواب الله في الآخرة ورغب فى الدرجات الرفيعة وكذا من اراد الراحة فى الدنيا فليتق الله وليجتنب معاصيه كلها ، واهم المعاصي واعظم الذنوب الشرك بالله ، واعظم منه النفاق فانه يبعد صاحبه عن رحمة الله إلا ان يتوب ، فالمؤمن الصادق في ايمانه الذي يوافق ظاهره باطنه هو الذي لا يترك شيئاً من الواجبات ولا يفعل شيئاً من المحرمات ولايفعل شيئاً يظن به او يحتمل انه لا يرضي الله ، وهذا هو المتقي وهو الذي وعده الله بالاجر العظيم والشيء الذي يصفه الله بالعظمة لا يتمكن الانسان ان يتصوره او يصل اليه وهمه .

وهو الذي ينبغي للعاقل ان يرغب فيه ويسعى للحصول عليه ، ولا يخفى على المؤمن ان الله عز وجل قد حقر الدنيا وذمها وهي وما فيها لا تساوي عنده جناح بعوضة ولم يعبر الله عنها في كتاب مما أنزله انها عظيمة فهذا الأجر الذي عبّر عنه انه عظيم لابد وان يكون احسن من الدنيا باجمعها والله يعطيه لعبده اذا اتقى معاصيه وعمل باوامره ، ومن جملة ما امر الله به المؤمن اخراج حقوقه التي فرضها عليه من ماله بمقدار معين فاذا بخل بهذا المال الحقير الذي هو جزء يسير من مال الدنيا بخل بهذا المال اليسير وزهد في ذلك الاجر العظيم فان الله بعدما عرفه من فوات ذلك الأجر ذكر له ان بخله بهذا اليسير لا ينفعه

شيئاً ، فان هذا المال سيفارقهم او يفارقوه حتماً وان هذا البخل سيجر عليهم وبالاً عظيماً اضافة الى فراقه لهم وفراقهم له وهـذا الوبال هو ما ذكره في قوله تعالى :

« ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » . (١)

فهذا الذي يجب عليه شيء من الخمس او من الزكاة او من سائر الحقوق فيبخل به ويمتنع من دفعه يظن ان هذا الامتناع فيه خير له وانه اذا ابقاه عنده ولم يدفعه يزيد ماله ولكن الله أخبره ان هـذا الامتناع هو شر له لا خير فيه وذلك لان الأمر باعطاء هذا المال اولاً هو من جملة مميزات الطيب من الخبيث فدفعه وبذله يلحقه بالطيبين ومنعه والبخل به يلحقه بالخبيثين ، وثانياً ان المنع والبخل وعدم البذل فيه شر لصاحبه في الدنيا والآخرة أما في الآخرة ، فهو ما ذكره الله بقوله « سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » ، ذكر بعض المفسرين ان المعنى سيلزمهم وباله الزام الطوق الذي لا ينفك ، وروي عن الباقر والصادق عليهما السلام قالا : « ما من احد يمنع من زكاة ماله شيئاً إلا جعل الله ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار مطوقاً في عنقه ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب وهو قول الله « سيطوقون ما بخلوا به » ، وعن الصادق عليه السلام قال : « ما من ذي زكاة مال نخل أو زرع أو كرم يمنع زكاة ماله إلا قلده الله تربة ارضه يطوق بها من سبع أرضين الى يوم القيامة ، وروي عن الباقر (ع) قال : « الذي يمنع الزكاة يحوّل الله تعالى ماله يوم القيامة شجاعاً من نار له زبيبتان فتطوقه ثم يقال له : « الزمه كما لزمك في الدنيا » وهو قول الله تعالى « سيطوقون

(١) آل عمران آية ١٨٠ .

مابخلوا به » ، وعن الصادق (ع) قال : « من منع قيراطاً من الزكاة فليس هو بمؤمن ولا مسلم ولا كرامة » ، وبهذه الرواية نعرف ان وجوب الزكاة هو احد المميزات بين الطيب والخبيث ، اي بين المؤمن والمنافق . فاعرف نفسك يا مدعي الايمان ، وروي عن الصادق (ع) قال : « إن لله بقاعاً تسمى المنتقمة فاذا اعطى الله تعالى عبداً مالاً ولم يخرج حق الله عز وجل منه سلط الله عليه بقعة من تلك البقاع فاتلف ذلك المال فيها ثم مات وتركها ، وفى كتاب علي (ع) : « اذا منعوا الزكاة منعت الارض بركتها من الزرع والثمار والمعادن كلها ، وفي رواية : « اذا منعت الزكاة ساءت حال الفقير والغني ، ومانع الزكاة احد من كفر من هذه الأمة كما في الرواية عن النبي (ص) : « كفر بالله العظيم عشر من هذه الأمة » ، وورد ان البخيل حق البخيل هو مانع الزكاة ، وفى رواية ان مانع الزكاة يحبس يوم القيامة بقاع قرقر ويسلط الله عليه شجاعاً أقرع يصير طوقاً في عنقه وهو احـــد السراق الثلاثة واذا قام القائم يضرب عنقه ، وما تلف مـال فى بر ولا بحر الا بمنع الزكاة ، وورد عن النبي (ص) : « ان مانع الزكاة ملعون ولا تقبل منه الصلاة ، واخرج النبي (ص) من المسجد خمسة نفر لأنهم لا يزكون ، وعن الصادق قال : « من منع الزكاة في حياته طلب الكرّة بعـد موته اشارة الى قوله تعـالى : « رب ارجعون لعلي اعمل صالحاً » ، وقال : « من منع قيراطاً من الزكاة فليمت ان شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً ، وقال اميرالمؤمنين (ع) في النهج : « ان الله سبحانه فرض في اموال الأغنياء اقوات الفقراء فما جاع فقير الا بما متع به غني والله تعالى جده سائلهم عن ذلك ، وعن علي (ع) قال : من كثر ماله ولم يعط حقه فانما ماله حية تنهشه يوم القيامة ، وعن

ابي عبدالله (ع) قال : « ما من ذي مال ذهب او فضة يمنع زكاة ماله الا حبسه الله عز وجل يوم القيامة بقاع قفر وسلط عليه شجاعاً أقرع يريده وهو يحيد عنه فاذا رأى انه لا يتخاص منه امكنه من يده فيقضمها كما يقضم الفجل ثم يصير طوقاً في عنقه ، والاخبار الواردة في عقاب تارك الزكاة كثيرة . واما كون البخل وترك العطاء شر لصاحبه في الدنيا فيفهم من قوله تعالى : « ولله ميراث السماوات والارض » أي إن كل ما في السماوات والارض هو ملك لله والله يعطي من يشاء ويمنع من يشاء ، وان المال الذي في يد الانسان يمكن زواله باسرع وقت وان لم يذهب في حياته فانه يفارقه بعد موته ، وان الله قد وعد المنفقين ان يعوضهم اضعاف ما انفقوا فان كانوا مؤمنين بالله فلا ينبغي لهم ان يبخلوا وان لم يصدقوا بوعد الله فهو ما قاله الله : « ما كان ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب » فان هذا الباخل قد ميز نفسه عن المنفق المصدّق بوعد الله الممتثل لأمر الله ثم قال الله بعد ذلك « والله بما تعملون خبير » فان كان هذا البخيل مؤمناً بالله وصفاته وعلمه المحيط بكل شيء وأنه عالم ببخله ومنعه لهذا الحق الواجب ومؤمن بكرمه ووفائه بعهده وأنه وعد المنفق بالعرض المضاعف ومع كل هذا يبخل بما أمر ان ينفقه فهذا هو من موارد التمييز « حتى يميز الخبيث من الطيب » قوله تعالى :

« كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » (١) .

اما الجملة الأولى وهو قوله « كل نفس ذائقة الموت » فلا يشك

---

(١) آل عمران آية ١٨٥ .

فيها احـد ، وكل فرد يعلم علماً يقيناً أن مصيره الى الموت مهمـا كان دينه ومهما كانت عقيدته ولكن ينبغي العلم فى كيفية الموت وحـالاته واطواره وما يراه المرء حين الموت وما يسمعه من امور تسره رؤيتها وسماعها أو يسوءه ذلك قال تعالى فى سورة القيامة « كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق الى ربك يؤمئذ المساق » .

اما التي تبلغ التراقي فهو روح الانسان حين خروجها من جسده فاذا وصلت إلى التراقي يقطع بأنه الموت ولكن امله لاينقطع عن الدنيا ويأمل العود اليها ويأمل ان تعود الروح إلى جسده ويبرأ من مرضه ، ولذا يقول « هل من راق » ، فقد روي عن ابي جعفر (ع) انه سئل عن قول الله عز وجل « وقيل من راق » قال ذلك قول ابن آدم اذا حضره الموت قال : هل من طبيب هل من دافع قال و« ظن انه الفراق» يعني فراق الاهل والا حبة عند ذلك قال « والتفت الساق بالساق » قال : التفت الدنيا بالآخرة ، قال « الى ربك يؤمئذ المساق » قال إلى رب العالمين يؤمئذ المصير ، وروي أنه قيل لامير المؤمنين (ع) صف لنا الموت « قال على الخبير سقطتم هو احد ثلاثة أمور : يرد عليه اما بشارة بنعيم الأبد ، وإما بشارة بعذاب الأبد ، وإمـا تحزين وتهويل وأمره مبهم لا يدري من اي الفرق هو . فاما ولينا المطيع فهو المبشر بنعيم الأبد ، واما عدونا المخالف علينا فهو المبشر بعذاب الأبد ، واما المبهم أمره الذي لايدري ما حاله وهو المؤمن المسرف على نفسه لا يدري ما يؤل اليه حاله يأتيه الخبر مبهماً مخوفاً ثم لن يسويه الله عز وجل باعدائنا لكن يخرجه من النار بشفاعتنـا فاعملوا واطيعوا ولا تتكلوا ولا تستصغروا عقوبة الله عز وجل ، فان من المسرفين من لا تلحقه

شفاعتنا إلا بعد عذاب ثلثمائة الف سنة » . فعلى هذا يكون الانسان حين الموت مفاجأ باحد هذه الامور الثلاثة : وهي امور مهمة لاينبغي للانسان ان يتسامح في تحصيل الاول منها وهو البشارة بنعيم الابد ولو كان هذا الأمر لا يحصل الا بترك الدنيا باجمعها لأن هذه البشارة تظمن له النعيم الى ما لا نهاية له ، فليس من العقل التسامح به وهو لا يحتاج إلى زيادة عمل تشغله عن أمور دنياه اللازمة له ، فقد سئل اميرالمؤمنين فقيل له « ما الاستعداد للموت ؟ قال : « أداء الفرائض واجتناب المحارم والاشتمال على المكارم ثم لا يبالى اوقع على الموت أم وقع الموت عليه ، والله لا يبالي ابن ابي طالب اوقع على الموت ام وقع الموت عليه .

وهذه الامور التي جعلها الامام استعداداً للموت هي الصفات التي وصف الله ورسوله بها المؤمنين في مقامات عديدة ، فالمؤمن هو الذي يؤدي الفرائض التي اوجبها الله عليه ويجتنب المحرمات التي نهاه الله عنها ، وأما الاشتمال على المكارم فالشرع والعقل يحكمان بحسنه ، فاذا اجتمعت في المرء هذه الامور الثلاثة كان من المؤمنين والله تعالى قد وعد المؤمنين بالأمن والأماني عند الموت وبعد الموت ، ووعده بالدرجات العلى والفوز بالجنان ، ولذا قال الامام أمير المؤمنين من كانت فيه هذه الخصال الثلاث لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه ، وقد وردت الأخبار بان قبض روح الكافر والفاجر في غاية الشدة وكانه قرض بالمقاريض ونشر بالمناشير هذا بالنسبة إلى الموت . وأما مايكون بعد الموت فهو امور شداد واهوال صعاب وقد اشارت الآية الاخرى وهي قوله : « وانما توفون اجوركم يوم القيامة » هذه الآية وآيات اخرى كثيرة تعرفنا بيوم القيامة وحشر الناس وحسابهم واعطاء كل انسان

مايستحقه من الثواب أو العقاب ، ثم ذكر في الآية الأخرى أن النجاح والفوز العظيم الذي يتخلص به الانسان من جميع الشدائد والاهوال هو ان يعطى الانسان براءة من النار والآية هي قوله تعالى : « فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز » لقد نزلت الآيات الكثيرة في وصف الجنة والنار وكذا وردت الروايات في وصفهما ، وذكر النبي (ص) لما اسري به إلى السماء أنه رآهما ثم وصفهما لنا ، وفي الآيات والأخبار الحث والتشويق على اكتساب الجنة والتحذير الكثير في الابتعاد عن النار والعقل السليم يحكم حكماً باتاً على وجوب الابتعاد عن الضرر المتيقن وعن الضرر المظنون أو المحتمل ، ثم نبهنا الله تعالى على ان الدنيا شيء زائل ولا ينبغي للعاقل أن يرضى بشيء زائل بدلاً عن شيء دائم ثابت أحسن من ذلك الزائل باضعاف مضاعفة بل الدنيا كلها من أولها إلى آخرها لا تساوي لذة ساعة من ساعات الآخرة . فتأمل أيها العاقل في قوله تعالى : « وما الحياة الدنيا الامتاع الغـرور » كل انسان لابد وان يكون قد ابتلى في عمره يوماً بانسان غره وخدعه وباع عليه شيئاً معيباً لا يساوي عشر القيمة التي اشتراه بها فهذا الانسان المخدوع المغرور تراه يأسف غاية الأسف حتى أنه يريد أن يقطع أنامله من الغيظ على ذلك البائع الذي غره وخدعه ، فالله سبحانه يمثل الدنيا كلها باسرها بما فيها من زينة وفتنة وملاذ ونعيم يمثلها بسلعة إشتراها انسان فظهرت معيبة غرّه البائع بها فندم عليها المشتري وهذه السلعة تمتع بهاصاحبها ساعة من الدهر ثم انقضت ولم تعـد ، فالذي ينهمك في الدنيا وينغمس في ملاذها ويغفل عن آخرته ويترك واجباته يكون آخر أمره الندم والأسف . وأما الذي يعمل لآخرته ولا يأخذ من الدنيا إلا مقدار بلغته التي تؤذيه وتوصله إلى عمل الآخرة فهذا هو الناجح وهو الفائز

الذي فاز بدخول الجنة والبعد عن النار ، وحيث ان هذه المنزلة وهذا المقام لا ينال بالراحة والتنعم وانما يحصل بالعناء والتعب والشدة في الدنيا فقد نبهنا الله لذلك فقال تعالى «ولتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً » (١)

المقصود من البلوى هو الاختبار والامتحان لاجل ان يتميز الخبيث من الطيب والمطيع من العاصي والمؤمن من المنافق ، ثم الابتلاء تارة يكون بالاموال وقد قدمت على النفوس في هذه الآية فان بعض الناس يقدم ماله على نفوس سائر البشر والابتلاء بالاموال هو إخراج حقوق الله منها وما يصيبها من التلف ، وتارة يكون الابتلاء بالنفوس وهو على أنواع أما قتل وأما أسر وأما جرح وإما مرض أو غيرها مما تكون معرضة له ، وهذه الامور التي ترد على الأموال والنفوس إذا كانت في سبيل الله وفي رضاه يكون بها الاختبار والابتلاء أما اذا كانت في غير سبيل الله كبذل المال في المعاصي والقتل والاسر والجرح وفي حروب جاهلية غير شرعية فهذه مما يعاقب عليها الانسان ، وبعد ما اخبرنا الله أنه يختبرنا بالمال والنفس اخبرنا بان يختبرنا ايضا بما يؤذينا من الكلام الذي نسمعه من اليهود والنصارى ومن المشركين ، وهذا الكلام الذي يؤذي المؤمنين كان في الزمان الأول هو هجاء النبي (ص) والطعن في الدين وشتم المؤمنين وسبهم فانه كان يؤذي المؤمنين وقد اخبرهم به الله قبل وقوعه ليوطنوا عليه أنفسهم حتى إذا سمعوه لا يخرجون عن حالاتهم الطبيعية ويتمكنوا من الصبر ، أما في زماننا هذا فالمسلمون يؤذيهم من الكلام مايقال لهم انكم غير متمدنين وإنكم متمسكون بامور كم

(١) آل عمران آية ١٨٦ .

القديمة فانتم رجعيون وهذا الزمان يلزمه اشياء جديدة ، واذا قالوا له ذلك يحمله هذا الكلام على رفض الدين والأخذ بقواعد اليهود والنصارى

وذكر بعض المفسرين ان الآية نزلت في رجل من اليهود اسمه كعب بن الاشرف فانـــه كان يهجو النبي والمؤمنين ويحرض المشركين عليهم ويشبب بنساء المسلمين فقال النبي (ص) من لي بابن الاشرف فقال محمد ابن سلمة انا يارسول الله فخرج هو وأبو نائلة مع جماعة فقتلوه غيلة واتوا برأسه إلى النبي آخر الليل وقد بلغ عدد المسلمين اليوم (٧٠٠) مليون نسمة واليهود ينادون من اذاعاتهم بسب هذه الفرقة من المسلمين وعيب فرقة اخرى ونقد فرقة ثالثة ولا يتأذى أحد من المسلمين بذلك.

وعلى كل حال فان الله قد أخبر المسلمين كلهم ماتعاقبوا وتناسلوا بانه مبتليهم بهذه الامور وهي الأموال والانفس والسماع من أهل الكتاب ومن المشركين كلاماً يؤذيهم ثم قال لهم « وان تصبروا وتتقوا فـــان ذلك من عزم الأمور » (١) فالمؤمن اذا ابتلى بالمال أي اذا صار صاحب مال فعليه ان يخرج حقوقه الشرعية ، واذا ابتلى بالنفس باحد العوارض المتقدم ذكرها فعليه ان يصبر وان يتقي الله بحيث لا يترك شيئـاً من الواجبات بسبب ابتلائه ولا يفعل شيئاً من المحرمات ، واذا سمع كلاماً من اهل الكتاب مخلاً بالنبي أو بالدين أو بسائر المؤمنين او بسائر المسلمين فعليه أن يرده ويبطل ماجاؤا به ، فاذا لم يتمكن من ذلك ولا يمكن أن يفعل معه كما فعلوا بكعب بن الاشرف فعليه ان يصبر ويتوكل على الله ويطلب منه ان ينتقم من الكافر ، ثم مدح الله المؤمن الذي اتصف بهذه الصفات بقوله تعالى « فان ذلك من عزم الامور » أي المؤمن الذي يصبر ويتقي ويعتمد على الله فهو المؤمن الرشيد المصيب في افعاله

---

(١) آل عمران آية ١٩٦ .

ويلزمكم ان تكونوا كلكم مثله فان كنتم كلكم كذلك تكون لكم الغلبة ويكون لكم النصر وسوف تستولون على جميع العالم وتقهرون اعداءكم فكونوا كذلك تربحوا .

قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » (١) .

هذه آخر آية من سورة آل عمران . وحيث انه ذكر فيها أحكاماً كثيرة فانه في هذه الآية يوصيكم بوصية تنفعكم في الدنيا والآخرة وقد خص المؤمنين بهذه الوصية وانت أيها القارىء قد عرفت فيما تقدم من هو المؤمن ، هو المطيع لله في كل الامور ، هو الذي يفعل الواجبات ويترك المحرمات ويمتثل جميع الأوامر ، وهذه الوصية من جملة الأوامر فلابد وان يمتثلها المؤمن ولا يخالفها فقد أمره الله اولاً بالصبر على كل شيء لا يصبر عليه غير المؤمن ، فالصبر على فعل الواجبات الشاق منها وغير الشاق ، ولا ريب ان غير المؤمن لا يصبر عليها والصبر على ترك المحرمات وغير المؤمن من لا يترك المحرم الذي فيه لذة فان اغلب المحرمات لهو ولعب وزينة وتفاخر وتكاثر ولا يتركها الا المؤمن والصبر على المشاق والاعراض والامراض البدنية ، ثم بعد الامر بالصبر امرنا بقوله « وصابروا » والتصابر من التفاعل الذي يكون من جانبين كما تقول قاتل زيداً او فاخر عمراً وضارب بكراً وصارع خالداً ، فالتفاعل لا يتحقق إلا من فاعلين ، فيكون الظاهر من اللفظ ان على كل مؤمن ان يحث كل مؤمن على الصبر فاذا كان كل واحد يحث جميع الافراد على الصبر تحقق الصبر في الجميع ، وقد تبين ان الصبر انما هو على

(١) آل عمران آية ٢٠٠ .

الاحكام التي تقدم ذكرها في هذه السورة ، فالمؤمنون كلهم يتعاونون ويساعد بعضهم بعضاً على تنفيذ الأحكام ومقاطعة العدو ، ثم ان الله تعالى امر في هذه الآية باربعة اشياء ١ ـ اصبروا . ٢ ـ وصابروا . ٣ ـ ورابطوا . ٤ ـ واتقوا الله .

قال في تفسير الصافي (يا ايها الذين آمنوا اصبروا) على الفرائض (وصابروا) على المصائب (ورابطوا) على الائمة كذا في الكافي عن الصادق (ع) والقمي عنه (ع) اصبروا على المصائب وصابروا على الفرائض ورابطوا على الأئمة ، والعياشي عنه (ع) اصبروا عن المعاصي وصابروا على الفرائض ، وفي رواية اصبروا على دينكم وصابروا عدوكم ممن يخالفكم ورابطوا امامكم . وعن الباقر (ع) وصابروا على التقية ، وفي المعاني عن الصادق اصبروا على المصائب وصابروهم على الفتنة ورابطوا على من تقتدون به . انتهى كلام الصافي .

هذا ما في الروايات وكلام المفسرين في كلمة (ورابطوا) .

وامـــا قوله تعالى « واتقوا الله لعلكم تفلحون » فهي اي التقوى العمدة لما تقدمها من الامور الثلاثة وهي الأساس الذي يبتني عليه غيره من امور الدين فاذا رسخت التقوى في قلب أحد من العباد تم له كل شيء من امور الدين وحصل على كل خير ، وقد علق الله تعالى الفلاح عليها فان الامور التي تقدمت عليها تابعة لها وحاصلة بحصولها فمن تمكن من الاتصاف بالتقوى من الطرق المأخوذة عن الله بواسطة النبي أو بواسطة من عنده علم النبي فقد فاز فوزاً عظيماً ، أما اذا كان يعمل اعمال المتقين ويتعب نفسه ولكن عن غير الطريق الذي عينه الله لرسوله وبينه الرسول لوصيه ، وانما اختاره العبد لنفسه أو اختاره له امامه الذي لم ينصبه الله ولم يعرف جميع احكام الله وهذا العامل على النهج

المذكور المأخوذ عن غير الله هو كما ذكره الله تعالى في قوله : (قل هل أنبئكم بالاخسرين اعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً) (١) .

سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيباً » (٢) ان الله تعالى ختم سورة آل عمران بالامر بالتقوى للمؤمنين بعد ما امرهم باحكام كثيرة في السورة حيث انهم مصدقون بما يقول الله وقد امرهم بالتقوى ليمتثلوا ما أمرهم به وبيّن ان نتيجة التقوى هو الفلاح والفوز بالدرجات ، وفي هذه السورة أمر الناس جميعاً المؤمن والكافر بالتقوى وقرن الأمر بالدليل القاطع على انه الخالق الواحد القادر على ان يخلق من العدم نفساً واحدة والمقصود به آدم أبو البشر (ع) ثم يخلق من فضلة طينة ضلعه امرأة من جنسه ويخلق منهما هذا الخلق العظيم من رجال ونساء فحريّ بهؤلاء الناس ان يتقوا هذا الخالق وان يمتثلوا اوامره ولا يخالفوه بشيء من الأشياء ، وان هذه العلة موجبة للتقوى يحكم العقل بوجوبها بعد

(١) سورة الكهف آية ١٠٣ — ١٠٤ .

(٢) النساء : آية ١ .

معرفة كيفية الخلق التي بينها الله بهذه السورة المفصلة ولم يكونوا يعرفونها من قبل بل كانوا يعرفون شيئاً مجملاً من أمر الخالق وهو ان للسماوات خالقاً وهو خالقهم وكانوا يتساءلون به فكان يسأل بعضهم بعضاً بالله ان يسدي اليه نفعاً أو يدفع عنه ضراً وبعدما عرفوا انهم كلهم من رحم واحدة وان بعضهم رحم بعض صاروا يتساءلون بالله وبالرحم فان الله امرهم بالتقوى لما كانوا يعرفونه اولاً من امر الخلق ثم امرهم بالتقوى ثانياً لما عرفوا من كيفية الخلق وان بعضهم رحم بعض هذا ماعرفه سائر الناس من العالم والجاهل وإلا فالأسباب الموجبة للتقوى كثيرة، وان التقوى من اوجب الأمور على العبد ولا يخلصه شيء مما يخاف منه ويحذر وقوعه عليه غير التقوى، فانها أي التقوى: عبارة عن ترك كل شيء يحتمل فيه ان يكون جالباً لضرر ما وهذا الأمر يحكم العقل بوجوبه حكماً قطعياً باتاً ليس فيه تردد ولا شك، ومن لم يعمل فيه فقد غرر بنفسه وألقاها في الهلكة نسأل الله النجاة منها لجميع المؤمنين. هذا على عطف كلمة (الارحام) على موضع الجار والمجرور من (به) اما اذا كان معطوفاً على لفظ الجلالة وهي (الله) فيكون المعنى:

واتقوا الله واتقوا الارحام ان تقطعوها اي كما يجب عليكم التوقي والتحرز عن عقاب الله كذلك يجب عليكم التحرز عن قطيعة الارحام فان قطع الرحم موجب للعقاب، وقد وردت الأخبار الكثيرة في الحث على صلة الرحم والعقاب على قطعها كما سيأتي في بيان ذلك انشاء الله تعالى.

ثم بعد ما ثبت وجوب التقوى بامر الله وبحكم العقل على الانسان وبيان علة الوجوب كما ذكر في الآية اخبرهم الله ان العمل بالتقوى لا يتحقق بمجرد دعواهم بانهم عملوا بواجبهم بل ان الله يكون رقيباً

عليهم فيحصي اعمالهم الموافقة للتقوى والمخالفة لها فقال تعالى : (ان الله كان عليكم رقيبا) .

قوله تعالى :

« وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم إنه كان حوباً كبيراً » (١) هذه الآية الشريفة تأمر الناس الذين أوجبت عليهم ملازمة التقوى في جميع الامور تأمرهم الآن بالمحافظة على أموال اليتامى وان يدفعوها اليهم كاملة صحيحة من غير تصرف بها ، والظاهر من الآية ان الناس كانوا اذا تمكنوا من اموال اليتامى على قسمين فبعضهم يأخذها ويضمها الى ماله ويجعلها ملكا له ، وبعضهم يأخذ الجيد منها ويعطيهم مثله من المال الرديء وقد نهاهم الله عن كلا الأمرين وامرهم بدفع اموالهم بنفسها على ما كانت عليه فقال تعالى (وآتوا اليتامى اموالهم) وهذه جملة واضحة يعرفها كل عربي يريد ان يطيع الله . اما الذي يريد ان يعصي الله فيقول اني لا اعرف معنى هذه الجملة ولعل الشيطان يوحي اليه بعض الكلمات الموجبة التشكيك فيأكل مال اليتيم ولا يدفعه اليه .

وأما قوله : (ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) فيمكن ان يكون المراد لا تأخذوا اموالهم المحرمة عليكم وتعطوهم اموالكم الطيبة المحللة لكم أو لا تأخذوا اموالهم الجيدة الطيبة وتعطوهم اموالكم الرديئة الخبيثة او لا تتبدلوا اموال الدنيا الفانية الخسيسة باموال الجنة الباقية الطيبة او لا تتعجلوا الاموال المحرمة قبل ان يأتيكم الرزق الحلال الذي قدر لكم او لا تأخذوا الارث وحدكم ايها الكبار وتحرمون النساء والصغار منه وقد اختارت كل فرقة أحد هذه الاقوال . أما قوله : (ولا تأكلوا

(١) النساء آية ٢ .

اموالهم الى اموالكم) اي لا تضيفوا اموالهم الى اموالكم فتأكلوهـــا جميعاً ، ولا تخلطوا الجيد من اموالكم بالرديء من اموالكم فتأكلوها فانه في ذلك اجحافاً واضراراً بهم . قوله تعالى : (انه كان حوبـــاً كبيراً) الحوب : هو الاثم والذنب اي من يأكل شيئاً من أموال اليتامى باي طريق كان بما تقدم ذكره فقد ارتكب ذنباً عظيماً كبيراً ، والشيء الذي يصفه الله بالكبر لا يمكن للانسان ان يتصوره ويقدره فليس له إلا الفرار عنه والتخلص منه ، وقد نزلت آيات ووردت احاديث في عقاب اكل مال اليتيم ونكتفي بقوله تعالى : (الذين ياكلون مال اليتامى ظلماً انما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً) فليأكل المـــرء من مال اليتيم بمقدار مايقدر ان يكون في بطنه من النار اعاذنا الله من مال اليتيم ومن النار .

قوله تعالى :

« وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً » (١) هذه الآية والتي بعدها فيهما تهديد بعقاب دنيوي وعقاب اخروي وفيهما تعليم وتأديب للمسلمين في كيفية معاملة ايتام الناس وكيفية معاملة من يتركونه من اولادهم الصغار بل الكبار أيضا فان في تفسير الآية اربعة اقوال كما ذكر الشيخ الطوسي في التبيان .

احدها : النهي عن الوصية بما يجحف بالورثة فيكون النهي موجها الى الموصي بان يرأف باولاده ولا يضرّ بهم بصرف ماله في حياتـه بل يوصي بثلث ماله ويترك الباقي للورثة .

الثاني : ـ ان يكون الخطاب لمن يحضر عند الموصي المريض المشرف

(١) النساء آية ٩ .

على الموت من اصحابه حيث كانوا يقولون له عليك بنفسك لا تحرمها ولا تبق المال لاولادك واصرفه على نفسك فنهاهم الله عن ذلك ونصحهم بان يرأفوا باولاد الميت كما يرأفون باولادهم وان يحبوا لهم مايحبون لاولادهم .

الثالث : ان يكون الخطاب لمن يتولى حال اليتيم وهو كل من يكون وصياً وقيماً على بعض ايتام الناس فيأمره ان يكون اميناً محافظاً على هذا اليتيم وعلى ماله الذي بيده كما يحافظ على ولده وعلى ماله ، وكما يجب ان يكون الولي والقيم على مال ولده اميناً محافظاً غير خائن ولا متساهل ولا متسامح في حفظ مال ولده فليكن هو كذلك ، فان صار كذلك هيأ الله لولده من يحافظ عليه وعلى ماله ، واما اذا كان هو غير محافظ أو انه ارتكب شيئاً من الخيانة يكون الولي على ايتامه مثله فمن شاء ان تحفظ ايتامه من بعده في انفسهم واموالهم فليحفظ ايتام الناس

الرابع ان يكون الخطاب لمن يمنع المسلم ان يوصي لاقاربه بشيء من المال فيقولون للمريض اترك مالك لاولادك ووفر عليهم ولا تعطه لغيرهم ،ولا يخفى على القاريء ان الاقوال الاربعة كلها راجحة ومروية وان الاخذ بها راجح ايضاً . وأما الآية التي بعد هذه الآية هي قوله تعالى : « ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً » (١) فتفسيرها في بطون آكلي اموال اليتامى فمن شاء الاطلاع على تفسيرها أن كان من الآكلين لاموال اليتامى فسوف ينظر الى بطنه اذا القي في السعير ، وان كان من غير الآكلين واحب الاطلاع عليهم فانه سينظر اليهم نسأل الله ان يجير المسلمين منه .

قوله تعالى : (يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فأن كن

---

(١) النساء آية ١٠ .

نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ماترك وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلأمه الثلث فان كان له اخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بهـا أو دين آبائكم وابنائكم لا تدرون أيهم اقرب لكم نفعاً فريضة من الله إن الله كان عليمـا حكيما .

قوله تعالى : (ولكم نصف ماترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بهـا أو دين . وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو اخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم) (١) .

الشرح : ـ ان هاتين الآيتين ليستـا من موضوع هذا السفر فان احكامهـا وان كانت لازمة على كل أحد ولكنها ليست من الصفات التي نحن بصددها وهما في بيان فرائض ورثة الميت الذي انسلخ عن ملكيته ماكان يملكه حال حياته وقد عين الله للملكية ماله انـاساً آخرين ورتبهم على طبقات وان الطبقة المتأخرة لا ترث مع وجود الطبقة المتقدمة ولا يجوز لأحد غير الطبقة التي عينها الله إن يأخذ من المال الموروث شيئاً فان الورثة يكون فيهم الكبار والصغار والحاضر والمسافر والعاقل والمجنون والسفيه والرشيد والذكر والانثى فيلـزم أن يشخص لكل فرد حقه المعين له ويعطى بيده ان كان بالغاً عاقلاً رشيداً والا فيودع عند شخص أمين ليصرف عليه حسبما تقتضيه مصلحة القاصر

(١) النساء آية ١١ ـــ ١٢ .

حتى يبلغ سن الرشد .

لقد بيّن سبحانه طبقات الوارثين فقال عز اسمه : (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم) (١) اي ان هذه السهام وهذه الفروض التي فرضها الله لكل واحد من الآباء والامهات والاولاد والبنات والاخـوة والاخوات وغيرهم من طبقات الورثة هي حدود الله . والحد هو الحاجز الذي يكون بين الدارين او الحديقتين أو بين قطعتي الارض ، فاذا جعل الملك القوي او جعلت لجنة التحكيم حداً بين ارضها او حديقتها وبين ارض او حديقة لشخص آخر وكان ذلك الشخص ضعيفاً حقيراً مهيناً فقيراً ذليلاً ليس له قدرة على ان يتحرك بحركة واحدة بالنسبة الى هذا الحد ثم انه تجاوز الحد في بعض الايام واخذ من ارض اللجنة الحاكمة فما ترى الذي تفعله اللجنة في حقه وهي ذات القوة والشوكة والسيطرة فاذا حكمت عليه بالاعدام فليس عليها لوم وهو مستحق للعقاب .

من هنا تعرف انه ليس لأحد من عباد الله ان يتعدى هذه الحدود لا نبي ولا وصي ولا ولي ولا ملك مقرب ، فاذا خرقها احد فهو فرعون هذه الامة له ما لفرعون من العذاب . وقد اعد الله سبحانه لمن يطيعه ويطيع رسوله ولا يتعدى هذه الحدود جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم :

أما من خالف هذه الاحكام السماوية فانه مستحق لعقاب الله وسخطه ، وقد شاهدتم وشاهدنا عاقبة الكثيرين ممن خالفوا سنن الله واحكامه وقد سبقت الاشارة الى احد الظلمة فانه استولى على احكام المسلمين الذين ينبغي لهم العمل بها واخذ يحكم برأيه من دون

(١) النساء آية ١٣ .

مجلس نيابي ولا رجال شورى وجعل في اول امره يرفه على الناس ويعمر البلاد وقد أنس أغلب الشعب بحكمه ثم بعد ثلاث سنين اصدر كراساً مشتملاً على مواد عديدة سماه قانون (الاحوال الشخصية) فذكر من جملة قوانينه أن البنت والولد مشتركان في الارث على السواء وينسخ بزعمه قول الله تعالى : (للذكر مثل حظ الانثيين) وقد كلمه العلماء ونصحوه في العدول عن هذه الفكرة فلم يقبل منهم ولم يلتفت الى قوله تعالى في من يخالف هذه الاحكام : (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) (١) فأمهله الله سنة كاملة لكي يستمع نصائح العلماء ومواعظ الصلحاء فلما ابى وامتنع عن قبول شيء منها أخذه الله اخذ عزيز ذي انتقام حتى انه لم يعلم أحد أين صار جسده فهذه الحادثة تكون عبرة لغيره من ذوي الامر فلا يغرهم بالله الغرور .

قوله تعالى : (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيماً) (٢) قد ذكر الله في الآية السابقة ان من يأتي من الناس بالفاحشة وهي الزنا او هو مع غيره من اللواط والسحق فجزاؤهما ان يؤذيا حتى يتوبا ويصلحا فاذا تابا فكفوا عنهما ، وذكروا في كيفية الايذاء ان التوبيخ والتعيير ، واضاف بعضهم الى التعيير الضرب بالنعل ، وفي هذه الآية بين الله كيفية التوبة وزمانها وتعهد بقبولها إن كانت جامعة للشروط ، فقال عز وجل : (انما التوبة على الله) اي قبول التوبة ، امر لازم على الله فهو وعد من الله لعباده ان يقبل توبتهم إذا كانت جامعة للشروط

(١) النساء آية ١٤ .

(٢) النساء آية ١٧ .

ثم بين شروط التوبة بقوله : (للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) اي ان الله يقبل توبة الذين يعملون السوء ، والمقصود من السوء هو معصية الله وعمل ما لا يرضى به الله لا فرق بين المعصية الكبيرة والصغيرة ، والمراد من الجهالة هي الفكرة أو السبب الذي يدفع العبد ويحمله على عمل المعصية فان المعصية كلما كانت اعظم كشفت عن عظم جهله .

اما اذا كان داعي المعصية مضادة لله في حكمه ، ودعوى ان حكم الله لا يناسب هذا العصر وان الذي يراه العاصي من الحكم هو المناسب لعصره فهذا الرجل اشد جهلاً واكثر سفاهة بل هذا هو الكفر ، فكل من يعمل شيئاً من المعاصي انما يعمله عن سفاهة وجهل . روى العياشي عن الامام الصادق (ع) انه قال : كل ذنب عمله العبد وان كان عالماً فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربه ، وقد قال في ذلك تبارك وتعالى يحكي قول يوسف : (هل علمتم مافعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون) فنسبهم الى الجهل لمخاطرتهم بانفسهم في معصية الله ففي هذه الآية قد وعد الله عبده العاصي اذا تاب عن المعصية ان يتوب عليه ، وقد عرفوا التوبة بانها عبارة عن الندم على فعل السوء مع العزم على ان لا يعود الى مثله في القبيح ، وقال بعضهم يكفي في تعريفها الندم على فعل القبيح ، واما العزم على عدم العود فهو شيء خارج عن حد التوبة بل هو امر آخر يعزم عليه الانسان وقد ينفسخ هذا العزم ، في حين اذا تهيئت له تلك المعصية او غيرها ولكن هذا القول لا ينطبق على حقيقة التوبة ، لانا بعد ما عرفنا ان العبد لا يعصي الله إلا ان يكون في حالة سفه ونقصان رشد وهو المعبر عنه بالجهل في الآية فهذا العبد العاصي مادام على تلك الحالة من الجهل والسفه يكون مصراً على معصيته

ولا يحصل عنده ندم عليها .

اما اذا رجع اليه رشده او آب هو الى رشده فحينئذ يحصل الندم ولا يعود الى رشده إلا ان يلتفت الى عظمة الله القادر على مايريد ويتذكر وعيد الله بالنسبة الى العاصي ويتأمل في عقاب الله الشديد الذي لا يشبهه عقاب الدنيا ، وينظر الى بدنه الضعيف الذي لا طاقة له على هـــذا العقاب ، وبعد معرفة هذه الامور يعرف نفسه انه كان جاهلا سفيهاً حين ارتكاب المعصية ويلزمه ان يخلص نفسه من عقاب هذا السوء الذي وقع فيه وألا يوقع نفسه مرة اخرى فيه وفي امثاله ، ولا يمكنه التخلص الا بترك ذلك الجهل والسفه والرجوع الى حالة الرشد والتمسك بحكم العقل ، وهذا لا يتحقق إلا بالندم على مافعل ملازماً للعزم على عدم العود فان الندم وحده لا يرفع العقاب عنه وإلا فكل العصاة يتحقق منهم الندم عند معاينة الموت وبعد الموت وعند الحشر وعند الحساب ولا ينفعهم ذلك في تلك الاحوال ، وإنما ينفع الندم اذا كان العاصي متمكناً من تلك المعصية مرة اخرى ولكنه عرف ضررها وسوء مغبتها فندم على فعلها ، ولازم هذا أن يكون الندم ملازماً للعزم على عدم العود حيث انه مع الاصرار على المعصية لا يمكن ان تتحقق منه التوبة .

واما قوله تعالى (ثم يتوبون من قريب) فقد اختار اكثر المفسرين ان القريب هو ماقبل الموت ولكن المتبادر من اطلاق لفظ القريب انه الزمن المتصل بصدور المعصية من العبد ، وان العقل يحكم حكماً باتاً بان التوبة واجبة حين صدور المعصية فان المعصية اذا صدرت من العبد المملوك الضعيف وهو يعلم أن هذه المعصية يستحق عليها نوعاً من العذاب بمقتضى القانون الألهي يحكم عليه العقل السليم أن يسعى ويجتهد بالطرق التي ترفع عنه هذا العقاب إذ انه يسبب هلاكه وان اقرب طريق وانجحه

في رفع العقاب هو التوبة اعتماداً على وعد الله ، ففي تلك الساعة التي صدرت منه المعصية يلزمه تداركها حتى لا يسجل عليه العقاب . ويؤيد هذا ماورد في الاخبار ان الله قد امر الملك الكاتب للسيئات أن يؤجل الكتابة مدة فلعل العاصي يتوب فلا تكتب عليه ، واذا انقضت المدة ولم تتحقق التوبة حينئذ يسجلها الملك الموكل بالعبد ، وهـذا لا ينافي القبول من الله الى وقت الموت وذلك لان العاصي مكلف بالتوبة شرعاً وعقلاً حين المعصية فاذا لم يمتثل هذا الامر فهو عاص وفي الساعة التي تليها هو مكلف بالتوبة ايضا وهكذا في كل ساعة تمر عليه ولا يتوب فهو عاص مأمور بالتوبة ، فاذا تحققت منه التوبة في زمن كونها مقبولة فقد تحققت من قريب لانها متصلة بالمعصية ، فاذا انقضت المدة بحضور الموت لا يقبل منه حين ذاك لانتفاء موضوعها كما تقدم من انها عبارة عن الندم مع العزم على الترك ، وحيث لا يتحقق العزم على الترك لانتهاء الزمن المقرر له لذا لا يتحقق موضوع التوبة ، وقد نزلت آيات كثيرة في الحث على التوبة وكذا وردت الاخبار الكثيرة بوجوب التوبة والمبادرة اليها ، وكذا يحكم العقل بالمبادرة لعدم علم المذنب بوقت الموت وقدومه فقد يرد عليه الموت فلا يمكنه احداث التوبة فيموت مصرا على المعصية ففي كل حين العقل يحث المذنب ويأمره بالتوبة ولكن الانسان لا يلتفت الى هذا الحكم ، وان الآية التي بعد هذه الآية توضح لنا هذا المعنى الذي ذكر من انتفاء الموضوع وهي قوله تعالى :

(وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا لهم عذاباً اليماً) . (١)

---

(١) النساء آية ١٨ .

ان هذه الآية الشريفة تبين لنا ان الذين يعملون السيئات اذا لم يتوبوا قبل حضور الموت وبقوا مصرين على المعاصي الى ان حضرهم الموت وعاينوا اهوال الآخرة وفي تلك الساعة يقولون ربنا إنا تبنا إليك فان التوبة لا تقبل منهم لانهم بمعاينة اهوال الآخرة خرجوا من الدنيا ، والتوبة انما تقبل في الدنيا كما تقدم حيث يمكنهم المعصية فيتوبون منها ، إما اذا لم يمكنهم ان يفعلوا المعصية فمن اي شيء يتوبون فلا موضوع للتوبة وإنما هو الندم وحده حين حضور الموت وحين قبض الروح ، فان كيفية قبض روح المجرم غير كيفية قبض روح المؤمن ، وكذا الندامة باقية مستمرة في القبر وعند سؤال منكر ونكير وعند البعث وعند الحساب وعند الصراط وفي النار ان لم يكن محلاً للشفاعة فان شملتهم رحمة الله بشفاعة احد او بغير شفاعة وإلا فليس لهم الا الندامة والعذاب . وقد ورد في الاخبار ان البعض لا تلحقه الشفاعة إلا بعد عذاب ثلاث مأة الف سنة فينبغي للعاقل ان يبادر الى التوبة في يومه قبل غد وفي ساعته قبل التي تليها .

وروي عن النبي (ص) قال : (ليس شيء احب الى الله من مؤمن تائب او مؤمنة تائبة) وروي عن الامام الباقر (ع) قال : (ان الله تعالى اشد فرحا بتوبة عبده من رجل اضل راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدهما) فالله اشد فرحا بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها .

تكملة نافعة

إن كلمة الجهل اذا اطلقت إنما يراد منها عدم العلم وهذا المعنى هو الذي ينصرف الى الذهن عند سماعها ، سواء كانت النفس خالية عن العلم بالشيء او معتقدة بالشيء خلاف ماهو عليه فان كلا الامرين يسمى جهلاً ، ولا يمكن حمل الآية على احد هذين الامرين ، فان الظاهر من الآية ان عامل السوء عالم بانه سوء حين عمله وانه مأمور بتركه وانه يحتاج الى التوبة والاولى حمل الجهل على غير الامرين وهو فعل الشيء بخلاف ماحقه ان يفعل سواء اعتقد فيه اعتقادا صحيحا او فاسداً فكان العامل للشيء يخرج نفسه من مقام العلم الى مقام الجهل او يهبط بنفسه ويرجع بها من زمن الشريعة ووجود النبي المشرّع الى زمن الجاهلية وعدم وجود النبي ، وهذا المعنى ظاهر من قوله تعالى : (قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين) (١) فهو اي العامل يتجاهل مع كونه عالماً فهو قد حقر نفسه حيث انزلها من مرتبة العلم الى هوة الجهل وترك مايأمر به العقل واتباع ماتجر إليه الشهوة او الغضب ونبذ ماترشد اليه الشريعة المستمدة من الله والرجوع الى مايفعله اهل الجاهلية كما في قوله : (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى) .

فكل امر من الامور التي يفعلها المسلم اذا كان تاركاً لحكمه الشرعي وفعله بخلاف ماحقه ان يفعل فقد رجع الى الجاهلية ، ولذا لما رأى بعض الادباء كثرة مايركبه الناس من الخلاف بعد النبي قال من جملة قصيدة (والناس عادت اليهم جاهليتهم) ، وقد يكثر هذا

(١) البقرة آية ٦٧ .

الفعل من بعض الناس فيترك اكثر الواجبات او كلها ، ويفعل اكثر المحرمات أو كلها فيكون منسلخا عن الشريعة وكأنه من اهل الجاهلية أو أنه يفعل بعض الواجبات ولكن لا يأخذه عن النبي وانما يفعله برأيه ويستفاد هذا الامر من قول النبي (ص) (من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية) .

فهذا الكلام من النبي مطلق وشامل للعامل لبعض الواجبات والتارك لبعض المحرمات او التارك لجميع الاحكام ولكنه يفعل ويترك برأيه او برأي غير امام زمانه ، وان هذا الامر الواحد يسبب للانسان الموت على الجاهلية اما الذي يعرف امام زمانه اذا ارتكب محرما او ترك واجبا فيكون رجوعه الى الجاهلية وانسلاخه من الشريعة بالنسبة الى ذلك الفعل فحسب .

فالانسان العاقل اذا تأمل في الآية الشريفة وعرف المعنى والمغزى من قوله تعالى (بجهالة) لا ينبغي له ان يعمل سوءاً ويفعل خلاف امر الله فانه بعمله هذا يخالف الله ويخرج نفسه عن الشريعة الاسلامية ويجعلها من الجاهليين ، وهذه خطوة عظيمة الخطر لانه لا يعلم انه يوفق للتوبة او لا يوفق ، فاذا مات على غير توبة لا يمكنه التدارك هناك . والمقصود من الجاهلية هو المعنى الحقيقي لها وهو عدم العلم ، فانها اذا اطلقت يراد منها الحالة التي كانت عليها العرب قبل الاسلام من الجهل بالله ورسوله وشرايع الدين والاعمال التي كانوا يعملونها كلها ناشئة عن هذا الجهل ، ولو انهم رجعوا الى العقل وحكمه لارشدهم الى الحسن ونهاهم عن القبيح ولكنهم اهملوا العقل وحكمه إلا القليل منهم ، وان الذي يجهل في هذا الزمان اشد عقابا واكثر لوماً لقيام الحجة عليه .

ينبغي لكل اديب ولبيب ان يتأمل في كلمة النبي (ص) التي مرت عليه قبل اسطر وهي قوله : (من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية) من هو الامام الذي يقصده النبي ويلزم امته بمعرفته فهل يقصد كل من يتزعم على الناس بالقوة والقهر وان كان فاسقا فاجراً ؟ كلا وحاشا ان يعم كلامه مثل هذا وانما يقصد الامام الذي يأمر بالمعروف ويعمل به ، وينهى عن المنكر وينتهي عنه ، الامام الذي لا يجهل شيئا من احكام الدين يعرف الحلال والحرام ، الامام الذي يعرف تأويل القرآن ، الامام الذي لا يحتاج الى غيره في شيء من الاشياء .

اما الامام الذي يرتكب المحرمات ويترك الواجبات ويجهل الاحكام فينبغي للناس مقاطعته وهجرانه فان الله والرسول يريدان من الناس معرفة الامام العادل فعليك بمعرفته فانك تنفع نفسك .

قوله تعالى : (يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم أن تؤتوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا ان يأتين بفاحشة مبينة) (١) .

ان الله قد وجه النداء في هذه الآية الى المؤمنين ونهاهم عن اشياء كانوا يعملونها في الجاهلية ، فاول شيء نهاهم عنه في قوله : (لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها) وقد ذكروا في معنى ذلك اقوالاً :

الاول ماذكر عن ابي جعفر واختاره جماعة هو ان يحبس الرجل المرأة عنده لا حاجة له اليها وينتظر موتها حتى يرثها فنهى الله تعالى عن ذلك .

الثاني ما كان يعمله اهل الجاهلية وهو ان الرجل اذا مات وترك امرأة يأتي وارثه فيطرح الثوب على رأسها ان لم تكن امه ويقول

(١) النساء آية ١٩ .

ورثت امرأته كما ورثت ماله ، فان شاء تزوجها بالصداق الاول ولا يعطيها شيئا ، وان شاء زوجها واخذ صداقها ، وهذا مروي ايضا عن ابي جعفر واختاره جماعة .

الثالث : ما روي عن الصادق (ع) وهو ان الرجل تكون في حجره اليتيمة القريبة له فيمنعها من التزويج اضراراً بها .

الرابع : ماقيل ان المعنى ليس لكم ان تسيئوا صحبتهن ليفتدين بمالهن او بما سقتم اليهن من مهورهن .

أما قوله تعالى : (ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن إلا ان يأتين بفاحشة مبينة) ففيه اقوال :

الاول ان يكون المقصود منه الزوج امره الله بتخلية سبيل زوجته اذا لم يكن له فيها حاجة ولا يمسكها اضراراً بها حتى تفتدي ببعض مالها .

الثاني : ان يكون المقصود بالنهي الوارث نهاه الله عن منع المرأة من التزويج كما كان يفعل اهل الجاهلية .

الثالث : ان يكون المقصود منه الولي كما عن مجاهد .

الرابع : ماحكي عن ابن زيد ان المقصود منه المطلّق يمنعها من التزويج كما كانت تفعل قريش في الجاهلية ينكح الرجل منهم المرأة الشريفة فاذا لم توافقه فارقها على ان لا تتزوج إلا باذنه فيشهد عليها بذلك ويكتب كتابا فاذا خطبها خاطب فان اعطته وارضته اذن لها وان لم تعطه عضلها ، فنهى الله عن ذلك ، وهذه الوجوه التي ذكرت كلها حرمها الله فلا مانع من ارادتها كلها من الآية .

اما قوله : (الا ان يأتين بفاحشة مبينة) فهو استثناء من قوله : (ولا تعضلوهن) فان العضل هو الحبس والمنع عن الزواج ،

وقد استثنى منه صورة اتيانهن بفاحشة . اما الفاحشة فقال بعضهم هي الزنا ، وقال بعضهم النشوز ، والمروي عن ابي جعفر انها كل معصية ، وفي رواية عن الصادق (ع) اذا قالت له لا اغتسل لك عن جنابة ولا ابر لك قسما ولاوطئن فراشك من تكرهه حل له ان يخلعها ويحل له ما اخذ منها .

قوله تعالى : (وعاشروهن بالمعروف) امر الله الرجال بان يعاشروا النساء بالمعروف وان لا يميلوا في المعاشرة ميلاً يسبب للنساء خروجهن من طاعة الله وطاعة زوجها ، فاذا كانت معاشرة الرجل لزوجته حسنة جميلة فانها تهدأ وتسكن ولا تعمل شيئاً يؤذي زوجها ، ولعل امر الله الرجال بالمعاشرة بالمعروف بعد اتيان المرأة بالفاحشة المبينة ولذا وصفهم بالكره لهن فقال تعالى : (فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) والكراهة انما تحدث بعد رؤيته منها مايكره فهي وصية من الله للرجال بالصبر والتأني عن الطلاق وعدم المسارعة اليه ، ولعل هذا الصبر والتأني يكون سبباً للخير الكثير يأتي من هذه المرأة مثل ولد صالح أو كثرة النسل او انها هي تصير صالحة وتبدل اخلاقها وقد وردت اخبار كثيرة تأمر بالتأني عن الطلاق وعدم المسارعة اليه .

قوله تعالى : (يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل إلا ان تكون تجارة عن تراض منكم) .

ان الله بعد ما وجه النداء الى المؤمنين وقد عرفت فيما سبق أن المؤمن هو الذي صدق بالله ورسوله وعمل بما يأمران به من فعل او ترك ، وفي صدر هذه الآية قد نهى الله المؤمنين أن يأكل بعضهم من اموال بعض بوجه باطل منهي عنه من قبل الله ، وهذا يشمل جميع

---

(١) النساء آية ٢٩ .

الوجوه المحرمة التي تؤخذ من غير رضا اصحابها وان لم يمتنع صاحبه عن اخذه ولكنه غير راض وذلك كالمال المأخوذ في الربا او القمار او الظلم بجميع انواعه ولا يحل لكم التصرف بمال غيركم بجميع انواع التصرف إلا عن طريق التجارة التي تكون بتراضي الطرفين البائع والمشتري ، او باحد العقود التي رخص فيها الشرع الشريف . واما الامور ألتي نهى عنها فيكون المال الذي يأخذه كل واحد من الآخر محرما عليه ولا يجوز له التصرف فيه فان تصرف به او ببعضه فهو ضامن يجب عليه ان يرده الى صاحبه ، فالمال المأخوذ من الربا والمأخوذ في القمار والذي يؤخذ ثمناً للخمر او ثمناً لبيع آلة محرمة كالشطرنج وغيرها وثمن الكلاب التي تؤخذ للعب وكل آلة لعب فان كنت تعد نفسك مؤمناً فان الله قد ناداك اولاً فعليك ان تجيب نداءه فتقول لبيك اللهم وسعديك وبعد اجابتك له قد قال لا يحل لك ان تأخذ المال بعنوان الربا فاذا اخذته لا يجوز لك التصرف فيه ويجب عليك ان ترده الى صاحبه . فكأني بك ايها العاصي تجيب ربك وتقول اني اخذنه ولا ارده واتصرف به وآكل والبس وأشرب منه ، ولكن اذا دهتك داهية تقول يارب فرج عني وخلصني واذا مرضت تقول يارب شافني ، واذا افتقرت تقول يارب ارزقني فانت في وقت الحاجة اليه تناديه يارب ، واذا ناداك ونهاك عما يضرك لا تجبه ولا تنتهي عما نهاك عنه . فهل يجوز ذلك في حكم العقل او في حكم العرف الذي هو دون حكم العقل وانت تحكم بعدم جوازه بالنسبة الى غيرك فكيف تريد تطبيقه بالنسبة الى نفسك ! ! ؟

روي عن الصادق (ع) انه سئل عن الرجل منا يكون عنده الشيء يتبلغ به وعليه دين ، أيطعمه عياله حتى يأتي الله عز وجل بميسرة فيقضي دينه أو يستقرض على ظهره في خبث الزمان وشدة المكاسب او

يقبل الصدقة ؟ قال يقضي بما عنده دين ولا يأكل من اموال الناس إلا وعنده مايودي اليهم حقوقهم ان الله عز وجل يقول : (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) ولا يستقرض على ظهره إلا وعنده وفاء ، ولو طاف على ابواب الناس فردوه باللقمة واللقمتين والتمرة والتمرتين إلا أن يكون له ولي يقضي دينه من بعده ، ليس منا من يموت إلا جعل الله له ولياً يقوم في عدته ودينه فيقضي عدته ودينه) .

أيها العبد المؤمن أو المدعي للايمان اذا قرأت قول امامك الصادق الذي يحكي لك عن رسول الله عن الله يقول لك لو طفت على الأبواب فاعطوك التمرة أو اللقمة خير لك من أن تستقرض وأنت ليس عندك وفاء لما تستقرض ، وانت ايها المدعي للايمان تأتي إلى أخيك المؤمن وتستقرض منه مقداراً من المال فيعطيك ولا يأخذ منك كتاباً لذلك وبعد ذلك تنكر المال ، واذا طلب منك اليمين تحلف يميناً كاذباً وأنت تدعي الايمان وانك من الموالين لاهل البيت ، وقد روي عن النبي (ص) قال اربعة يؤذون أهل النار مع مابهم من الأذى يقول أهل النـــار بعضهم لبعض ما بال هؤلاء الاربعة آذونا مع ما بنا من الأذى ، ثم ان أهل النار يسألون الاربعة الى أن قال النبي (ص) احدهم معلق بتابوت من جمر يجر امعاءه فاذا سأله اهل النار ما بال الأبعد قد آذانا مع مابنا من الأذى فيقول ان الابعد قد مات وفي عنقه اموال الناس لم يجد لها في نفسه أداء ولا وفاء . هذا مايتعلق بالشطر الأول من الآية وأما الشطر الآخر وهو قوله : (ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما) فقد فسر بتفاسير عديدة .

الأول ان يقتل الانسان نفسه في حال غضب او حال ضجر بأن

ينتحر بآلة قاتلة .

الثاني : مايسمى بالبخع وهو الذي يصيبه مايغضبه أو يغمه فيبقى متأسفاً متأثراً ولا يمتثل أمر الله بالصبر حتى يهلك نفسه جزعاً .

الثالث : ما يكون اشارة الى صدر الآية اي لا تأكلوا اموال الناس بالباطل فتقتلوا انفسكم أي تهلكوها في الآخرة بالدخول في نار جهنم . وأما في الدنيا فقد يتسلط عليكم ظالم فيأكل اموالكم كما اكلتم مال غيركم وكذا بالنسبة الى بقية المعاصي الموجبة لدخول النار .

الرابع : ماروي عن ابي عبد الله ان معناه لا تخاطروا بنفوسكم في القتال فتقاتلوا من لا تطيقونه .

الخامس : مافي الصافي عن القمي كان الرجل اذا خرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله يحمل على العدو في الغزو وحده من غير أن يأمره رسول الله (ص) فنهى الله ان يقتل نفسه من غير امره .

السادس : ما عن العياشي عن الصادق (ع) كان المسلمون يدخلون على عدوهم في المغارات فيتمكن منهم عدوهم فيقتلهم كيف يشاء ، فنهاهم الله ان يدخلوا عليهم في المغارات .

السابع : هو القاء النفس بكل قول أو فعل كان .

الثامن : ان المراد من انفسكم هي أنفس غيركم من المؤمنين من اهل دينكم إن المؤمنين كنفس واحدة فمن قتل مؤمناً فقد قتل غيره وقتل نفسه . وهذا الأمر الأخير هو أعظم الامور المتقدمة لان الله قد جعل عقابه الخلود في النار ومع هذا فهو اكثرها وقوعاً في هذا العصر لان الناس قل ايمانهم وضعف فلا يتحرجون من قتل النفس ، وقد يقتلون انساناً لسبب تافه لا يستوجب قتلاً ولا ضرباً . والسبب الثاني للاقدام على القتل هو عدم القصاص ، فان الحكومات الاسلامية قد تركوا الحكم

الذي أمر الله به فى كتابه المنزل على نبيه وهم بزعمهم قد صدقوا بالرسول وبالكتاب . وقد ذكر الله لهم ان القصاص موجب لعدم وقوع القتل وعدم تكرره فى قوله : « ولكم فى القصاص حياة » ومع ذلك تركوا الحكم بالقصاص ولم يأخذوا بهذه الحكمة الموجبة لرفع القتل واخذوا باقوال اعدائهم الكافرين وتابعوهم على احكامهم ، واثبتوا بفعلهم هذا انهم ليسوا بذوي عقول فانه يقول : « ولكم فى القصاص حياة يا اولى الالباب » فثبت بتركهم القصاص انهم ليسوا من اولي الالباب ، وقد نبهنا الله بعظيم رحمته بنا بقوله فى آخر الآية « ان الله كان بكم رحيما » أي ان الله لا يحب ان يقتل المؤمن إلا فى سبيل احياء الدين والجهاد فى سبيل الله حتى يعوضه الله الدرجات الرفيعة فى الآخرة ، ولا يرضى لعبده المؤمن ان يلقي نفسه فى غير ما أمر الله به فيقتل عبثا بلا فائدة تعود على الدين ، فمن فرط رحمته بعباده المؤمنين نهاهم عن قتل انفسهم .

وروى العياشي عن امير المؤمنين (ع) قال سألت رسول الله (ص) عن الجبائر تكون على الكسر كيف يتوضأ صاحبها وكيف يغتسل اذا اجنب ؟ قال يجزيه المسح بالماء عليها فى الجنابة والوضوء ، قلت وان كان فى برد يخاف على نفسه اذا افرغ الماء على جسده ؟ فقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله : « ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما » فقد أمر الله المسلمين فى هذه الآية ان يحافظ كل فرد منهم على نفوس الآخرين واموالهم ، فاذا حافظ كل واحد على نفوس الآخرين واموالهم فقد تم التصافي والتآخي وحصلت المودة والالفة فلا يتمكن العدو من اخذ شيء من الاموال كما لا يتمكن من الاعتداء على النفوس واصبح المسلمون كلهم في راحة وأمان ولكنهم لا يريدون لانفسهم ما أراده الله لهم من الهناء والصلاح والاطمئنان ، فمن خالف أمر الله وعامل الناس بعكس

ما ارشده الله اليه من حفظ النفوس والاموال وفعل ما نهاه الله عنه من الامور التي تقدم ذكرها فانما يريد قتل نفسه وهلاكها بسوء اختياره واستحق من العذاب ماذكره الله بقوله : « ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا » (١) أسمعت أيها المؤمن ماقال الله لك ؟ انه بعدما ناداك بصفة هي احب صفات عباده اليه بين لك امرين رئيسيين هما من اهم الامور الهدامة للمجتمع ونهاك عنهما وهما الاعتداء والظلم في الاموال والنفوس فنهاك عنهما نهيا مؤكدا ، وتوعدك النار على مخالفة مابينه لك نهاك عن التصرف بمال غيرك وأنت تنهب وتسلب اموال الناس وتأكلها بغير حساب وقد ذكر المفسرون ان هذه الآية لما نزلت توقف المؤمنون الذين كانوا في زمن الرسول عن الاكل من بيوت احد اقاربهم وتأبوا على ذلك وقالوا ان الاكل بغير امر تجاري لا يجوز لنا الى ان نزل قوله : « لا جناح عليكم ان تأكلوا من بيوتكم او بيوت آبائكم » . . الخ الآية ، وانتم ايها المسلمون في هذا العصر لا ترضون من الناس ان تأخذوا منهم من المال مافرضتم اخذه ظلما وان كان مخالفا للقرآن ، وانما يريد بعض الموظفين زيادة على ما اسسه القانون يريد الرشوة التي يعبر عنها في الاخبار بالكفر . فاعرف ايها المسلم في اي محل انت من المسلمين ، وبماذا التزمت من قانون الاسلام والقرآن وان الله قد حرّم عليك بهاتين الكلمتين : « لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل » حرّم عليك جميع الاموال التي تؤخذ بغير رضى من اهلها فارحم نفسك ولا تقتلها فانك إن اكلت مال الناس بغير رضى منهم فقد خالفت النهيين جميعا .

(١) ـ اكلت مال الناس . (٢) ـ قتلت نفسك وقد نهاك الله عنهما

---

(١) النساء آية ٢٩ .

وتوعد المخالف باصلائه بالنار ، ثم اخبرنا الله تعالى بقوله : « وكان ذلك على الله يسيرا » اي ان احراق هذا الظالم الذي يعتدي على اموال الناس وعلى نفسه او انفس الناس فيقتلها احراقه بالنار يسير على الله اي ان الرحمة التي ذكرها الله لكم بقوله : « وكان الله بكم رحيما » لا تشمل هذا الانسان المعتدي على اموال الناس واكلها بالباطل فان جسمه الذي نبت على الحرام النار اولى به وليس له محل غير النار ، ولو لم يكن جسده مستحقاً للنار لا يعذبه الله ابدا ، إذ تعذيب غير المستحق لا يصدر من الله ولذا قال ان تعذيب آكل الحرام يسير عليه اي ليس مخالفاً لرحمته ورأفته على العباد وهو يريد الرحمة لهم فى كل وقت ولكن العبد هو يلقي بنفسه في الهلكة . فينبغي له ان يتبصر فى هذه الآية وامثالها فانها كثيرة فى القرآن .

قوله تعالى « ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريما » (١) هذه الآية الشريفة تدل على ان الامور التي نهى الله الناس عنها فيها كبائر وغير كبائر ، وغير الكبائر عبر الله عنها فى هذه الآية بالسيئات ، وفى غير هذه الآية بالصغائر ، وفى كلام المفسرين والفقهاء ان الذنوب منها كبائر وصغائر ، وقال بعضهم ان كل معصية كبيرة بالنسبة الى جرأة العبد مع الله ولكن الكبر والصغر انما هو بنسبة بعضها لبعض ثم اختلفوا فى تشخيص الكبائر اي قسم منها ، فقال بعض هي ماذكرت فى القرآن ، وقال بعض هي ماتوعد الله عليها النار وقالوا غير ذلك والاخبار كذلك مختلفة وانا اذكر لك رواية عن الامام الصادق (ع) يعدد فيها قسماً ويستدل بالكتاب والسنة كما طلب منه السائل ذلك . قال فى مجمع البيان وروى عبد العظيم بن

(١) النساء آية ٣٠ .

عبد الله الحسني عن ابي جعفر محمد بن علي عن ابيه علي بن موسى الرضا عن موسى بن جعفر قال دخل عمرو بن عبيد البصري على ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع) فلما سلم وجلس تلا هذه الآية « الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش » (١) ثم امسك فقال ابو عبـــد الله ما اسكتك ؟ قال : احب ان اعرف الكبائر من كتاب الله ، قال : نعم ياعمرو اكبر الكبائر الشرك بالله يقول الله عز وجل : (ان الله لا يغفر أن يشرك به) (٢) وقال : (من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) (٣) وبعده اليأس من روح الله لان الله يقول : (لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) (٤) ثم الامن من مكر الله لان الله يقول : (ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) (٥) ومنها عقوق الوالدين لان الله تعالى جعل العاق جباراً شقيا فى قوله (وبرا بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً) (٦) ، ومنها قتل النفس التي حرم الله الا بالحق لانه يقول : (ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالدا فيها) (٧) وقذف المحصنات لان الله يقول (إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم) (٨) واكل

---

(١) الشورى آية ٣٧ .

(٢) النساء آية ٤٨ .

(٣) المائدة آية ٧٢ .

(٤) يوسف آية ٨٧ .

(٥) الاعراف آية ٩٨ .

(٦) مريم آية ٣٢ .

(٧) النساء آية ٩٢ .

(٨) النور آية ٢٣ .

مال اليتيم ظلما لقوله : (الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما) (١) والفرار من الزحف لان الله يقول : (ومن يوّلهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) (٢) وأكل الربا لان الله يقول : (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) (٣) ويقول (فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) (٤) والسحر لان الله يقول (ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق) (٥) والزنا لان الله يقول : (ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا) (٦) واليمين الغموس لان الله يقول : (ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمناً قليلاً اولئك لاخلاق لهم فى الآخرة) (٧) والغلول قال الله (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) (٨) ومنع الزكاة المفروضة لان الله يقول : (يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) (٩) وشهادة الزور وكتمان الشهادة لان الله يقول : (ومن يكتمها فانه آثم قلبه) (١٠) وشرب الخمر لان

---

(١) النساء آية ٩ .

(٢) الانفال آية ١٦ .

(٣) البقرة آية ٢٧٥ .

(٤) البقرة آية ٢٧٩ .

(٥) البقرة آية ١٠٢ .

(٦) الشعراء آية ٦٨ ـ ٦٩ .

(٧) المائدة آية ٧٧ .

(٨) آل عمران آية ١٦١ .

(٩) التوبة آية ٣٦ . (١٠) البقرة آية ٢٨٣ .

الله تعالى عدل بها عبادة الاوثان ، وترك الصلاة متعمدا وشيئا مما فرض الله تعالى لان رسول الله (ص) يقول : « من ترك الصلاة متعمدا فقد برء من ذمة الله وذمة رسوله ونقض العهد » وقطيعة الرحم لان الله يقول : « اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار » (١) قال فخرج عمرو له صراخ من بكائه وهو يقول هلك من قال برأيه ونازعكم في الفضل والعلم .

اذا قرأت ايها المسلم هذه الامور فتذكر ان الله قد ناداك قبل هذه الآية ووصفك بالايمان ونهاك عن امور تقدم ذكرها ، واهم هذه الامور هو ماذكره الله بقوله : « لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل » (٢) وقال لك ونهاك عن قتل نفسك وقتل أحد من المؤمنين ، اما قتل نفسك فانما يتحقق بارتكاب الجرائم والافعال المحرمة ، واما قتل غيرك فيكون أما بآلة أو انك تسبب له القتل باحد الاسباب ، وفي هذه الآية يقول لك رحمة بك ورأفة عليك يا ايها المسلم المؤمن اذا تجنبت الكبائر من المعاصي ، اي اذا ابتعدت عنها ولم ترتكبها وتركت الامور العظام التي نهاك الله عنها وصدرت عنك بعض السيئات الطفيفة التي لا تضر بها إلا نفسك ولم تكن مصرا عليها ولم يكن فيها ضرر على غيرك وتبت الى الله منها فان الله سيغفرها لك ويكفرها عنك ويمحها من صحيفتك ، فاذا غفرت لك تكون العاقبة كما قال الله : « وندخلكم مدخلاً كريما » وهي الجنة إذ ليس في الآخرة مدخلاً إلا الجنة او النار ، والجنة هي المدخل الكريم فلا تبخل بالجنة على نفسك ولا تدخلها النار (٣) .

(١) الرعد آية ٢٥ .

(٢) النساء آية ٢٨ .

(٣) النساء آية ٣٢ .

قوله تعالى : « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن وأسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليماً » (١) .

ذكر في مجمع البيان في سبب نزول الآية ما لفظه : قيل جاءت وافدة النساء إلى رسول الله (ص) فقالت يا رسول الله أليس الله رب الرجال والنساء وأنت رسول الله اليهم جميعاً فما بالنا يذكر الله الرجال ولا يذكرنا ؟، نخشى ألا يكون فينا خير ولا لله فينا حاجة ؟ فنزلت هذه الآية ، وقيل أن أم سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا تغزو النساء وانما لنا نصف الميراث ، فليتنا رجال فنغزو ونبلغ ما يبلغ الرجال فنزلت الآية . عن مجاهد ، وقيل لما نزلت آية المواريث قال الرجال نرجو ان نفضل على النساء بحسناتنا في الآخرة كما فضلنا عليهن في الميراث فيكون أجرنا على الضعف من اجر النساء ، وقالت النساء إنا نرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال في الآخرة كما لنا الميراث على النصف عن نصيبهن في الدنيا فنزلت الآية ، انتهى ما في المجمع .

إذا عرفت ما ذكر في نزول الآية فان الذي يستفاد من كلام المفسرين امور :

الأول : انه لا يجوز للمسلم ان يتمنى ما يكون عند غيره له أي ما يكون عند غيره يتمنى أن يكون له لا لذلك الشخص . فقد روي عن الصادق (ع) في تفسير الآية لا يقل أحدكم ليت ما اعطي فلان من المال والنعمة والمرأة الحسناء كان لي فان ذلك يكون حسداً ولكن يجوز أن يقول اللهم اعطني مثله . فعلى هذا يكون النهي عن الحسد لان الحسد يفعل بصاحبه ما فعل بابن آدم القاتل لاخيه .

(١) النساء آية ٣٢ .

الثاني : ان يكون النهي عن ان يتمنى الانسان ان يكون على غير الحالة التي هو فيها كان يتمنى الرجل انه لو كان امرأة وتتمنى المرأة أنها لو كانت رجلاً لان الله لا يفعل إلا ما هو الاصلح ويكون المتمني تمنى ما ليس باصلح وهذان الأمران من الامور التي تكون في الدنيا فيكون قوله : « للرجال نصيب مما اكتسبوا » معناه ان لكل من الرجال والنساء الحظ أو السهم الذي يحصل بسبب التكسب والتجارة لا مايحصل بالتمني والحسد ، ثم بيّن لهم وارشدهم انكم اذا اردتم الزيادة والتوسع (فاسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما) ، فاذا كانت الزيادة والسعة فيها صلاح لكم اعطاكم . واذا كان صلاحكم بعكس ذلك فيلزمكم الرضا بقضاء الله .

الثالث : ان يكون التمني لامر اخروي كما تتمنى النساء ان يكنّ رجالاً لكي يغزون فيحصلن على الاجر ، وكتمني الرجال ان يكون لهم ضعف جزاء المرأة في الآخرة فهذا ليس فيه حسد ولا يؤول الى أمر محرم ولكنه تمني ،وقد عرف التمني انه طلب مالا طمع في وقوعه فيكون « للرجال نصيب مما كسبوا » ان الانسان رجلاً كان أو امرأة انما له نصيبه مما عمله في الدنيا من الاعمال الحسنة ولا تكون الزيادة في التمني ومن أراد الزيادة يسأل الله من فضله .

فالذي حصل لنا من الآية اما بالنسبة الى النعم الدنيوية فيلزم ان لا يتمنى الانسان ان يكون له مال غيره ولا يحسد احداً على ماأعطاه الله وان يرضى بما قسم الله له ، وان يكون طلبه من الله الرازق للعباد واما بالنسبة الى النعم الاخروية ان يعمل بما امر الله به وان يزداد اعمالاً وان يعتمد على الله ويطلب من فضله وان يعتقد بان الله لا يفعل الا ما هو الصالح لعبده وان كل انسان إنما يكون نصيبه من الثواب

بمقدار ما اكتسبه من اعمال الخير والفضل بيد الله .

وفي الصافي عن الخصال عن الصادق عن آبائه عن النبي (ص) قال : (من تمنى شيئاً وهو لله تعالى رضا لم يخرج من الدنيا حتى يعطى) وفيه عن الفقيه عن النبي (ص) ان الله تعالى احب شيئاً لنفسه وابغضه لخلقه ، ابغض عز وجل لخلقه المسألة واحب لنفسه ان يسأل وليس شيء احب اليه من ان يسأل ، فلا يستحي احدكم ان يسأل الله عز وجل من فضله ولو شسع نعل ، وفيه عن الكافي عن الصادق (ع) (من لم يسأل الله من فضله افتقر) وفيه عن الكافي والعياشى عن الباقر عليه السلام ليس من نفس إلا وقد فرض الله لها رزقاً حلالاً يأتيها فى عافية وعرض لها بالحرام من وجه آخر فان هي تناولت شيئاً من الحرام قاصّها به من الحلال الذي فرضه لها وعند الله سواهما فضل كثير وهو قول الله عز وجل : « واسألوا الله من فضله » .

وفيه عن الصادق (ع) ان الارزاق مضمونة مقسومة ولله فضل يقسمه من طلوع الفجر الى طلوع الشمس وذلك قوله تعالى : (واسألوا الله من فضله) ، ثم قال وذكر الله بعد طلوع الفجر ابلغ في طلب الرزق من الضرب فى الارض ، وعلى كل حال اما ان يكون التمني المنهي عنه المحسود عليه صاحبه قد حصل لصاحبه بالتكسب والتجارة فلا ينبغي للمؤمن ان يحسده عليه ويتمنى انتقاله اليه ، واما ان يكون قد جاء بالارث ويكون ذلك المتمني لا ارث له أو انه اقل نصيباً وفرضاً من هذا فينبغي له ان يرضى بقسمة الله ولا يغضب ولا يحسد صاحب السهم الاكثر ، وقد اكد الله الامر بالآية التي بعد هذه الآية اي انه عين لكل انسان يموت من يرثه من اقاربه ولا يجوز التعدي عمن عينه الله فقال تعالى : (ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون

والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيدا) (١)

هذه الآية الشريفة تعرّف الناس ان كل انسان يموت رجلاً كان أو امرأة ، فان الله قد جعل وارثه الذي يرث امواله معيناً معلوماً أما واحداً أو اكثر ، وقد جعلهم طبقات لا سهم للطبقة المتأخرة مع وجود المتقدم ، ولكل واحد من الطبقة الواحدة فرض معين ولا يجوز التعدي والأخذ اكثر مما عينه الله لكل واحد ، ولا يجوز لاحد ادخال نفسه في طبقات الارث والأخذ منه ولو كان قوياً لا يقدر احد على رده فليعلم ان الله اقوى منه واشد بأساً ، فلمـــاذا يتحمل هذا الاثم العظيم وهو يأخذ هذا السهم ويجعله في صندوق المال فيكون الاثم عليه وهو المسؤول عنه اي الذي اسس هذا القانون والذي امضاه وصدّقه وابقاه وهو يقدر على زواله . فلا ينبغي لاحد ان يطمع في ارث من ليس له فيه نصيب لان عاقبته النار وبئس المصير . هذا بالنسبة الى ماتضمنه صدر الآية .

واما قوله : « والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم » فقدذكر المفسرون ان الرجل في الجاهلية كان يعاقد الرجل فيقول دمي دمك ، وحربي حربك ، وسلمي سلمك وترثني وارثك ، وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فأمر الله باعطاء حظهم بقوله « فآتوهم نصيبهم » ثم نسخ ذلك بقوله : « واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض » ثم قال تعالى : « ان الله كان على كل شيء شهيدا » .

هذه الجملة التي ختم الله بها الآية فيها وعد ووعيد ، وعد للمطيع الذي لا يتجاوز الحدود التي بينها الله في الارث ولا يزيد او ينقص من السهام لذويها ، ولا يسرق شيئاً إن كان وصياً عن الميت او قيماً على

(١) النساء آية ٣٣ .

الصغار ، او كان حاكما او قاضيا وقد تسلط على المال فان الله يجازيه على امانته وتقواه . وفيها وعيد لمن يرتكب احد هذه الامور ويسرق او ينهب او يغصب شيئاً من اموال الوارثين . أما اذا كانوا صغاراً فان العذاب يكبر ويكثر فيلزم على المسلم ان يتورع ويجتنب مال اليتيم ولا يأخذ منه شيئاً فان الله هو الشهيد عليه .

قوله تعالى : « الرجال قوامون على النساء بمـا فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله » (١) الآيات التي ذكرت في هذا الكتاب في وصف المؤمنين وهي تعم النساء في اغلب الامور إلا ما يكون مختصاً بالرجال وهذه الآية تختص بالنساء وتبين اوصافهن وتحدد الصالحات من النساء ، فقد ذكر في الآية أول الأمر ان الرجال قوامون على النساء اي انهم مسلطون عليهن في التدبير والتأديب والرياضة والتعليم ، فقد ذكروا انها نزلت في سعد بن الربيع وامرأته اما حبيبة بنت زيد واما خولة بنت محمد ابن سلمة وذلك انها نشزت عليه فلطمها فانطلق ابوها معها الى النبي صلى الله عليه وآلــه فقال : افرشته كريمتي فلطمها ، فقال النبي صلى الله عليه وآله لتقتص من زوجها فانصرفت مع ابيها لتقتص منه فقال النبي (ص) : ارجعوا فهذا جبرائيل أتاني وانزل الله هذه الآية وقال النبي (ص) : اردنا امراً واراد الله امراً والذي اراد الله خيراً ورفع القصاص وقد ذكر الله سبب التولية عليهن في هذه الامور بقوله : « بما فضل الله بعضهم على بعض » اي انما ولاهم الله امـرهن لما لهم من زيادة الفضل عليهن بالعلم والعقل وحسن الرأي والعزم « وبمـا انفقوا من اموالهم » عليهن من المهر والنفقة ، كل ذلك بيان علـة

(١) النساء آية ٣٤ .

تقويتهم عليهن وتوليتهم امرهن ، وهذا من فضل الله ورحمته على المرأة أن كلف الرجل ليكون قيماً عليها ويتولى قضاء حوائجها واكمال امورها الكلية والجزئية وان يدفع لها المهر عند الزواج لتهيء لنفسها كلما تحتاج من اثاث البيت دفعة واحدة ، ولا تطلب من الزوج كل يوم حاجة قد لا يتمكن من شرائها فتبقى متحيرة ، واذا انتقلت الى بيت زوجها الكامل المؤثث فان الزوج هو المكلف بجلب ماتحتاج اليه الزوجة من الطعام والشراب والكسوة ، واذا فقد شيء من الاثاث فهو المكلف بشراء بدله ، واذا احتاجت شيئاً جديداً فهو الملزوم بشرائه ، وهكذا يبقى مكلفاً في كل يوم وليلة مدة عمره ومدة عمرها لها ولاولادها وهي غير مكلفة بشيء من هذه الامور كل ذلك حفظاً للمرأة وصوناً لها وحباً لراحتها وتكريماً لها لئلا تقع فى مشقة الطلب والكد والكدح والاشغال الشاقة التي تسبب السفور او التبرج ، ثم بعدما الزم الله الرجال بهذه الامور الشاقة كلفهم بالكسب والسعي فى الارض والحصول على المعيشة ، ذكر اوصاف المرأة الصالحة وهو يريد من كل امرأة أن تكون صالحة كما يريد من كل رجل أن يكون صالحاً فقال تعالى في وصف المـــرأة الصالحة : « فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله » وصف الله النساء الصالحات بوصفين .

الوصف الاول : أن يكن قانتات ، وقد ذكر المفسرون وورد عن الامام الباقر (ع) ان المعنى المطيعات والمقصود طاعة الله ثم اطاعة ازواجهن في غير محرم فاطاعة الله شرط للصلاح في الرجال والنساء ، واطاعة الزوج مع طاعة الله شرط في صلاح النساء ، فالمرأة اذا عصت زوجها في الامور الغير محرمة فهي من غير الصالحات . نعم اذا امرها بشيء محرم قد حرمه الله عليها فلا امر له ولا يستحق الاطاعة لان امر

الله مقدم على امره ، فاذا امر الله بترك السفور او التبرج فليس للزوج ان يأمر بفعله ، فاذا امر بذلك لزم على الزوجة عصيانه وعدم اطاعته وكذا اذا امرها بترك الواجب من الصلاة والصيام والزكاة وامثال ذلك فهي مأمورة باطاعة زوجها فى غير المحرم .

واما الوصف الثاني للصالحات فهو ماذكره الله « حافظات للغيب » اي اذا غاب الزوج عن زوجته وليس المقصود من الغياب هو السفر الى البلاد النائية فقط بل المقصود اذا خرج الزوج الى العمل ليحصل على المعيشة التي كلفه الله بها وترك زوجته في الدار لزم على الزوجة ان تحفظه في امرين .

الأول : الحفظ في ماله اي لا تسرق منه ولا تبذر فيه ولا تعطي منه لاحد من غير اذنه وان تحافظ عليه من كل ما يضر به .

والامر الثاني الذي يلزمها ان تحفظ زوجها فيه هو المحافظة على نفسها بجميع انواع المحافظة وليس المقصود منه الزنا فقط بل تحافظ على عفافها وسترها فلا تكشف وجهها امام الاجنبي ولا يدها ولا ترفع صوتها ولا تكشف اسراره لاحد حتى لامها وابيها واختها فاذا اتصفت بذلك فقد حفظته في غيبته ، وهذه الصفة اي حفظ الزوج في غيبته في المال وفي نفسها وان كانت من حقوق الزوج ولكنها حقاً لله قبل كونها من حق الزوج . فلو فرض وجود زوج لا غيرة له ولا حمية وانه يرضى لزوجته ان تفعل ماتشاء وتشتهي فليس رضى الزوج يجوّز لها ذلك بل هو محرّم اشد الحرمة ، وانما جعله الله حقاً للزوج لانه يتأذى ويتأثر بفعله ، وقد جعل الله له الحق في عقابها على ذلك كما يأتي بالآية التي بعدها ، فاذا اتصفت المرأة بهذين الوصفين وهي كونها من القانتات ومن الحافظات تكون حينئذ من الصالحات ، فاذا ارادت المرأة ان

تحشر يوم القيامة مع الصالحات كحواء ومريم وفاطمة وآسية زوجة فرعون فلتتصف بالصفتين ولا تغرها الحياة الدنيا ، فان آسية بنت مزاحم زوجة فرعون الطاغي المتجبر على الله كانت الدنيا بيدها ويد زوجها وكانت هي مؤمنة متصفة بجميع صفات الايمان . ولما احس بها زوجها أنها مؤمنة وانها توّحد الله ولا تعترف بربوبيته عذبها بانواع العذاب فلم يثنها عن مبدئها وماتت تحت العذاب . فكوني كذلك ايتها المسلمة حتى تحشري مع ازواج النبي الصالحات وتدخلي الجنة فان فيها النعيم الذي لا انقطاع له وقد روي عن النبي (ص) قال : ما استفاد امرء مسلم فائدة بعد الاسلام افضل من زوجة مسلمة تسره اذا نظر اليها ، وتطيعه اذا امرها وتحفظه اذا غاب عنها في نفسها وماله . ثم بعد وصف الله الصالحات بهذين الوصفين الخفيفين الذين ليس فيهما مشقة ولا شدة فان الامر الثاني وهو الحفظ له في ماله ونفسها عبارة عن عدة تروك كترك السفور وترك التبرج ، وترك مخالطة الاجنبي ، وترك رفع الصوت بالكلام ، وترك سرقة المال وتبذيره ولعل الامر الاول وهو اطاعة الزوج يرجع الى هذه التروك فان الزوج المسلم لا يريد من زوجته المسلمة إلا هذه التروك ، فان الله بعدما طلب من المرأة ان تتصف بهذين الوصفين ذكرها ببعض نعمته عليها حتى تكون شاكرة لنعمه باطاعة امره الذي يجعلها من الصالحات فتصل نعم الآخرة بنعم الدنيا فلا ترى بؤساً ولا ألماً ولا مشقة في الدنيا ولا في الآخرة ، فقال تعالى : « بما حفظ الله » اي كما ان الله حفظ للنساء المهر على الرجال فرضه لهن وكما الزم الرجال بالنفقة عليهن مدة العمر وكما حفظ لهن التوفيق لحفظ ازواجهن بالغيب فان الله هو الموفق لكل خير ينبغي للنساء ان يحافظن على الوصفين المذكورين حتى يكن من الصالحات ، ولا يخفى ان

احب الصالحات الى الله وانفعهن للمجتمع اذا كن من ذوات العلم والأدب كما ان انفع الرجال الصالحين اهل العلم ، فان المرأة ذات العلم والادب التي تدرس الطالبات وتعلمهن اذا كانت من الصالحات المطيعة لاوامر الله سوف تربي الطالبات تربية دينية صحيحة وتعلمهن القرآن وتختار لهن من القرآن الآيات التي تهذب المرأة التي تأمرها بالعفة والحجاب واجتناب الاختلاط مع الرجال فان الاختلاط بغير الصالحين من الرجال مفسد للمرأة لان الرجل الغير صالح حكمه حكم الشيطان وان الشيطان يوحي اليه من الامور مايخدع به المرأة فيخرجها عن طاعة الله وطاعة زوجها ويسبب لها دخول النار ، ولا طاقة لهذا الجلد الناعم على تحمل النار اعاذ الله المسلمين منها . ثم بعدما أمر الله الرجال بالانفاق على المرأة في كل ما تحتاج اليه مما تتوقف عليه الحياة وأمر النساء باطاعة الازواج والحفظ لهم في الغيبة وهو يعلم أن النساء لا يتصفن كلهن بالصلاح وان بعض النساء لا يطعن ولا يحفظن فالرجل بالنسبة الى هذه المرأة العاصية لا يكون مكلفاً بالقيام بجميع واجباته وقد بين الله له مايعمله تجاه هذه المرأة العاصية حتى ترجع الى الطاعة فقال تعالى : « واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً ان الله كان عليا كبيرا » (١) اي المرأة التي لا تقوم بواجبها من اطاعة ربها واطاعة زوجها وحفظه في ماله ونفسه فهذه تسمى ناشزاً ، فاذا اراد زوجها أن يرجعها الى طاعته يلزمه قبل كل شيء أن يعظها اي يذكرها بأوامر الله ونواهيه وبعقاب الله على المعصية فان لم تنفع معها الموعظة يهجرها في المضجع اي لا يضاجعها ولا ينام معها في فراش واحد ولا يجامعها ، فان لم ينفع

---

(١) النساء آية ٣٤ .

ذلك معها يضربها ضرباً غير مبرح اي لا يؤثر في لحم ولا في عظم . وعن الامام الباقر (ع) قال : هو الضرب بالسؤال . فيكون طريق اعادة المرأة الى الطاعة له ثلاث مراتب :

الأول : الموعظة .

الثاني : الهجران في المضاجع .

الثالث : الضرب .

أما الاول ـ فاغلب الناس لا تعرفه فان العوام والعمال والكسبة لا يعرفون ولا يحفظون رواية واحدة في هذا الموضوع ، واما غيرهم ممن دخل المدارس وحصل على وظيفة فانه قد يحفظ الكثير من احكام القانون المدني ولكنه لا يعرف شيئاً من امور الدين ، فرأيت الانسب ان أقوم بهذا الامر ولعل من يريد الانتفاع بمواعظ الله والرسول وتحب ان تتأدب بآداب القرآن ان ترجع الى ما اذكره لها هنا .

روي أن إمرأة جاءت إلى النبي (ص) فقالت : يا رسول الله ما حق الزوج على المرأة ؟ فقال تطيعه ولا تعصيه ولا تتصدق من بيته بشيء إلا بأذنه ، ولا تصوم تطوعاً إلا باذنه ، ولا تخرج من بيتها إلا باذنه ، فان خرجت بغير إذنه لعنتها ملائكة السماء وملائكة الأرض وملائكة الغضب وملائكة الرحمة حتى ترجع إلى بيتها ، فقالت يارسول الله من اعظم النساء حقاً على الرجل ؟ قال والدته ، قالت فمن اعظم الرجال حقاً على المرأة ؟ قال زوجها ، قالت فما لي عليه من الحق مثلما له عليّ ؟ قال لا ، ولا من كل مائة واحد ، فقالت : والذي بعثك بالحق لا يملك رقبتي غير رجل أبدا ، وقال النبي (ص) ايما امرأة آذت زوجها بلسانها لم يقبل الله منها صرفاً ولا عدلاً ولا حسنة من عملها حتى ترضيه وان صامت نهارها وقامت ليلها واعتقت الرقاب وحملت على جياد الخيل

في سبيل الله وكانت اول من يرد النار ، وكذلك الرجل اذا كان لها ظالماً . وقال النبي (ص) ايما امرأة لم ترفق بزوجها وحملته على ما لا يقدر عليه وما لا يطيق لم يقبل منها حسنة وتلقى الله وهو عليها غضبان وزوّج رسول الله إمرأة من رجل فرأت منه بعض ما كرهت فشكت ذلك الى النبي (ص) ، فقال : لعلك تريدين أن تختلعي فتكوني عند الله انتن من جيفة حمار ، وعن ابي عبد الله (ع) ليس للمرأة امر من عتق ولا صدقة ولا تدبير ولا هبة ولا نذر ولا حج او زكاة او براً لوالديها او صلة قرابتها من مال زوجها إلا باذنه . وعن بعض العلماء قال : حق الرجل على المرأة إنارة السراج واصلاح الطعام وان تستقبله عند باب بيتها فترحب به وان تقدم اليه الطف المنديل وان توضئه وان لا تمنعه نفسها الا من علة .

وعن الصادق (ع) قال ان قوما أتوا رسول الله (ص) فقالوا يا رسول الله إنا رأينا اناساً يسجد بعضهم لبعض فقال رسول الله لو كنت آمراً احدا ان يسجد لاحد لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها . وقال النبي (ص) لا تؤدي المرأة حق الله عز وجل حتى تؤدي حق زوجها وعن ابي جعفر قال ان الله عز وجل كتب على الرجال الجهاد وعلى النساء الجهاد فجهاد الرجل ان يبذل ماله ودمه حتى يقتل في سبيل الله وجهاد المرأة ان تصبر على ماترى من اذى زوجها وغيرته ، وقال ابو جعفر ان الناجي من الرجال قليل ومن النساء اقل ، وفي حديث آخر قال جهاد المرأة حسن التبعل ، وقال ايما امرأة باتت وزوجها عليها ساخط في حق لم تقبل منها صلاة حتى يرضى عنها ، وقال رسول الله (ص) ايما امرأة خرجت من بيتها بغير اذن زوجها فلا نفقة لها حتى ترجع ، وقال صلى الله عليه وآله ايما امرأة تطيبت لغير زوجها لم يقبل منها صلاة حتى

تغتسل من طيبها كغسلها من جنابتها ، وقال (ص) ايما امرأة قالت لزوجها ما رأيت منك خيراً قط إلا حبط عملها ، وعن انس بن مالك قال خرج رجل غازيا في سبيل الله واوصى امرأته ان لا تنزل من فوق بيته الى حين يقدم وكان والدها في اسفل البيت فاشتكى فارسلت الى رسول الله (ص) تخبره وتستأمره فارسل اليها ان إتقي الله واطيعي زوجك ، وروي ان رجلاً من الانصار على عهد رسول الله (ص) خرج في بعض حوائجه فعهد الى امرأته عهدا أن لا تخرج من بيتها حتى يقدم ثم ان اباها مرض فبعثت المرأة الى رسول الله (ص) وقالت ان زوجي خرج وعهد إلي أن لا اخرج من بيتي حتى يقدم وان ابي مرض أفتأمرني أن اعوده ؟ فقال لا ، اجلسي في بيتك واطيعي زوجك قال فمات ابوها فبعثت الى رسول الله فقالت يا رسول الله ان ابي قد مات افتأمرني ان احضره ؟ فقال لا اجلسي في بيتك واطيعي زوجك فدفن الرجل فبعث اليها رسول الله (ص) ان الله تبارك وتعالى قد غفر لك ولابيك بطاعتك لزوجك (١) .

وروى المجلسي في ج٦ ص٣٨١ عن عيون اخبار الرضا عن الوراق عن محمد الازدي عن سهل عن عبد العظيم الحسني عن محمد بن علي الرضا عن آبائه عن امير المؤمنين قال دخلت انا وفاطمة (ع) على رسول الله صلى الله عليه وآله فوجدته يبكي بكاء شديداً فقلت فداك ابي وامي يا رسول الله ما الذي ابكاك ؟ فقال ياعلي ليلة اسري بى الى السماء رأيت نساء من امتي في عذاب شديد فأنكرت شأنهن فبكيت لما رأيت من شدة عذابهن رأيت امرأة معلقة بشعرها يغلى دماغ رأسها ورأيت

(١) هذه الاخبار التي وردت في حق المرأة منقولة عن كتاب مكارم الاخلاق لرضي الدين الطبرسي طبع مصر ص٩٠ ـ ٩١ .

امرأة معلقة بلسانها والحميم يصب في حلقها ، ورأيت امرأة معلقة بثدييها ، ورأيت امرأة تأكل لحم جسدها والنار توقد من تحتها ، ورأيت امرأة قد شُد رجلاها إلى يديها وقد سُلط عليها الحيات والعقارب ، ورأيت امرأة صماء عمياء خرساء في تابوت من نار يخرج دماغ رأسها من منخرها وبدنها وتقطع من الجذام والبرص ، ورأيت امرأة معلقة برجليها في تنور من نار ، ورأيت امرأة يقرض لحم جسدها من مقدمها ومؤخرها بمقاريض من نار ، ورأيت امرأة يحترق وجهها ويداها وهي تاكل امعاءها ، ورأيت امرأة رأسها رأس خنزير وبدنها بدن الحمار وعليها ألف الف لون من العذاب ، ورأيت امرأة على صورة الكلب والنار تدخل في جوفها وتخرج من فيها والملائكة يضربون رأسها وبدنها بمقامع من نار ، فقالت فاطمة حبيبي وقرة عيني اخبرني ما كان عملهن وسيرتهن حتى وضع الله عليهن هذا العذاب ؟ فقال : يا بنتي اما المعلقة بشعرها فانها كانت لا تغطي شعرها من الرجال ، واما المعلقة بلسانها فانها كانت تؤذي زوجها ، واما المعلقة بثدييها فانها كانت تمنع من فراش زوجها ، واما المعلقة برجليها فانها تخرج من بيتها بغير اذن زوجها ، واما التي كانت تأكل لحم جسدها فانها كانت تزين بدنها للناس واما التي شد يداها الى رجليها وسلط عليها الحيات والعقارب فانها كانت قذرة الوضوء قذرة الثياب وكانت لا تغتسل من الجنابة والحيض ولا تتنظف وكانت تستهين بالصلاة ، واما الصماء العمياء الخرساء فانها كانت تلد من الزنا فتلحقه بزوجها ، واما التي كان يقرض لحمها بالمقاريض فانها كانت تعرض نفسها على الرجال ، واما التي كان يحرق وجهها وبدنها وهي تأكل امعائها فانها كانت قوادة ، واما التي كان رأسها رأس خنزير وبدنها بدن الحمار فانها كانت نمامة كذابة ، واما التي كانت على صورة

الكلب والنار تدخل من دبرها وتخرج من فيها فانها كانت قينة نواحة حاسدة .

ثم قال (ع) : ويل لامرأة اغضبت زوجها وطوبى لامرأة رضي عنها زوجها .

هذا ما يتعلق بقوله تعالى : « واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن » . هذه هي المواعظ التي قرأتيها ايتها المرأة الصالحة فعلمي الطالبات بما سمعتي عن النبي (ص) حتى يكون لك الاجر الكامل ، واما الامر الذي بعد الموعظة وهو قوله تعالى : « واهجروهن في المضاجع واضربوهن » فان الرجل اذا كان عارفاً بما له من الحق على زوجته وكانت عاصية عليه في اداء حقه فله ان يعاقبها بما ذكره الله . واما اذا اراد منها شيئا محرماً فأبت عليه وكان لها الحق في الاباء عليه فلا يجوز عقابها بشيء ، واما قوله تعالى : « فان اطعنكن فلا تبغوا عليهن سبيلا » اي اذا كانت المرأة مطيعة للرجل من ابتداء امرها أو بعد العصيان فليس للرجل سبيل على ايذائها بالقول او بالفعل وعليه ان يقوم بما امره الله به من النفقة والكسوة والمعاشرة بالمعروف وحسن الخلق ، ثم قال تعالى : « ان الله كان علياً كبيرا » هذا تحذير للرجال اي احذروا ايها الرجال اذى نسائكم فلا تؤذوهن اذا كن مطيعات لكم او اذا رجعن بعد المعصية الى الطاعة فان الله اقدر عليكم من قدرتكم على نسائكم وانكم تعصون الله فى كل وقت ثم تعودون الى الطاعة فلا يؤاخذكم الله بعصيانكم ويقبل منكم التوبة فتعلموا من الله العفو ولا تؤاخذوا نساءكم بما فعلن بعد التوبة واقبلوا منهن العذر ، وسيأتي بعد ذلك من الآيات ما يذكر من احكام الرجال والنساء ومن وصايا النبي (ص) لعلي (ع) قال ياعلي : (ليس على النساء جمعة ولا جماعة ولا اذان ولا إقامة ولا عيادة مريض ولا اتباع

جنازة ولا هرولة بين الصفا والمروة ، ولا استلام الحجر ، ولا حلق ولا تولي القضاء ، ولا تستشار ولا تذبح الا عند الضرورة ، ولا تجهر بالتلبية ولا تقيم عند قبر ، ولا تسمع الخطبة ولا تتولى التزويج ولا تخرج من بيت زوجها إلا باذنه فان خرجت بغير اذنه لعنها الله وجبرائيل وميكائيل ولا تعطي من بيت زوجها الا باذنه ولا تبيت وزوجها عليها ساخط وان كان ظالما لها) ولا يخفى على المرأة المتعلمة الاديبة ان المقصود من اذن الزوج للمرأة للخروج من البيت ان يكون اذنه لها غير مخالف للشرع والا فان رجال هذا العصر لا يبالون ولا يغارون على نسائهم وان جلسن مع الاجانب او خلون بهم وهذا الرجل الذي يرضى لزوجته مجالسة الاجانب من الرجال قد لعنه النبي (ص) وسماه ديوثا فمن جملة كلام النبي (ص) قوله : ايما رجل تتزين امرأته وتخرج من باب دارها فهو ديوث ولا يؤثم من يسميه ديوثا والامرأة اذا خرجت من باب دارها متزينة متعطرة والزوج بذلك راض يبنى لزوجها بكل قدم بيت فى النار ، ثم وجه خطابه الى الرجال بقوله : (فقصروا اجنحة نسائكم ولا تطولوها فان فى تقصير اجنحتها رضى وسرورا ودخول الجنة بغير حساب ، احفظوا وصيتي فى امر نسائكم حتى تنجوا من شدة الحساب ومن لم يحفظ وصيتي فما اسوء حاله) ان النبي الاكرم سوف يوقف النساء المتعلمات والعالمات اللاتي يعرفن هذه الاحكام ولا يعملن بها بل يعملن بخلافها فسيسألهن يوم القيامة عن هذه المعصية العظيمة ويكون عقابهن من ناحيتين :

الاولى : مخالفتهن للحكم .

الثانية : لعدم تعليمهن الطالبات الجاهلات هذا الحكم المهم فى الشريعة الاسلامية الذي يصرح به القرآن والسنة النبوية فليس لهن

عذر عند الله وعند رسوله يوم القيامة ، وبعد هذا نقول لم يفت اوان الارشاد ولم يمض الوقت الذي يمكن تدارك الامر واصلاح الفساد فلو اتفقت مأة امرأة من العالمات وما اكثرهن فى المسلمين وتعاهدن على ان يكن صالحات كما وصفهن الله « فالصالحات قانتات حافظات للغيب » فان هذا الاتفاق اذا صحبه ارشاد للجاهلات يكون له اثر عظيم فى المجتمع ولكن هيهات هيهات فانا نرى الامر على عكس ذلك فان المرأة التي تكون محافظة على امور دينها وشريعتها فى اوان صغرها وحين تكون طالبة نراها اذا وصلت الى درجة راقية وحصلت على شهادة من كلية او جامعة ترمي بكل الاصول الدينية وتخرج متبرجة فى غاية الخلاعة وقد عرفت حق المعرفة قوله تعالى : « ولا تبرّجن تبرج الجاهلية الاولى » ولو شئت ان اسمي لكُنَّ بعض هذه النسوة لسميتها ولكن لست مكلفا بذلك وهن يعرفن انفسهن ، وسوف تأتى الآيات التي تذكر شروط المـــرأة المسلمة ان شاء الله تعالى ، وانى اذكر هذه الرواية تحفة للنساء الصالحات لتكون حجة لهن على غير الصالحات ، فى الدر المنثور اخرج البيهقى عن اسماء بنت يزيد الانصارية انها اتت النبي (ص) وهو بين اصحابه فقالت : بابى انت وامى انا وافدة النساء اليك واعلم نفسى لك الفداء انه ما من امرأة كائنة فى شرق ولا غرب سمعت بمخرجى هذا إلا وهى على مثل رأي ان الله بعثك بالحق الى الرجال والنساء فآمنا بك وبالاهك الذي ارسلك وانا معشر النساء محصورات مقسورات قواعد بيوتكـم ومقضى شهواتكم وحاملات اولادكم وانكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمعة والجماعـة وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعـــد الحج ، وافضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله ، وان الرجل منكم اذا خرج حاجاً او معتمرا او مرابطا حفظنا لكم اموالكم وغزلنا لكم اثوابكم وربينا

لكم اولادكم فما نشاركم في الاجر يا رسول الله ، فالتفت النبي (ص) الى اصحابه بوجهه كله ثم قال : هل سمعتم مقالة امرأة قط احسن من مسائلتها في امر دينها من هذه ؟ فقالوا : يا رسول الله ما ظننا ان امرأة تهتدي الى مثل هذا ، فالتفت النبي (ص) اليها ثم قال لها : انصرفي ايتها المرأة واعلمي من خلفك من النساء ان حسن تبعل احداكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله فادبرت المرأة وهي تهلل وتكبر استبشاراً ، ثم ان الآية التي بعد هذه الآية التي تحتاج الى ذكر تقدمة لها حتى يعلم الرجال والنساء مقدار رحمة الله ورأفته بهم ، فنقول ان الله خلق النساء للرجال والرجال للنساء ليأنس كل منهما بالآخر وامر بالزواج وحث عليه لتكون المرأة سكناً للرجل وبين للزواج حدوداً وشروطاً وجعل لكل من الزوج والزوجة حقوقاً على الآخر وذكر في الآية السابقة ان المرأة اذا خرجت عن الطاعة تؤدب بالامور الثلاثة متدرجاً فيها ، وكذا الرجل اذا خالف حقوق المرأة يؤدب ويردع ، وان الله انما امر بتأديب المخالف لكي يرجعا الى الالفة والمحبة والانس . اما اذا خفنا من التأديب ان ينجر الى الخلاف والنزاع والانشقاق فقد امرنا الله باتخاذ طريقة اخرى للمحافظة على الالفة والمحبة فقال تعالى :

« وان خفتم شقاق بينهما فأبعثوا حكماً من اهله وحكماً من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما » (١) .

ان الله خاطب بهذه الآية اما اهل الزوج والزوجة ، واما الحكام الذين يتولون النظر في امور المسلمين ، واما عموم المسلمين لانهم كلهم مكلفون باصلاح ذات البين ، يقول الله لهم اذا خشيتم او اذا تيقنتم ان هذين الزوجين لا يتمكنان ان يدبرا امرهما وحدها وهما مختلفان في من

---

(١) النساء آية ٣٥ .

خرج عن الطاعة كل واحد يرمي صاحبه بالخروج عن الطاعة واذا بقي على هذه الحالة يحصل الانشقاق بينهما اي الانفصال والتباعد فكل واحد منهما يكون في شق من المكان وحينئذ تبقى المرأة معلقة ويبقى الرجل وحده ، أو انه يتغلب عليه الغضب والحدة فيطلقها وكلا الامرين غير محبوبين لله ولذا امر الله من امر اما اهلي الزوجين ، او الحكام والقضاة او عموم المسلمين ان يبعثوا بحكم من قبل اهل الزوج وآخر من قبل اهل الزوجة ، والحكمان اما من الاقارب او يكفى كونهما من الاجانب وهذان الحكمان ينظران في امر هذين الزوجين ويشخصان الخارج عن الطاعة من يكون منهما ، ويشترط في الحكمين ان يكونا من صالح الرجال والنساء وان لا يتحيزا بل يكونا من العدول ، فاذا اجتمع الحكمان واطلعا على امر الزوجين ونظرا فيما يحكمان به من الامر وعرفا أيهما المطيع وايهما الخارج عن الطاعة وحينئذ إما ان يتفق الحكمان على شيء واحد واما ان يختلفا في صورة الاختلاف فيرجع النزاع الى ما كان اولا ، واما فى صورة الاتفاق فيكون قوله تعالى : « ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما » فيه اربع صور :

الأولى : ـ ان يكون ضمير الفعل وضمير الظرف راجعان الى الحكمين

الثانية : ـ ان يكون الضميران عائدين على الزوجين .

الثالثة : ـ ان يكون ضمير الفعل عائدا على الحكمين والآخر على الزوجين ،

الرابعة : ـ عكس الثالثة فارادة الاصلاح إما من الحكمين وحينئذ يوفق الله بينهما ويوفق بين الزوجين فيكون لله توفيقين احدهما بين الزوجين والآخر بين الحكمين وإما ان تكون ارادة الاصلاح من الزوجين وحينئذ يوفق الله بين الزوجين وبين الحكمين ايضا في الحكم فيكون لله

توفيقين في الصورة ايضا ، وهذا دليل على حب الله لعباده الألفة والوفاق دون الانشقاق . هذا بالنسبة الى شخصين فكيف يكون حكم الانشقاق في جماعة المسلمين عامة ؟ فانه من ابغض الامور الى الله تعالى فمن اين انبعثت هذه الفرق الاثنين وسبعين ماعدا الفرقة الناجية ، وقد ذكر الطبرسي في الاحتجاج رواية تتعلق بالموضوع احببت ذكرها هنا قال : روي ان نافع بن الازرق جاء الى محمد بن علي بن الحسين (ع) فجلس بين يديه يسأله عن مسائل في الحلال والحرام ، فقال له ابو جعفر في عرض كلامه قل لهذه المارقة بما استحللتم فراق امير المؤمنين وقد سفكتم دمائكم بين يديه وفي طاعته والقرب الى الله تعالى بنصرته ؟ فسيقولون لك انه حكم في دين الله فقل لهم قد حكم الله تعالى فى شريعة نبيه (ص) رجلين من خلقه قال جل اسمه . « فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما » وحكم رسول الله سعد بن معاذ من بني قريضة فحكم فيهم بما أمضاه الله او ماعلمتم ان امير المؤمنين إنما امر الحكمين ان يحكما بالقرآن ولا يتعديا واشترط رد ما خالف القرآن من احكام الرجال وقال حين قالوا له حكمت على نفسك من حكم عليك ، فقال ما حكمت مخلوقاً فانما حكمت كتاب الله فاين تجد المارقة تضليل من امر بالحكم بالقرآن واشترط رد ماخالفه ولا ارتكابهم في بدعتهم البهتان فقال نافع بن الازرق هذا والله ما طرق بسمعي قط ولا خطر مني ببال هو الحق انشاء الله تعالى .

وقوله تعالى بعد ذلك : (إنّ الله كان عليما خبيرا) في هـــذه الجملة وعد ووعيد كما في اغلب الآيات المشتملة على الاحكام فانها تختم بجملة فيها الوعد والوعيد ، الوعد لمن سار على طريق الحق ولم يخرج عن الطاعة سواء أكان أحد الزوجين او احد الحكمين او احـــد اهالي

الزوجين او احد الحكام او القضاة او احد المسلمين المكلفين بالاصلاح والوعيد لمن خرج عن طاعة الله والرسول وخالف القرآن والسنة ، فاحذر ايها المسلم وايتها المسلمة فان الله عليم بمن يريد الشقاق ، وخبير بمن يريد الوفاق .

إذا عرفت هذا واتضح لك ان الله تعالى يحب الوفاق ويكره الشقاق وان الفرقتين المختلفتين لابد وان تكون احداهما باطلة اذا لم تكن كلتاهما كذلك تجلى لك قوله تعالى :

« واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً » (١) فانه وجه الخطاب للعموم ولم يخص به المؤمنين فهو يشمل جميع الناس من الرجال والنساء في جميع طبقاتهم والكل يعرف ان الله واحد ورسوله واحد وكتابه واحد وعبادته واحدة ليس فيها اختلاف ، فيلزمهم ان يأخذوها من كتابه بواسطة من يعلم تأويله وتفسيره ولا يجوز لهم ان يفسروه بآرائهم فان ذلك موجب للاختلاف والشقاق ، وعند ذلك يكون الشرك بالله ، لان الظاهر من هذه الآية ومن التي قبلها ان المقصود من الشرك هو شرك الطاعة لا شرك العبادة ، فان الشرك اما ان يكون بجعل الشريك لله في العبادة بحيث يعبده كما يعبد الله ويسجد له كما يسجد لله وهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله كما ذكره في قوله تعالى : « ان الله لا يغفر ان يشرك به » ، واما ان يكون بجعل الشريك له في الطاعة وهذا لا ينجو منه احد الا المعصوم لان كل معصية هي طاعة للشيطان فالعبد العاصي كما يطيع الله كذلك يطيع الشيطان فان الله تعالى لما بين صفة المرأة الصالحة ثم ذكر ان بعض النساء يكن ناشزات لا يطعن الله ولا يطعن ازواجهن ، ثم ذكر كيفية تأديب الناشز وبعد ذلك امر المسلمين اذا

---

(١) النساء آية ٣٦ .

خافوا من وقوع الشقاق والتباعد بين الزوجين من سبب معصية احدهما او كليهما ان يبعثوا حكمين عدلين لينظرا في الامر .

وفي هذه الآية وجه خطابا عاما لجميع العباد الذكور والاناث ان يسيروا على احكام الله في اوامره ونواهيه ولا يخالفوا شيئاً منها فانهم اذا خالفوا امر الله فقد اطاعوا الشيطان ، وطاعة الشيطان هي الشرك في الطاعة ، والنزاع والجدال والانشقاق بين الاثنين او بين الجماعتين او بين المسلمين انما يحدث اذا عملوا المعاصي وخالفوا امر الله ورسوله واما اذا كان كلهم او جلهم مطيعين عاملين باوامر الله تعالى التي تلقوها من رسوله في حياته ومن بعد الرسول يأخذونها ممن جعل الرسول علم الحلال والحرام وتفسير القرآن عنده فيكون مصدره واحدا ليس عنده اختلاف ، امـــا اذا تفرق المسلمون وصاروا فرقاً وشيعاً ولكل فرقة امام يختلف مع امام الفرقة الاخرى فى معرفة الاحكام وليس عندهم كلهم علم القرآن ومعرفة الحلال والحرام فلا ريب من وقوع الاختلاف ووقوع الشقاق ، وهذا امر واضح يدركه كل ذي عقل ، فعلى العاقل ان يتبع العالم بالاحكام ولا يتبع المفضول ، واذا اتضح لك المعنى المقصود من الآية وان الله ينهى عن المعصية المتعلقة بالفروع والعمل فلا يبعد ان يكون المقصود كما اختاره بعض المفسرين من قوله تعالى : « وبالوالدين احسانا » انه يريد بالوالدين (النبي والوصي) الذين ذكرهما النبي بقوله لعلي : (انا وانت ابوا هذه الامة) ويكون الاحسان اليهما الذي امر به الله هو اطاعتهما فيما يخبران به عن الله فاذا اتفق الناس كلهم على طاعتهما ارتفع الخلاف والتأم الشقاق فصارت الفرق كلها واحدة وتحقق قوله تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً » فانهما الابوان اللذان يربيان الروح ويرشدان الى النعيم الدائم الذي لا انقطاع له ، وامـــا

الابوان اللذان يربيان البدن ويجلبان لولدهما نعيم الدنيا المنقطع فقد اوصى بهما الله والابوان الروحانيان وصاية مؤكدة ولكن حق مربي الروح اعظم من حق مربي البدن والمرشد الى النعيم الدائم يكون حظه اعظم ممن يدل على النعيم المنقطع ، والذي ينقذك ويخلصك من العذاب الدائم الابدي اتباعه وطاعته اولى واوجب ممن يدفع عنك الالام والآفات الموقتة الزائلة .

ذكر العياشي فى الجزء الاول ص٢٤١ رقم الحديث ١٢٨ عن ابي بصير عن ابي عبد الله (ع) قال : ان رسول الله (ص) احد الوالدين وعلي الآخر ، فقلت : اين موضع ذلك في كتاب الله ؟ قال اقرأ : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احسانا » وفيه حديث ١٢٩ عن ابي بصير عن أبي جعفر (ع) في قول الله : « وبالوالدين احسانا » قال : ان رسول الله (ص) احد الوالدين وعلي الآخر وذكر انها الآية التي في النساء / فاذا كان المقصود من الوالدين هما اللذان عندهما تفسير القرآن وتأويله وعندهما علم الاحكام كان الاحرى والاقرب والانسب لقوله تعالى « وبذي القربى » هم الذين عندهم تأويل القرآن ومن جعلهم النبي (ص) عدلاً في وجوب التمسك بهما في وصيته حيث قال : (اني مخلف فيكم الثقلين ، ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي ابداً ، احدهما كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانهم لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) وبعد ذلك اوصى الله بالاحسان الى اليتامى ، واليتيم هو الذي فقد ابويه او اباه فقط وبقي بلا كفيل ويطلق اليتيم على من لا مثيل له ولا نظير . ويمكن ان يكون المراد منهم قرناء القرآن الذين ليس لهم مثيل في العلم والعمل ، وقد وردت الآيات والاخبار الكثيرة في الحث على الاحسان الى اليتيم وعظيم الاجر من الله على ذلك فمن

ذلك ماروي عن النبي (ص) قال مر عيسى بن مريم (ع) بقبر يعذب صاحبه ثم مر به من قابل فاذا هو ليس يعذب فقال ياربي مررت بهذا القبر عام اول فكان صاحبه يعذب ثم مررت به العام فاذا هو ليس يعذب ، فاوحى الله عز وجل اليه ياروح الله انه ادرك له ولد صالح فاصلح طريقاً وآوى يتيما فغفرت له بما عمل ابنه ، وعنه (ص) قال من كفل يتيماً وكفل نفقته كنت انا وهو في الجنة كهاتين وقرن بين اصبعيه السبابة والوسطى ، وقد وردت الروايات ان من مسح يده على رأس يتيم ترحماً له اعطاه الله تعالى بكل شعرة نورا يوم القيامة ، وكتب الله له بكل شعرة مرت يده عليها حسنة ، وقال النبي (ص) لابي ذر يا ابا ذر اني احب لك ما احب لنفسي ، اني اراك ضعيفا فلا تأمرن على اثنين ولا تلينّ مال اليتيم .

وعن العياشي عن ابي بصير قال : قلت لابي جعفر اصلحك الله ما ايسر مايدخل به العبد النار ، قال : من اكل من مال اليتيم درهما ونحـــن اليتيم ثم اوصانا الله تعالى بعد الوصايا باليتيم بالاحسان الى المساكين بقوله تعالى : « واليتامى والمساكين » فلا ينبغي ولا يجوز الغفلة عن المساكين ويلزم اعطاؤهم ما يحتاجون اليه من الطعام والكسوة وما لابد لهم منه ، ثم اوصانا بعد ذلك بالجار وقد جعلهم قسمين بقوله « والجار ذي القربى والجار الجنب » فالجار مرة يكون من الاقارب ومرة يكون اجنبياً ولعل الوصاية بالاجنبي لان بعضهم يرى ان الاجنبي لا تلزم صلته ، وقد روي عن النبي (ص) انه قال : (الجيران ثلاثة : جار له ثلاثة حقوق ، حق الجار وحق القرابة وحق الاسلام ، وجار له حقان حق الجوار ، وحق الاسلام ، وجار له حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب ، وروي ان حد الجوار الى اربعين دار) ثم قال تعالى « والصاحب

بالجنب » ، قال في مجمع البيان في معناه اربعة اقوال :

احدها انه الرفيق في السفر ، عن ابن عباس وسعيد بن جبير وجماعة والاحسان اليه بالمواساة وحسن العشرة .

وثانيها انـه الزوجة ، عن عبد الله بن مسعود وابن ابي ليلى والنخعي

وثالثها انـه المنقطع اليك يرجو نفعك عن ابن عباس في احدى الروايتين وابن زيد .

ورابعها انـه الخادم الذي يخدمك والاولى حمله على الجميع انتهى مافي المجمع ، ثم امر الله تعالى بالاحسان بعد من تقدم ذكره بقوله : « وابن السبيل وما ملكت ايمانكم » . اما ابن السبيل فهو المسافر الذي ذهب ماله في اثناء الطريق ولا يمكنه الوصول لبلده ، فقد افتى الفقهاء باعطائه مما ينطبق عليه من الحقوق وان كان غنياً في مكانه ، وان الله يأمرنا بالاحسان اليه وان لا نهمله ولا نتركه في حاجة ، واما المماليك فهم العبيد والاماء ينبغي لكل من يعد نفسه مولى ان يحسن الى مماليكه فان لم يحسن اليهم فاولى به ان يكون عبدا ، والاهل والعيال ايضا مما ملكت يده لانهم تحت يده وهم يأملون منه الاحسان فلا ينبغي له ان يقتر عليهم في المعاش او فيما يحتاجون اليه ، ثم ختم الله عز وجل بقوله : « ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا » ، المختال هو المتكبر على احكام الله او على عبادة الله فكل من ترك شيئاً من الامور التي ذكرت في الآية فهو متكبر عليها ، وكل من لم يحسن الى الاصناف كلهم او بعضهم فهو متكبر عليهم وكذا من يكون مفاخرا الناس . اما من احد الاصناف الذين ذكرهم الله وامر بالاحسان اليهم او من غيرهم فان هاتين الصفتين لا يحبهما الله ولا يحب المتصف بهما او باحدهما فيلزم على المسلم ان ينزه نفسه منهما ليكون محبوبا لله ، فالمرء الذي يتكبر

ويتجبر لكثرة ماله لو تأمل لحظة وعرف ان المال لله يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء لعرف انه اجهل الجهلاء . قال في المجمع « وهذه الآية جامعة تضمنت بيان اركان الاسلام والتنبيه على مكارم الاخلاق ومن تدبرها حق التدبر وتذكر بها حق التذكر اغنته عن كثير من مواعظ البلغاء وهدته الى جم غفير من علوم العلماء ، ثم ان الله بعدما بين هذه الاحكام وأمر بالاحسان الى الاصناف المتقدم ذكرهم ذم في الآية الآتية من يتخلف عن امره بقوله : « الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا » (١) .

ذكر المفسرون ان المراد بالبخيل اما ان يكون يبخل ببذل المال المفروض عليه كالزكاة وشبهها او يبذل المال المندوب اليه ، واما ان يبخل ببذل العلم المأمور بنشره وبثه في الناس وهذا القسم الثاني مرة يكون ذماً لاهل الكتاب حيث وجدوا صفة النبي (ص) في التوراة مطابقة لما هو عليه فاخفوها وكتموها او انكروها وحرفوها وهؤلاء لا يكون ضرر كتمانهم للدين الاسلامي كبيراً لان الله هو الذي يصف النبي ويؤيده بنصره ويمده بالمعجزات الباهرات ، ومرة اخرى يكون ذماً لامة محمد (ص) اذا سمعوا شيئاً من النبي (ص) يتعلق بعموم الامة وله مساس بأصول الدين وقد امرهم النبي (ص) ان يبلغوا من لم يكن حاضراً ومع كل هذا فانه اخفوه وكتموه ، ولعل الآية التي في آخر الفصل تشير الى ذلك فان هذا الكتمان اكثر ضرراً على الدين والمسلمين من كتمان اهل الكتاب واعم فساداً واشد اثراً في تفريق الامة وسواء أكان المقصود البخل ببذل المال أو ببذل العلم ، وكذا بالنسبة الى الكتمان ان كان كتمان المال او كتمان العلم فان جميع الاصناف يشملهم الذم

---

(١) النساء آية ٣٧ .

من الله ومن الناس واكثرهم ذماً واعمهم فسادا الذين امرهم النبي (ص) بنشر حديثه وابلاغ من كان غائبا عنهم وهم كتموا الحديث وانكروه ولم يكتفوا بكتمان الحديث واخفائه وانكاره بل جعلوا يأمرون الناس بالكتمان ويعاقبون من يظهره منهم ، ولا تنس ما كتبه معاوية لعماله في سائر الاقطار ان برئت الذمة ممن يذكر فضيلة لابي تراب ، وبعض المسلمين يسميه (امير المؤمنين) وهو يسمع قول الله تعالى حيث يقول في حق هؤلاء الذين يكتمون ما آتاهم الله : (واعتدنا للكافرين عذابا مهينا) فكل من سمع حديثا من النبي (ص) فكتمه فهو كافر بمقتضى الآية ، وكذا اذا امر الناس بكتمانه ولا فرق بين من كان موجودا في زمان النبي (ص) أو أنه وجد في الازمنة المتأخرة عنه بصدور الحديث وعلم بصدور الحديث عنه بالتواتر وثبوته في الكتب المعتبرة والاسانيد الصحيحة فكل واحد منهم مكلف باذاعة الحديث وبذله لمن يطلبه ونشره للملأ حتى يطلع عليه جميع الامة ، وكل واحد منهم مؤاخذ على كتمانه واخفائه ، ولا فرق ايضا بين كتمان الحديث وبين تحريفه وحمله على خلاف ظاهره ، فان الحديث الذي لا يمكن كتمانه لظهوره وشهرته وثبوته فى جميع الكتب ولا يهون مثله على هذا الذي يعبر الله عنه بالكافر فانه يحمله على معنى بعيد عن الظاهر وان لم يوافقه على هذا احد الا من هو مثله فى اتباع الهوى وحب كتمان الحق فهم في ذلك سواء .

اما اهل الحق والصدق فانهم لا يكتمون ولا يحرفون ثم ذكر الله صنفاً آخر ممن تخلف عن قبول اوامره وامتنع عن الاحسان الى الاصناف الذين امر الله بالاحسان اليهم فقال تعالى :

« والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم

الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا » (١) .

هذه الآية الشريفة تذكر صنفا من المنافقين الذين يظهرون الايمان ويبطنون الكفر ويظهرون للناس انهم مطيعون لاوامر الله حيث امرهم بالانفاق على من تقدم ذكرهم ولكن إنفاقهم إنما هو للناس وليس لامتثال امر الله لانهم لا يؤمنون بالله ولا يصدقون بيوم القيامة الذى فيه الثواب والعقاب وليس لهم غاية من بذل المال إلا مدح الناس لهم وان ذمهم الله ، وقد اخبر الله عن هؤلاء بانهم قرناء الشيطان وان اسوء قرين للانسان هو الشيطان نفسه ، فان الانسان يعلم علماً يقينا قطعيا أن الشيطان هو عدو له يريد به السوء في كل وقت وعلى كل حال فاذا اتخذه قرينا مع هذا العلم فانه اتخذ قرينا سيئاً باختياره ورضاه ولا يرضى بذلك إلا ناقص العقل ، ثم ان الله وجه سؤالا إنكاريا لكلا الفريقين أي الباخلين والمنفقين رياء ، فقد وبخهم بهذا السؤال وذمهم على عملهم فقال تعالى :

« وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما » (٢) . انه تعالى يقول لهم او يقول للنبي (ص) او لمن يعرف مصلحته ويراعي نفسه اي ضرر من اضرار الدنيا والآخرة يرد على هؤلاء الذين يبخلون ويكتمون ما آتاهم الله من مال ومن علم قد بينه لهم النبي (ص) لاجل ايضاح الحق والحقيقة فأخفوه وكتموه لاجل ان يكتموا حقائق الدين الذي بينه الله لنبيه ، فلو انهم آمنوا بالله وبينوا ما كتموه وانفقوا ما عندهم من مال او علم لينتفع به الناس هل يترتب على ذلك ضرر يصيبهم في دنياهم او اخراهم . فاذا فكر العاقل في هذا

(١) النساء آية ٣٨ .

(٢) النساء آية ٣٩ .

السؤال الموجه الى هؤلاء الذين كفروا او بخلوا او كتموا يعلم علما قطعياً انه لا يصيبهم ضرر في الدنيا ابدا لا كثير ولا قليل . واما في الآخرة فأن العاقل الذي لم يحصل له اعتقاد فى الآخرة فينبغي له ان يتخذ له طريقة موافقة للاحتياط حيث ان من امر منهم بشيء ليس في امتثاله ضرر عليه ويحتمل احتمالاً عقلائيا ان في تركه ضرر عليه يحكم العقل بوجوب اتيانه لان احتمال الضرر يكون فى الترك وليس في فعله احتمال الضرر وهذا هو الحكم الذي عليه العقلاء .

وقد روي عن ابي منصور المتطبب قال : اخبرني رجل من اصحابي قال : كنت انا وابن ابي العوجاء وعبد الله بن المقفع فى المسجد الحرام فقال ابن المقفع ترون هذا الخلق واومى بيده الى موضع الطواف مامنهم احد اوجب له اسم الانسانيــــة إلا ذلك الشيخ الجالس يعني جعفر ابن محمد (ع) فاما الباقون فرعاع وبهائم ، فقال له ابن ابي العوجاء وكيف اوجبت هذا الاسم لهذا الشيخ دون هؤلاء ؟ قال : لاني رأيت عنده ما لم ارَ عندهم ، فقال ابن ابي العوجاء لابد من اختبار ماقلت فيه منه ، فقال له ابن المقفع لا تفعل فانى اخاف ان يفسد عليك مافى يدك ، فقال : ليس ذا رأيك ولكنك تخاف ان يضعف رأيك عندي فى احلالك اياه المحل الذي وصفت ، فقال ابن المقفع اما اذا توهمت على هذا فقم اليه وتحفظ ما استطعت من الزلل ولا تثن عنانك الى استرسال يسلمك الى عقال وسمه مالك او عليك ، قال فقام ابن ابي العوجاء وبقيت وابن المقفع ورجع الينا وقال يابن المقفع ما هذا ببشر ، واذا كان في الدنيا روحانى يتجسد اذا شاء ظاهرا ويتروح اذا شاء باطنـا فهو هذا فقال له : وكيف ذاك ؟ قال جلست اليه فلما لم يبق عنده غيري ابتدأني فقال : ان يكن الامر على مايقول هؤلاء وهو على مايقولون

يعني اهل الطواف فقد سلموا وعطبتم ، وان يكن الامر كما تقولون وليس كما تقولون فقد استويتم وهم ، فقلت له يرحمك الله واي شيء نقول واي شيء يقولون ؟ ما قولي وما قولهم إلا واحد ، فقال كيف يكون قولك وقولهم واحد وهم يقولون ان لهم معادا وثوابا وعقابا ويدينون بان للسماء إلها وانها عمران وانتم تزعمون ان السماء خراب ليس فيها احد ، قال : فاغتنمتها منه فقلت له ما منعه ان كان الامر كما تقول ان يظهر لخلقه ويدعوهم الى عبادته حتى لا يختلف منهم اثنان ولَمَ احتجب عنهم وارسل اليهم الرسل ولو باشرهم بنفسه كان اقرب الى الايمان به فقال لي : ويلك وكيف احتجب عنك من اراك قدرته فى نفسك نشوؤك ولم تكن ، وكبرك بعد صغرك وقوتك بعد ضعفك ، وضعفك بعد قوتك وسقمك بعد صحتك ، وصحتك بعد سقمك ورضاك بعد غضبك ، وغضبك بعد رضاك ، وحزنك بعد فرحك ، وفرحك بعد حزنك ، وحبك بعد بغضك وبغضك بعد حبك ، وعزمك بعد إبائك ، وإباؤك بعد عزمك ، وشهوتك بعد كراهتك ، وكراهتك بعد شهوتك ، ورغبتك بعد رهبتك ، ورهبتك بعد رغبتك ، ورجاؤك بعد يأسك ، ويأسك بعد رجائك ، وخاطرك مالم يكن فى وهمك وعزوب ما انت معتقده من ذهنك ، وما زال يعد علي قدرته التي هى في نفسه التي لا ادفعها حتى ظننت انه سيظهر فيما بيني وبينه . وشاهدنا من ذكر الرواية بطولها كلمته الاولى وهو قوله : ان يكن الامر على مايقول هؤلاء فقد سلموا وعطبتم .

وبعد هذا نوجه السؤال الى هؤلاء الذين سمعوا كلام النبي (ص) المتعلق بالدين فبخلوا بنشره للناس وامروا اصحابهم ومن تابعهم بعدم نشره وكتموه عن كل احد نسألهم بعد ان سألهم الله ما كان يحدث عليهم وما يصيبهم لو حدثوا به واعلنوه للملأ ، ونقول لهم كما قال الامام

لابن ابي العوجاء إن كنتم لا تعتقدون بالمعاد فان كان الامر كما فعل غيركم من نشر حديث النبي واذاعته لان الدين لا يتم إلا به فقد سلموا وعطبتم ، ولا ريب اننا نخاطب اهل عصرنا هذا ، اما اهل ذلك العصر اي الذين كانوا بعد النبي فقد مضوا وعلموا انهم قد عطبوا وان كان الامر كما فعلوه من البخل بالحديث وايثار كتمانه وليس كما يقولون فقد ساويناهم في كل شيء فلا نأسف ولا نندم . ومن جملة الاحاديث التي بخل بنشرها و كتمت أو حرفت وحملت على خلاف معانيها الحقيقية ماناشدهم عليه امير المؤمنين علي (ع) حين خطبهم بالكوفة فقال نشدت الله رجلاً سمع النبي يقول يوم غدير خم : (من كنت مولاه فعلي مولاه) إلا قام فشهد فقام جماعة وامتنع بعضهم فسأله علي عن عدم شهادته فقال : كبرت ونسيت ، فقال علي : ان كذبت فى مقالك هذا ضربك الله ببياض لا تستره العمامة فضربه الله ببياض في جبهته فكان ينزل عمامته على جبهته فينزل البياض فلا تستره العمامة ، وفي هذا العصر كل انسان مكلف بنفسه ومسؤول عنها والسؤال موجه اليه من الله فاذا علم بصدق الحديث المروي عن النبي (ص) فعليه ان يعمل به وينشره لقومه واصحابه ولا يكتمه والله يعلم ذلك منه ويجازيه على عمله كما يصرح له فى آخر الآية ويعده بالجزاء الحسن بقوله تعالى « وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما » (١) .

انظر كيف يعدكم الله بالجزاء الحسن حيث انه عالم بكم وبما تعملون فمن شاء ان يتدارك نفسه في حياته قبل فوات الامر وحضور الاجل فالطريق واضح ، ثم ان الله عقب ذلك الامر الاول وهو الحكم على من بخل وكتم احاديث النبي بالكفر وتوعدهم بالعذاب المهين فانه ليس بظالم

(١) النساء آية ٣٩ .

لهم وانما هو جزاؤهم وذلك قوله تعالى : « ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما » (١) .

اسمعت ايها المسلم الذي يريد النجاة في الآخرة من العذاب وتحب ان تلقى الله يوم تموت ويوم تبعث وهو راض عنك غير ساخط عليك فلا تفعل ما نهاك الله عنه من البخل بنشر الحديث وامر الناس بذلك وكتمانه وتحريفه وحمله على حقيقته ، فمن يفعل ذلك اي يبخل ويكتم فيكفر فان الله غير ظالم له في ادخاله في العذاب المهين ، واما من يجود بنشر الحديث ويحدث به الناس ويعمل به ويحمله على معناه الحقيقي فان الله يجعل هذا العمل حسنة ونشر الحديث حسنة ، وحمله على حقيقته حسنة ، ثم يضاعف له هذه ولم ندر الى كم يضاعفها له فانها اي المضاعفة غير محدودة ، ثم بعد ذلك يؤت الله من لدنه اي من فضله واحسانه من غير كونه جزاء على عمل وهذا العطاء اجر عظيم ، فالشيء الذي يعبر الله عنه بالعظيم لا يمكن ان يتصوره الانسان ، فهل يسوغ في حكم العقل ان يترك الانسان المحتاج الى حسنة واحدة يوم القيامة هذا الاجر العظيم لاجل كتمان حديث بلغه عن رسول الله وقد امر انسانا مثله بالكتمان ، وهذا الكتمان يعود نفعه الدنيوي لذلك الآمر فان عقلك يمنع عن تضييع هذا الاجر العظيم لنفع غيرك ، ثم ان الله تعالى ذكر ما يؤول اليه امر هذا الكاتب للحديث يوم حشر الناس للحساب والثواب والعقاب فقال تعالى : « فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا » (٢) اي كيف يكون حال المخالفين لاوامر الله تعالى وكيف يعمل من اظهر للنبي (ص) الايمان والتصديق به ولكنه بخل

(١) النساء آية ٤٠ .
(٢) النساء آية ٤١ .

بايصال قوله وابلاغ من كان غائبا بامره وكتم حديثه ، فلما ذكر به حرفه وحمله على غير معناه المقصود منه كيف حال هذا المرء اذا حشر الله الناس وحشر الانبياء ليشهدوا على امهم ، ثم يقول الله للنبي « وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) اي نسألك عن عمل المنافقين من امتك الذين بخلوا علي عن بذل المال وبذل الحديث الذي هو تكملة للدين فكتموه وقد وردت الاخبار في تفسير الآية ان كل نبي يشهد على قومه وامته في ذلك اليوم فيشهد للمطيع بالطاعة وعلى العاصي والمخالف بالمعصيـــة ، وهكذا نبينا يشهد على امته يشهد على كل واحد بما عمل فيقول فلان ابن فلان صدقني وعمل بما امرته به ولم يغير ولم يبدل ولم يكتم الحديث الذي امرت بالعمل به ولم يحرفه ولم يحمله على خلاف معناه ، ثـــم يلتفت الى آخر او الى جماعة اخرى فيقول هؤلاء اظهروا الايمان واظهروا التصديق بي ولكنهم قد انقلبوا من بعدي على اعقابهم وقد ارتدوا ولم يعملـــوا باوامري ولم ينشروا ما امرتهم بنشره من الحديث فكتموه وغيروا معناه وحرفوه وقد سببوا بفعلهم هذا اختلاف امتي وافتراقهم الى فرق عديدة كلها خرجت عن الدين إلا فرقة واحدة وهي التي تمسكت بدينها وبقول نبيها فكيف تعمل هذه الفرقة التي شهد عليها النبي (ص) بالارتداد ليس لها الا التمني الذي لا طمع لهم به كما اخبر الله عنه بقوله « يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا » (١) اتعرف من هؤلاء الذين يتمنون ان تسوى بهم الارض ؟ اما تسوية الارض فهي عبارة عن ان تكون الحفرة التي دفنوا فيها مملوءة حجرا بحيث لا يبين فيها اثر فى الحفر ولم يكن فاصل بين ذرات التراب وقطع الحجر فتكون مصمتة متراصة الاجزاء حتى لا

(١) النساء آية ٤٢ .

تبين اجسادهم ولم يمكن فصلها من الارض ، وما علموا ان قدرة الله فوق ذلك فان الاجساد تستحيل ترابا وتختلط به وتستحيل ماءاً وتمزج به وتستحيل الى معادن اخرى كالملح وغيره ، فاذا جاء امر الله مُيزت وفصلت عما اختلطت به ، واما الذين يتمنون ذلك فهم الذين امرهم النبي (ص) حين كانوا في الدنيا بالاحسان الى الوالدين وما بعدهما من الاصناف التي ذكرت فى الآية وهم الذين بخلوا بنشر الحديث وامروا الناس بالبخل وكتموا ما آتاهم الله ، كتموا ما امرهم النبي (ص) باذاعته وبيانه والعمل على طبقه ، وهل تدري اي حديث هذا ؟ ان هذا الحديث الذى كتموه مهم جدا لان الله قد عابهم وذمهم على كتمانه وهم في يوم الحشر يتمنون ان لا يكونوا كتموه ، ليس عندنا حديث مهم له هذه الاهمية العظيمة والذي يحكم الله بكفر كاتمه إلا الحديث الذي جمع رسول الله له الناس في رجوعه من حجة الوداع وكانوا مائة وعشرين الفا فحدثهم وامرهم ان يبلغ الحاضر منهم الغائب ، وحيث ان هذا الحديث به كمال الدين واتمام النعمة كما قال تعالى : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي » فمن انكره وجحده يتمنى يوم القيامة ان تكون الارض تساوت به ولم يكن عصى الرسول وكتم الحديث ، ان كتمان هذا الحديث هو السبب في حدوث اثني وسبعين فرقة باطلة مقابل فرقة واحدة متمسكة بالحديث عاملة على طبقه ، إن كتمان هذا الحديث هو الذي اوقع العداوة بين امة محمد (ص) وصار بعضهم يكفر بعضا ، وبعضهم يقتل بعضا لان من بخل بنشره وبيانه جعل يأمر الناس بالبخل فمن لم يوافقه على ذلك يعاديه ويقتله ويكفره ، ومن يوافقه على ذلك يكفره الله ويتوعده بالنار والعذاب المهين . فحدثت هذه الفرق الكثيرة التي يقول رسول الله (ص) كلها في النار .

روي في الصافي ج١ ص٣٥٦ ط طهران عن الاحتجاج عن امير المؤمنين عليه السلام في حديث يذكر فيه احوال اهل الموقف قوله (ع) : فيقام الرسل فيسألون عن تأدية الرسالات التي حملوها الى امم واخبروا انهم قد ادوا ذلك الى اممهم وتسأل الامم فيجحدون كما قال الله « فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين » (١) فيقولون : ماجاءنا من بشير ولا نذير فيستشهد الرسل رسول الله فيشهدوا بصدق الرسل ويكذب من جحدها من الامم فيقول : لكل امة منهم بلى قد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير اي مقتدر على شهادة جوارحكم عليكم بتبليغ الرسل اليكم رسالاتهم ، ولذلك قال الله تعالى لنبيه (ص) (فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) فلا يستطيعون رد شهادته خوفا من ان يختم الله على افواههم وان يشهد عليهم جوارحهم بما كانوا يعملون ، ويشهد على منافقي قومه وامته وكفارهم بالحادهم وعنادهم ونقضهم عهده وتغييرهم سنته واعتدائهم على اهل بيته وانقلابهم على اعقابهم وارتدادهم على ادبارهم واحتذائهم في ذلك سنة من تقدمهم من الامم الظالمة الخائنة لانبيائهم فيقولون باجمعهم (ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين) .

وفيه ايضا عن الكافي عن الصادق (ع) قال نزلت في امة محمد صلى الله عليه وآله خاصة في كل قرن منهم امام شاهد عليهم ومحمد (ص) شاهد علينا .

قال صاحب الصافي اقول نزول الآية في هذه الامة (كما في رواية الصادق) لا ينافي عموم الحكم فلا تنافي بين الروايتين وقد مضى الكلام في هذا في سورة البقرة عند قوله سبحانه (وكذلك جعلناكم امة وسطا

(١) الاعراف آية ٦ .

لتكونوا شهداء على الناس) انتهى كلام الصافي ونقل جماعة من المفسرين عن علي بن ابراهيم قال يتمنى الذين انكروا امير المؤمنين (ع) ان تكون الارض تبلعهم فى اليوم الذي اجتمعوا فيه على انكاره ، وان لم يكتموا ما قال رسول الله (ص) فيه .

قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم ان الله كان عفوا غفورا » (١) .

ان الله تعالى نادى عباده المؤمنين ، والمؤمن هو الذي يؤمن بالله ويصدق رسوله ويعمل بما امر الله ورسوله ولا يترك شيئا من الاوامر والنواهي إلا امتثلها وعمل بمقتضاها فلو ترك شيئا منها كان ناقص الايمان ، والمؤمن اذا اراد ان يصلي لله يعرف انه يريد ان يناجي الله ويكلمه وهو بهذه النية وهذه الارادة لابد وان يكون مستجمع العقل والفكر والتمييز ومعرفة مايتكلم به ، فالمؤمن العاقل عنده حكم عقلي ينهاه عن القيام للصلاة مالم يقطع انه على علم بما يقولـه ويتكلم به ويناجي به ربه ، وهذا الامر الذي وجهه الله الى المؤمنين وان كان عاما يشمل الجميع ، فهو بالنسبة الى العاقل العالم به الملزم نفسه في تحقيقه يكون مؤكدا لحكمه العقلي ، وبالنسبة الى الجاهل الغير عارف وبالنسبة الى ضعيف الدين والايمان تعليم وارشاد ودلالة على طريقة العمل التي يكون بها العمل مقبولاً عند الله ، فلا عبرة بما ينسبه بعض المفسرين كابن كثير وامثاله الى كامل الايمان من انه صلى وهو فى حالة سكر وقرأ

(١) النساء آية ٤٣ .

نعبد ماتعبدون ، فان العاقل فضلاً عن كونه مؤمنا لا يشرب خمرا كما ورد في حق جعفر بن ابي طالب ان الله شكر له اربع خصال : منها عدم شربه الخمر ، فكيف عمن كان كامل الايمان والعقل صارفا اوقاته وحالاته في طاعة الله ، اما اذا كان الانسان ضعيف الايمان او قليل المعرفة ولا يعرف معنى الصلاة فانه يقال له لا تقرب الصلاة وانت سكران فانه يظن ان الصلاة قيام وقعود وقراءة حفظها ويتلوها حين الصلاة وقد يغلط ويخلط ولا يعرف مايقول ، ثم انه قد ذكر المفسرون في معنى السكران اقوالاً ، فقال بعضهم هو شارب الخمر ، وقال بعضهم النعسان او الكسلان او المتثاقل . وعلى كل حال فالمقصود ان يقوم الانسان لصلاته وهو يعلم ما يقول ملتفتا الى ما يتكلم به .هذه هي الغاية المذكورة في الآية (حتى تعلموا ماتقولون) ، فان الانسان الذي يريد حفظ نفسه ويريد ان يكون في مظهر جميل بحيث يعد من العقلاء اذا تكلم مع سائر الناس يحافظ على كلامه من الغلط وينتقي الكلمات الجميلة ، اما اذا اراد ان يكلم شخصية كبيرة مثل الملك او الوزير فانه يهيء له كلاما خاصا حذرا من وقوع الشطط في كلامه ، فكيف بهذا الانسان الكامل اذا اراد ان يقف بين يدي جبار السماوات وهو يعرف عظمة الله فلابد ان ينبذ كل فكرة عنده ويهيء نفسه لفصيح الكلام ، ومهما بلغ الانسان من الكمال فانه عاجز عن تهيئة كلام يخاطب الله به في صلاته وان الله هو الذي انزل على رسوله كلاما وامره ان يعلمه امته لكي يخاطبوا الله به في صلاتهم وهو سورة الفاتحة والتسبيحات الاربعة وذكر الركوع والسجود . فعلى الانسان ان يعرف معناها ويخاطب بها ربه حين الصلاة ويلزمه ان يكون على اهبة واستعداد وجامعا لشروط الكلام ، واما الصلاة التي امر الله بعدم القرب منها حتى يعلم مايقول ، فالمراد منها اما نفس

الصلاة وإما موضع الصلاة ومكانها ، فان كان المقصود نفس الصلاة يكون قوله : « ولا جنبا إلا عابرى سبيل » اي لا تقربوا الصلاة وانتم جنب إلا في حالة السفر بحيث لا تجدون الماء للغسل وحينئذ يجوز لكم الصلاة بالتيمم ، وان كان المقصود موضع الصلاة وهو المسجد فيكون قوله : « ولا جنبا إلا عابري سبيل » انه لا يجوز الدخول في المسجد للجنب إلا عابرا ومستطرقا كما عليه فتوى العلماء ، ويستثنى من ذلك المسجدان فانه لا يجوز الاستطراق منها ، ثم بين الله حكم المحتاج الى طهارة من وضوء او غسل ولم يتمكن منهما فقال تعالى : « وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا » بين الله عز وجل في هذه الآية ان الذي عليه غسل او وضوء ولم يتمكن من ذلك اما لمرض او لعدم القدرة للوصول الى الماء فيكفيه التيمم لصلاته ، وهذه المسألة مذكورة تفصيلاً فى كتب الفقه والرسائل العملية ، ثم ذكر الله عباده بفضله عليهم بقوله : « ان الله كان عفوا غفورا » ان العبد الذي خلقه الله من العدم وانعم عليه بالوجود وجعله انسانا سويا كامل الاعضاء والجوارح ، ثم تلطف عليه فدعاه الى مناجاته ليجيبه اذا ناجاه ، فاذا قام العبد الى المناجاة وشرب مايزيل عقله ويذهب بشعوره ويفسد تمييزه وهو يعرف ويدري انه يلزمه القيام ليخاطب ربه ومع ذلك يقدم على هذا الفعل الشنيع فهو من اجهل الجهلاء واسفه السفهاء . وبعد هذه الفعلة الشنيعة فان الله لا يريد ان يطرده عن بابه ولا ينحيه عن خدمته ولا يجعله آيسا من رحمته فاخبره ابتداء منه وقبل الطلب من العبد وتفضل عليه رحمة به وعطفا عليه بانه اذا فعل ما فعل من الجهالة والسفاهة فانه يعفو عنه ويغفر له ويقبله اذا ناجاه مناجاة العارفين ، وليست هذه الفعلة مانعة عن العود الى الله

فليتدارك العبد امره ولا يكرر فعل السفهاء فان العبد قبل نزول هذه الآيات كان جاهلا بالاحكام التي بينها الله فصار بعد نزولها عالما بها ، وكذلك علم ان القيام الى الصلاة بعد شربه الخمر وصيرورته سكرانا ، أوحينما يكون ناعسا شيء غير مقبول عند الله ، فلا بد ان يكون صاحيا مميزا لما يقول فاذا بقي مصرا على فعله بعد العلم بالحكم يستحق الطرد والبعد ، وقد زادنا الله تبصرة حيث عرفنا بما عليه جماعة من الناس من اصرارهم على المعصية والمخالفة بعد العلم بالحكم فقال تعالى :

« الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل » (١) فان الله قد ذم هؤلاء القوم الذين يعملون بما في الكتاب وهم يخالفونه ، فالذين يعلمونه هو الهدى ومخالفتهم له هو الضلالة فهم يشترون الضلالة اي يأخذونها كما يأخذ المشتري السلعة ويدفع الثمن وهو اي الثمن الذي دفعوه هو الهدى ، ألا وان العجب كل العجب في هذه الصفقة المشؤمة على اهلها ، ويظهر معنى التعجب في قوله « الم تر » سواء اكانت الرؤيا قلبية او بصرية ، فان هذا الفعل وهذه المعاملة لا يقدم عليها الا المجنون بان يعطي شيئا فى غاية الحسن ويأخذ شيئا في غاية الخبث والسوء يعطي شيئا فيه الكثير من النفع الدائم الباقي ويأخذ شيئا فيه كثير من الضرر الدائم الباقي ، ليس هذا من فعل العقلاء ولكن الحسد والبغض والحقد يحمل الانسان على ذلك ، وانت ايها المسلم بعد ماعرفت هذه الاحكام من الآيات المنزلة على نبيه اذا خالفته وعصيت الله فيها يكون حالك كحال هؤلاء القوم اي انك تشترى الضلالة بالهدى ، واحسن شيء ان امثل لك بامر من امور الدنيا فانك تتعقلها قبل تعقلك لامور الدين ، فاقول لك لو عرضت عليك احدى الوزارات التي تعطى

---

(١) النساء آية ٤٤ .

لكل احد فى هذا العصر وانت ترفضها وتختار وظيفة كناس يكنس الشوارع صباحا ومساء ويتلقى التراب والغبار حتى يمتلأ حلقه وعينه منهما اترى هذا من العقل والتمييز ، ويا حبذا لو صرت كناسا ولكنه العذاب في نار جهنم ، ثم ان الله عز وجل نبه المسلمين الى شيء آخر في قوله : (ويريدون ان تضلوا السبيل) نبهنا الله تعالى بان هؤلاء الذين تركوا الهدى ورفضوه واخذوا عوضه الضلالة لم يكتفوا بجعل الضلالة خاصة بهم بل يريدون أن يضلوا المسلمين بأن يخرجوهم عن الطريق المستقيم ويدخلونهم في الطريق المعوج المظلم الذي يتيه المرء بسلوكه ولا يهتدي الى الدين والى الاسلام وانما يخرج المرء من طريق الحق الى الباطل اذا تابع هؤلاء القوم وهم اهل الكتاب الذين عندهم علم من الكتاب وهي التوراة والانجيل ، فهم يجيئون الى المسلم المتمسك بدينه فيخدعوه عن دينه ويدعون انهم اعرف بالدين منه ، وانهم يحبونه وينصحونه ويطلبون منه المتابعة لهم وفي هذا العصر الذي صار الناس فيه بعيدين عن الدين يأتى اهل الكتاب الى صاحب القوة والسلطة فيقولون له نحن اعلم بالسياسة وقوانين الحكومات منك ونحن نحبك ونريد لك الخير والنفع فاعمل بما نأمرك به حتى تبقى لك الرئاسة والامارة والملوكية فاذا صار فى طاعتهم اخذوا منافع البلاد وتركوا الشعب فقيرا معدماً معذبا والملك وحاشيته منعمين مترفين ، فاذا خالفهم الملك في مسألة من المسائل غضبوا عليه وفعلوا به الافاعيل العجيبة كما شاهد كل واحد منا ذلك فى كثير من الملوك والرؤساء وغيرهم ، وقد نبه الله الملوك وغيرهم بان هؤلاء القوم وهم اهل الكتاب يكذبون في دعواهم الحب والنصيحة لكم وانما هم اعداء لكم فقال تعالى : « والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله

نصيرا » (١) .

ان الله عز وجل يحب المسلمين جميعا الرئيس والمرؤوس ، ويعلمهم ان هؤلاء القوم وهم المعبر عنهم باهل الكتاب وهم الكفرة وهم المستعمرون للبشر ، وهم الذين سلبوا اموال الناس وسلبوا دينهم وسلبوا غيرتهم وسلبوا شرفهم ، يقول الله ان هؤلاء يظهرون لكم الحب والمودة والنصيحة ولكنهم يكذبون في دعواهم وانما هم اعداؤكم فان الله تعالى اعلم بهم منكم ، فان كنت ايها المسلم تعتقد ان الله يريد لك الخير وينصحك وهو الصادق فيما يقول لك انه يعلم السر واخفى ويعلم وساوس الصدور ، وان قلوب القوم مشحونة من البغض والعداء لكم ولا يريدون الا اضلالكم واخراجكم من الطريق المستقيم ، فاذا كنت من المصلين ايها المسلم فاذكر هذا الكلام حين تقرأ الآية « اهدنا الصراط المستقيم » نسأل الله تعالى ان يدلك ويرشدك الى الطريق المستقيم ، واذا ارشدك ودلك بواسطة نبيه محمد (ص) وانت تطيع عدو الله وعدوك ، اما اذا لم تكن من المصلين فانت وهذا العدو سيان في الكفر فانت منه وهو منك ولا يعمك قول الله : « يا ايها الذين آمنوا » . وكأني بهذا الملك او الرئيس المطيع لهم والتابع لهم في اقوالهم وافعالهم يقول اني اذا لم اطبق مايقولون واذا خالفتهم اخشى ان يكيدوا بي وان يدبروا حيلة في قتلي والفتك بي فاقول او يقول الملك أو الرئيس الذي يجالسه ان الله تعهد لك ان يكفيك شرهم ان كنت تعتمد على الله وتصدق بوعده فانه قال لك : « وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا » فاذا انت عاملتهم كما امرك الله اي لم تتخذهم اولياء ولا تعامل المسلمين كما يأمروك ولا تظلم شعبك لاجل نفعهم ، ولا تطلب رضاهم بسخط الله فان الله قد تعهد ان يكون

(١) النساء آية ٤٥ .

لك ناصراً ووليا ، واذا كان الله هو وليك هل تظن ان احداً يقدر ان يضرك ؟ لكن الله اشترط مع ذلك شرطا آخر وهو العدل في الرعية وعدم الظلم لهم والمساواة بينهم فلا ترجح منهم احدا على غيره ولو ان ملوك الاسلام ورؤساء الحكومات ساروا على هذا الطريق لما تمكن اذل الامم واحقر البشر ان يغتصبوا اراضيهم ويجعلوا حكومتهم فيها ويعتدوا عليهم في كل وقت ، وأنا اود وكل مسلم يود أن يجعل ملوك الاسلام ورؤساء الحكومات هذه الآية نصب اعينهم ويتذاكروا مضمونها فيما بينهم :

« الم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة بالهدى ويريدون ان تضلوا السبيل الله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا » ثم انزل الله بعد هذه الآية آيتين الاولى منهما وهي ٤٦ يصف فيها اليهود ويذكر افعالهم السيئة ويذكر ماقاموا به من اذى النبي بانواع من الاذى ويحذر المسلمين عن موالاتهم ، ويأمر المسلمين بالتباعد عنهم ويبين للمسلمين أن اليهود يطعنون في دينكم ويعيبون نبيكم فلا تصدقوهم ولا بكلمة واحدة . واما الآية الـ٤٧ فيأمرهم الله فيها بالإيمان وبتصديق هذا النبي الذي عرفوا صدقه من التوراة فلا يخالفوها ، ثم يتوعدهم اذا هم لم يؤمنوا بتوعدهم ان يطمس وجوههم فيصدهم على اعقابهم او يلعنهم كما لعن اصحاب السبت ، وكل هذه الآيات لم تؤثر شيئاً معهم ، وهذا التهديد والوعيد لم ينفع معهم فهم على عداوتهم للمسلمين يتربصون بهم الفرص ، وقد اتفقوا جميعاً على المسلمين ليضلوهم عن دينهم وقد نجحوا مع كثير من المسلمين فاضلوهم عن دينهم وينبغي للبقية الباقية من المسلمين ان يحذروهم والا فانهم يضلوهم عن دينهم كما اضلوا غيرهم « وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيراً » فتمسكوا بوعد الله وتوكلوا عليه ولا تركنوا الى الذين ظلموا .

قوله تعالى : (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون

ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثماً عظيماً) (١) ان ظاهر هذه الآية واضح لا يحتاج الى تفسير والمعنى ان الله يغفر لعباده كل ذنب اذا اقتضت مشيئته الغفران إلا الشرك به ، اي العبد الذي يجعل لله شريكا في العبادة فهذا لا يغفر الله له ، وما عدى هذا يرجع الى مشيئة الله فهي واضحة الظاهر وانما الغرض من ذكرها هو بيان ما ذكره في مجمع البيان من سبب النزول ليعلم الانسان عظمة فضل الله عليه وكثرة حبه له وارادة الخير لعبده ، وان العبد هو الذي يلقي نفسه في الشر بسوء اختياره ، واني اذكر هنا عبارة المجمع بعينها وهي ما يلي قال الكلبي نزلت في المشركين وحشي واصحابه وذلك انه لما قتل حمزة وكان قد جعل له على قتله أن يعتق فلم يوف له بذلك ، فلما قدم مكة ندم على صنيعه هو واصحابه فكتبوا الى رسول الله (ص) انا قد ندمنا على الـــذي صنعناه وليس يمنعنا عن الاسلام إذ سمعناك تقول وانت بمكة (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون) الآيتان ، وقد دعونا مع الله إلها آخر وقتلنـا النفس التي حرم الله وزنينا فلولا هذه لا تبعناك فنزلت الآية (إلا من تاب وعمل عملاً صالحاً . . .) الآيتين فبعث بهما رسول الله الى وحشي واصحابه فلما قرأهما كتبوا اليه إن هذا شرط شديد نخاف ان لا نعمل عملاً صالحاً فلا نكون من اهل هذه الآية ، فنزلت هذه الآية (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فبعث بها اليهم فقرأوها فبعثوا اليه انا نخاف ان لا نكون من اهل مشيئته فنزلت : (يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا) فبعث بها اليهم فلما قرأوها دخل هو واصحابـــه في الاسلام ورجعوا الى رسول الله (ص) فقبل منهم ، ثم قال لوحشي

(١) النساء آية ٤٨ .

اخبرني كيف قتلت حمزة ؟ فلما اخبره قال : ويحك غيّب شخصك عني فلحق وحشي بعد ذلك بالشام وكان بها الى ان مات .

هذا ما ذكره في سبب النزول ، ولكن الانسان اذا تأمل فيها يقطع بان الله تعالى لا يهتم هذا الاهتمام العظيم بوحشي واسلامه وانه انزل هذه الآيات كلها لاجل ان يسلم وحشي قاتل حمزة اسد الله واسد رسوله فيعيش بين المسلمين آمناً مطمئناً ويبقى الى ان يموت يتعاطى الخمر ثم يموت من الخمر على ما ذكروا في ترجمته مع ان النبي (ص) قال له غيب شخصك عني، فلو علم النبي منه انه يسلم إسلاماً حقيقيا فيكون من المؤمنين لما قال له ذلك بل كان يستغفر له ويقره في المدينة ليكثر به المؤمنين ، ولكن وحشي اراد ان يحقن دمه وماله ويبقى سكيراً في كل اوقاته لا يتعرض له احد من المسلمين .

وحيث ان الآيات اللاتي قبل هذه الآية كلها كانت في ذم اليهود وفي بيان صفاتهم السيئة ، ونواياهم الفاسدة وهذه الآية آيستهم من شمول رحمة الله لهم وبيان عدم غفران الله لهم لانهم كفروا واشركوا وقد جاءت الآية التي بعدها في بيان مساويهم وقبيح صفاتهم .

قوله تعالى : (الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا) (١) .

إن هذه الآية وان كانت في مساق الآيات الذامة لليهود ولكنها عامة في ذم كل من يزكي نفسه ويحمدها ، فكل من يزكي نفسه فقد شهد عليها بالذم والنقصان وبعدها عن الله ، وكل من وصف نفسه بوصف يميزها به عن سائر المؤمنين ولم تكن التسمية والوصف عن الله او عن رسوله فانه وصف يشهد بنقصانه واغتصابه لصفة غيره كما يسمي الشخص

---

(١) النساء آية ٤٩ .

نفسه بأمير المؤمنين فمن لم يجعل الله ورسوله له هذه الامارة فانها إمارة مزعومة لا حقيقة لها ، فلينظر الانسان المميز لكل من تسمى بهذا الاسم (امير المؤمنين) من يوم عرف هذا الاسم ومن يوم وجد المؤمنون الى يومنا هذا ويحاسب المتسمين به فرداً فرداً فهل ان الله ورسوله والمؤمنين يرضون به أن يكون اميراً للمؤمنين ؟ أو أن المسمى به هو انتحله لنفسه فيكون من مصداق الآية (ألم تر الى الذين يزكون انفسهم) ويشمله ذم الله له وانكاره عليه ، ويعجب كل من يسمع بذلك من قلة حيائه وجرأته على الله وعلى رسوله وعلى امير المؤمنين وعدم مبالاته بذلك.

حكي عن الاحياء قال : قدم هشام بن عبد الملك حاجـــا ايام خلافته فقال آتوني برجل من الصحابة فقيل قد تفانوا ، قال فمن التابعين فاتي بطاووس اليماني فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم عليه بامرة المؤمنين بل قال السلام عليك ولم يكنه وجلس بازائه وقال كيف انت يا هشام ؟ فغضب هشام غضباً شديدا وقال يا طاووس ما الذي حملك على ماصنعت ؟ قال وما صنعت ؟! فازداد غضبه فقال خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تسلم علي بأمرة المؤمنين ولم تكنني وجلست بازائي وقلت كيف انت ياهشام ، فقال طاووس أما خلع نعالي بحاشية بساطك فاني اخلعها بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يغضب علي لذلك ، واما قولك لم تسلم علي بامرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بامرتك فكرهت ان اكذب ، واما قولك لم تكنني فان الله عز وجل سمى اولياءه فقال ياداود ويا يحيى ويا عيسى وكنى اعداءه فقال تبت يدا ابي لهب ، وامـــا قولك جلست بازائي فاني سمعت امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) يقول اذا اردت ان تنظر الى رجل من اهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله قوم قيام ، فقال هشام عظني فقال

طاووس سمعت من امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) يقول ان في جهنم حيات كالتلال وعقارب كالبغال تلدغ كل امير لا يعدل في رعيته ثم قام وهرب انتهى .

ان هذا الرجل العالم العامل بعلمه المتمسك باحكام دينه قد تحرج عن تسمية هشام بامير المؤمنين لانه لم يحرز رضا المؤمنين بان يكون اميراً عليهم بل يحرز العكس ويعتقد بعدم رضاهم ، فان الذي يكون اميراً على المؤمنين يلزمه أن يكون اعلمهم واتقاهم واقدمهم في كل شيء حتى اذا عجز المؤمنون كلهم عن شيء فزعوا اليه فيكون عنده الحل الصحيح لكل قضية دينية كانت او دنيوية ، فقد ظهر من موقف طاووس مع هشام انه كما لايجوز للمرء مهما كان عنده من صفات جميلة ان يسمي نفسه امير المؤمنين كذلك لا يجوز لأحد ان يناديه بهذا ويقول له ياامير المؤمنين فانه يكون مساعداً ومؤيداً له على الباطل ، اما اذا كانت التسمية من الله أو من رسول الله فلا بأس بمناداته به ووصفه بهذا الوصف ولذا سمعت طاووساً قد أطلق الوصف على الامام علي بن أبي طالب مرتين في كلامه مع هشام لانه على يقين من ان النبي وصفه به وسماه أمير المؤمنين في حياته ، أما من لم يعلم تسميته من النبي (ص) فلا يقدر صاحب الدين ان يسميه أمير المؤمنين لانه كذب على الله وعلى رسوله وعلى المؤمنين إلا ان يكون في مقام تقية ، اما وصف النبي (ص) لعلي بن ابي طالب بأمير المؤمنين فقد ذكر في كتاب (فضائل الخمسه من الصحاح الستة ج٢ ص١٠١ عن حلية الأولياء (ج١ ص٦٣) روى بسنده عن أنس قال : قال رسول الله (ص) يا انس اسكب لي وضوءً ثم قام فصلى ركعتين ثم قال يا انس أول من يدخل عليك من هذا البـاب أمير المؤمنين وسيد المسلمين وقائد الغر المحجلين وخاتم الوصيين ، قال انس

قلت اللهم اجعله رجلا من الأنصار وكتمته إذ جاء علي عليه السلام فقال من هذا يا انس ؟ فقلت : علي ، فقام مستبشراً فاعتنقه ثم جعل يمسح عرق وجهه بوجهه ويمسح عرق علي (ع) بوجهه قال علي (ع) يارسول الله لقد رأيتك صنعت شيئاً ما صنعت بي من قبل قال : وما يمنعني وأنت تؤدي عني وتسمعهم صوتي وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدي ، قال ابو نعيم رواه جابر الجعفي عن ابي الطفيل عن انس نحوه . انتهى .

وفي تاريخ بغداد للخطيب (ج١٣ ص١٢٣) بسنده عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) ليس في القيامة راكب غيرنا ونحن اربعة قال : فقام عمه العباس فقال له فداك ابي وامي انت ومن ؟ قال : اما انا فعلى دابة الله البراق ، واما اخي صالح فعلى ناقة الله التي عقرت وعمي حمزة اسد الله واسد رسوله على ناقتي العضباء ، واخي وابن عمي وصهري علي بن ابي طالب على ناقة من نوق الجنة مدبجة الظهر رحلها من زمرد اخضر مضبب بالذهب الاحمر رأسها من الكافور الابيض وذنبها من العنبر الأشهب وقوائمها من المسك الاذفر وعنقها من لؤلؤ وعليها قبة من نور الله باطنها عفو الله ظاهرها رحمة الله بيده لواء الحمد فلا يمر بملأ من الملائكة إلا قالوا هذا ملك مقرب او نبي مرسل أو حامل عرش رب العالمين ، فينادي مناد من لدنان العرش او قال من بطنان العرش ليس هذا ملكا مقرباً ولا نبياً مرسلاً ولا حامل عرش رب العالمين ، هذا علي بن ابي طالب امير المؤمنين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين الى جنات رب العالمين افلح من صدقه وخاب من كذبه ، ولو ان عابداً عبد الله بين الركن والمقام الف عام والف عام حتى يكون كالشن البالي ولقى الله مبغضا لآل محمد اكبه الله على منخره في نار جهنم .

وهذا المقدار يكفي دليلا لاختصاص علي بهذا اللقب ، أما غيره فلا دليل على جواز وصفه به ، فالذي تحقق لنا من الآية الشريفة انها تردّ على اهل الكتاب قولهم (نحن ابناء الله واحباؤه) وقولهم (لن يدخل الجنة إلا من كان هودا او نصارى) وفيها ذم ورد على كل من وصف نفسه بصفة تميزه عن سائر المسلمين وتفضله عليهم إلا أن تكون من الله والرسول كما ينبه على ذلك قوله تعالى : (بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا) فان من كان مستحقاً لصفة حسنة استحقها بعمل خالص ونية خالصة فان الله يزكيه ويصفه بما يستحق ، ثم امر الله النبي (ص) وكل ذي عقل ورأي وتمييز أن يتأمل في هؤلاء القوم الذين يزكون انفسهم ويختارون لها الألقاب الكاذبة افتراءاً على الله وعلى رسوله فقال تعالى : (انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثماً مبيناً) (١) ان تزكية النفس بالشيء الذي يسند الى الله تعالى هو اثم عظيم ، والآية الشريفة تسميه افتراءاً على الله وذلك مثل قول اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه ، وقولهم نحن ازكياء عند الله ، وكذا الالقاب التي لا يمكن ان تعطى الا من قبل الله والرسول كلقب امير المؤمنين ويعسوب المتقين فانه ادعاء بلا حجة . اما الامور الأخر التي لا ربط لها بغيره كقول القائل اني ما تركت الصلوة ولا الصيام مدة عمري او ما قتلت نفسا فهذه وامثالها لا بأس بها لانها لا تمس بغيره ولا يريد صاحبها بها خلافة أو تأمرا على احد ، فكل من نسب نفسه الى صفة تكفيه فخراً وثواباً بحيث لا يحتاج معها الى عمل آخر ، وان هذه النسبة تكفيه للفوز في رحمة الله والخلود في جنانه كقولهم نحن احباء الله ، ولازم المحبوب الفوز برحمة المحب وكذا من سمى نفسه امير المؤمنين

(١) النساء آية ٥٠ .

ولازم الامير ان يكون اكثر المؤمنين اعمالاً فاذا كان كذلك يكون اكثرهم ثواباً وجزاءاً فهو المقدم في الآخرة عليهم فمن نسب نفسه لشيء وهو كاذب مجازف مخادع ، فان الله يقول كفى به اثما مبيناً اي انه نسب نفسه لشيء يكفيه عن كل عمل فكذلك جعل الله اثمه كافيا عن كل اثم آخر وهو يوجب له العذاب الدائم . فاعرف ايها المسلم ان كلمة امير المؤمنين التي كانت مستعملة عند الناس مع ملوك بني اميـــة وبني العباس وهم لا يرون بها بأساً ولا يتحرجون منها وان الله قد خص بهـا شخصا واحدا وهو الذي وصفه النبي (ص) ، فمن جاء بحديث او خبر او رواية ان النبي خاطب بها احداً او وصف بها شخصا غير علي بن ابي طالب فليتحف بها القراء حتى يتضح لنا الأمر ، ولو ان معاوية بن ابي سفيان التفت الى هذا الأمر لأعطى شيئاً من المال الى رواة السوء وامرهم ان يرووا حديثاً عن النبي (ص) انه قال فلان امير المؤمنين ولكن الناس خاطبوهم به جزافا من دون التفات وتعمق في معناه (وكفى به اثما مبيناً) .

قوله تعالى : (الم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا) (١) .

ان هذه الآية الشريفة كما قيل انها نزلت فيمن كان قبلنا من اهل الكتاب حيث انهم اتصفوا بهذا الفعل وهذا القول اي ايمان بالجبت والطاغوت وحكم باطل وقول زور وكذب بان الكافرين اهدى سبيلا من المؤمنين، كذلك قيل انها نزلت في جماعة ممن اسلموا ورجعوا الى الجبت والطاغوت بعدما سمعوا آيات الكتاب وسمعوا احاديث النبي (ص) .

---

(١) النساء آية ٥١ .

أما بالنسبة لمن كان قبلنا من اهل الكتاب فقد قيل ان كعب بن الاشرف خرج في سبعين راكباً من اليهود الى مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشاً على رسول الله (ص) وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله فنزل كعب على ابي سفيان فاحسن مثواه ، ونزلت اليهود في دور قريش فقال اهل مكة لهؤلاء اليهود انكم أهل كتاب ومحمد صاحب كتاب فلا نأمن من أن يكون هذا مكراً منكم فان اردتم ان نخرج معكم فاسجدوا لهذين الصنمين وآمنوا بهما فسجد كعب للصنمين وآمن بهما ، ثم قال كعب يا أهل مكة ليجيء منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فنلصق أكبادنا بالكعبة فنعاهد رب البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ذلك ، فلما فرغوا قال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى طريقا واقرب الى الحق نحن أم محمد ؟ قال كعب اعرضوا عليّ دينكم فقال أبو سفيان نحن ننحر للحجيج الكرماء ونسقيهم الماء ونقري الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن أهل الحرم ، ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث ، فقال كعب انتم والله اهدى سبيلا مما عليه محمد ، فانزل الله الآية هذا بالنسبة الى الامم السالفة .

وأما بالنسبة الى امة محمد (ص) فقد قيل كان ابو بوزة كاهنا في الجاهلية فتنافس اليه ناس ممن اسلم فنزلت الآية ، واما الآية فهي عامة تشمل كل أهل كتاب تركوا حكم كتابهم وسنة نبيهم ورجعوا الى من لم يحكم بما انزل الله المعبر عنه بالجبت والطاغوت ، فامـــا الجبت والطاغوت فقد قيل انهما صنمان لقريش ، وقيل ان الجبت صنم ، والطاغوت كلما يعبد من دون الله ، وقيل ان الجبت الساحر والطاغوت الشيطان ، وقال بعضهم الجبت السحر ، وقيل الجبت الساحر ، والطاغوت الكاهن ،

وقيل ان الجبت حي بن اخطب اليهودي ، والطاغوت كعب بن الأشرف لانهما حكما ان الذين كفروا اهدى من الذين آمنوا سبيلا ، وقيل ان الجبت والطاغوت كلما يعبد أو يطاع من دون الله ونحن لا يهمنا مانزل في اليهود من الذم واللعن وبيان افعالهم السيئة ، وانما امرنا بمقاطعتهم وحربهم فانهم فى كل زمان حرب لنا ويلزمنا ان نكون حربا لهم ، والذي يهمنا من الآيه أن لا نكون ممن تنطبق عليه ولا نكون ممن ترك الكتاب والسنة ورجع الى الطاغوت اي اتخذ له وليا لم يأمر الله والرسول باتخاذه وليا ، وهو الذي لم تكن امارته من الله والذي لم تجتمع فيه شروط الامارة من العلم بجميع العلوم والعصمة وكونه افضل من جميع الناس في كل شيء ، وقد ذكرت شروط المرجع العام في قوله تعالى : (والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت) (١) وترى كثيراً من الناس يقول في حق من يتولاه من الجاهلين من جميع الجهات انه اهدى من المؤمن العالم الكامل في جميع الصفات فانه يخالف حكم العقل وصريح الآية والسنة لاجل هوى نفسه فيقدم الناقص على الكامل والمفضول على الأفضل حتى يشمله قوله تعالى : (اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً) (٢) الاشارة بقوله (اولئك) تكون الى القوم الذين يحكمون ان الكافرين اهدى من المؤمنين سبيلا ، الذين يفضلون الكافرين على المؤمنين سواء أكان الكافر والمؤمن فردين او جماعتين ، فان الذي يفضل رجلا كافراً على رجل مؤمن او يفضل رجلا غير عالم على رجل عالم بجميع العلوم وبالطبع ان الذي يفضل انسانا على آخر يتولى ذلك الذي يفضله دون الآخر المفضل عليه فهذا الذي يسلك هذا الطريق اي

---

(١) البقرة آية ٢٥٧ .
(٢) النساء آية ٥٢ .

يفضل المفضول ويتولاه ويهجر الأفضل الذي عنده الأحكام المأمور بها من قبل الله ورسوله ، فمن فعل هذا تتوجه عليه اللعنة من الله وليس له نصير من دون الله إن هذه الآيه تمر عليك وانت تمر عليها ولا تتأمل فيها ولا تفكر في معناها ولا تعرف ان كل احد مكلف بان يعرف أفضل الامة فيتولاه فاذا تركه وتولى المفضول شملته هذه الآية وعمته اللعنة من الله ، فان الانسان مكلف بنفسه ولا يكفيه ان يتبع ما وجد عليه اباه وجده ، بل ينبغي له ان يتبع ما امر به النبي (ص) من التمسك بالثقلين وهو حديث مشهور ليس فيه شك ولا شبهة ، وان هذا وان كان كافيا لطالب الرشد ولكن نزيد القاريء تبصرة بما في اسد الغابة لابن الأثير (ج٥ ص٢٨٧) في ترجمة ابي ليلى الغفاري ذكر حديثاً مسنداً عن ابي ليلى الغفاري قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : (ستكون بعدي فتنة فاذا كان ذلك فالزموا علي بن ابي طالب فانه اول من يراني وأول من يصافحني يوم القيامة ، وهو الصديق الأكبر وهو فاروق هذه الأمة يفرق بين الحق والباطل ، وهو يعسوب المؤمنين) (١) ثم ان الله بعد ما ألفت انظار الناس الى هؤلاء القوم الذين فضلوا المشرك على المؤمن وقدموا المفضول على الأفضل وتبعوا الجاهل بالعلم والعرفان وفارقوا صاحب الثروة العلمية وصاحب الدين والسماح والاخلاق الفاضلة باجمعها وبعد ذلك اعلن للناس انه وجه لعنته على هؤلاء القوم بصورة لا يجدون مجالاً للتخلص منها ، ثم وجه الله سؤالاً انكاريا يدل على ذمهم وتوبيخهم ، وان حكمهم الذي اصدروه والذي عملوا به وساروا عليه إنما هو ناشيء عن جهل ولم يستند الى حجة ، وان الله لم يوجه

(١) نقلنا هذا الحديث من فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج٢ ص٣٩٧ .

السؤال اليهم تحقيراً لهم وبياناً للناس عن ذلتهم بل وجه السؤال لكل من يسمع ويعقل فقال تعالى : (أم لهم نصيب من الملك فاذاً لا يؤتون الناس نقيراً) (١) اي ان القوم الذين تقدم ذكرهم وهم الذين يفضلون المفضول على الفاضل فانهم في غاية الجهل اذ لا يوجد عاقل يقدم على هذا العمل ، فهل ان الملك الذي هو المناصب الالهية كالنبوة والإمامة والخلافة والرياسة الدينية يملكون شيئاً منها ويكون اختيار الانبياء وتفضيل الاديان وأهلها بيدهم فيعرفون الأفضل منها وغير الأفضل ، ولو انها كانت بيدهم وكانوا يملكون ذلك ما كانوا يعطون احداً منها مقدار النقير وهي النقطة في ظهر النواةاو ما يؤخذ بالمنقار وهي الحبة الواحدة فهؤلاء القوم في غاية الجهل وفي غاية البخل والمؤمن المطيع لله هو الذي يقدم من قدمه الله من ذوي العلم الذين ينفعون الناس بعلومهم ولا يبخلون بها على احد ، أما الذي سمع كلام الله وعرف الحق من الباطل وميز بينهما وهو مع ذلك يقول ان المشرك والجاهل احسن من المؤمن العالم فهذا ليس عنده شيء من الايمان وهو يريد ان يتلاعب في الدين ويخدع أهل الدين السذج حتى يخرجهم عن دينهم .

ولما كان هذا الأمر معدوما اي ليس لهم نصيب من الملك وليس بيدهم شيء من الأمر يكون السبب فيما قالوه وما فعلوه من تقديم المفضول وترجيح المشرك على المؤمن هو الشق الثاني الذي ذكره الله تعالى بقوله :

(ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما) (٢) .

---

(٢) النساء آية ٥٣ .

(٢) النساء آية ٥٤ .

بين فى هذه الآية ان سبب ذلك الحكم الأخرق المشوه الذي لا يقبله طفل ولا مجنون بل لا تقبله طفلة مجنونة يهودية وهو الحكم بان المشرك أحسن من المؤمن هداية وطريقاً وان الجاهل بكل شيء اولى بالاتباع من من العالم بكل شيء ، فان هذا الحكم لا تقبله حتى البهائم ان السبب الوحيد فى هذا الحكم هو الحسد لمن أعطاه الله من فضله والمقصود من الفضل هو الكتاب والحكمة وليس المقصود منه الأموال الدنيوية ، فان المال وان كان هو اهم الأشياء وأفضل الأشياء عند اليهود وعند من لم يقدر العلم ولكنه عند الله هو الذي يقرب عباده اليه من العلم والحكمة ويدل على كون المقصود من الفضل ما ذكر في الجملة التي بعد هذه الجملة من الآية وهي قوله تعالى : (فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكاً عظيما) فان الله قد اعرض عن خطاب هؤلاء الذين قرروا الحكم الجنوني إذ ليس لهم لياقة للخطاب ، فان الذي يصلح للخطاب هو الذي يعقل الخطاب وهؤلاء بعد حكمهم بغير المعقول صاروا بمنزلة ما لا يعقل ، وقد وجه الله الخطاب لذوي العقول من الناس وعرفهم بان هؤلاء القوم ظنوا انهم بفعلهم هذا وهو تفضيل الكافر على المؤمن وترجيح الجاهل على العالم سوف يسبب للناس الضلال والارتداد عن الدين ويسبب الزوال والانقطاع لهذا الفضل من الله ، وبعبارة أوضح ان اليهود حسدوا النبي (ص) حيث انه سبب انتقال النبوة من بني اسرائيل الى قريش وبعض العرب حسدوا آل النبي (ص) حيث انه اي النبي (ص) امر الأمة بالرجوع اليهم وجعلهم عدلاً للقرآن كما ورد في حديث الثقلين ففضل اليهود الكافرين على المؤمنين حسداً منهم للنبي (ص) وفضل بعض المسلمين المفضول على الفاضل حسداً منهم لآل النبي (ص) وقالوا لا تكون النبوة والامامة في بيت واحد قولاً بلا حجة ولا دليل ، وقول اليهود

يرجع الى تفضيل المفضول على الفاضل وان المقصود من الناس المحسودين في الآية هو النبي وآله (ع) حيث ان الله اصطفاهم وفضلهم على العالمين وان هؤلاء القوم الذين حسدوهم ظنوا ان قولهم السخيف وتفضيلهم الجاهل على العالم والمشرك على المؤمن ظنوا ان قولهم يكون له الأثر الكثير ويسبب رجوع الناس الى الكفر ، فاذا رجع الناس كلهم الى الكفر تبطل نبوة محمد بزعم اليهود وامامة آل محمد بزعم الحاسدين من العرب ولكن الله قد أبان عن خيبة أملهم وسخافة ظنهم ونقصان عقولهم بقوله تعالى (فقد آتينـا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيماً) اي ان الله قد اراد وقضى وحتم ان يعطي آل إبراهيم الكتاب والحكمة والملك العظيم وآل ابراهيم الماضين والحاضرين والأولين والآخرين ، فمن الأولين الماضين اسماعيل واسحق ويعقوب ويوسف وغيرهم ، ومن آل ابراهيم الآخرين الحاضرين محمد وآله فقد اتاهم الله الكتاب والنبوة والحكمة ، وهي اسرار الأحكام والملك العظيم وهو القضاء الحقيقي والامامة اماماً بعد إمام لا انقطاع لها .

روى العياشي عن ابي عبد الله عليه السلام (ج١ ص٢٤٦) في قوله تعالى : (ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله) فنحن المحسودون على ما آتانا الله من الامامة دون خلق الله جميعاً وقوله : (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما) يقول فجعلنا منهم الرسل والأنبياء والأئمة فكيف يقرون بذلك فى آل ابراهيم وتنكرونه في آل محمد (ص) قال : قلت قوله في آل ابراهيم (واتيناهم ملكا عظيماً) ما الملك العظيم ؟ قال ان جعل منهم ائمة من اطاعهم اطاع الله ومن عصاهم عصى الله فهو الملك العظيم .

قوله تعالى : (فمنهم من آمن به ومنهم من صدّ عنه وكفى

بجهنم سعيراً) (١) .

الظاهر ان المقصود من الامم السالفة ومن امة محمد فبعضهم يؤمن بالله ويصدق بالنبي (ص) وبعضهم يكفر وهو المقصود من الصد .

وحاصل الكلام ان الذي يؤمن بالله ويصدق بالنبي المبعوث من قبله يلزمه ان يتبع النبي في جميع أقواله وافعاله وأوامره ونواهيه واطاعة ولاته وخلفائه الذين يعينهم النبي ، اما اذا عين النبي شخصاً وأمر الأمة باطاعته فخالف أحد الأمة ذلك الذي عينه النبي فهو مخالف للنبي نفسه وهو لا يحتاج الى دليل وقد تكرر من النبي (ص) في خطابه لعلي من اطاعك اطاعني ومن عصاك عصاني ومن احبك احبني ومن ابغضك ابغضني وكذا الأمر اذا أظهر الانسان التصديق بالنبي وخالف الحكم المذكور في كتاب النبي فانها مخالفة لنفس النبي ، وهذه أيضا لا تحتاج الى دليل لان النبي يدعو الى ما في الكتاب من الأحكام فاذا خالفها انسان فقد خالف النبي .

فتحصل من هذا ان أهل الكتاب الذين خالفوا كتابهم في اثبات وصف النبي ولم يعملوا بما فيه بل كتموه واخفوه وحرفوه وبدلوه فقد خالفوا نبيهم ولم يصدقوه وخالفوا كتابهم ، وانما يطلق عليهم اهـل كتاب لانهم انزل الكتاب على النبي المبعوث اليهم ، وكذا من خالف من امة محمد احكام الكتاب او السنة المسلمة التي امر بها النبي فهو غير مصدق بمحمد وان سمي مسلما ، هذا مضمون الآيات التي ذكرت في هذا الفصل ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . وقد ختم الله الآية بقوله (وكفى بجهنم سعيراً) هذا تهديد ووعيد لكل من خالف علمه من اهل الكتاب سواء أكان من السابقين كاليهود والنصارى اخفوا صفات

(١) النساء آية ٥٥ .

النبي (ص) وكتموا الحديث الذي في التوراة والانجيل أم كانوا من امة محمد فخالفوا الكتاب الذي انزل عليه او اتبعوا ما تشابه منه كما تقدم في قوله : (فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه) او أنهم خالفوا ما عهد به نبيهم فلما ارتحل عنهم نكثوا عهده ولم يفوا له فقد اعد الله لكل مخالف من اي امة ومن اى قوم وباي نوع من المخالفة اعد الله لهم السعير ، فاذا كان الله قد امهلهم فى الدنيا وصرف عنهم العذاب فيها فقد اعد لهم العذاب فى العقبى .

ايقاظ لكل مسلم

ان الله عز وجل قد ذم جماعة من أهل الكتاب وهم من اصناف الكافرين واعد لهم اللعنة والعذاب الاليم حيث انهم قالوا للذين كفروا انهم أهدى سبيلا من الذين آمنوا ، فقد رجح طائفة من الكافرين طائفة اخرى منهم على المسلمين وقد سمعت الآيات الشديدة الغليظة التي تهددهم بعذاب الآخرة فكيف بمن يدعي الاسلام والتصديق بمحمد ويسمع القرآن ويقرأه وتتلى عليه أحاديث النبي وهو مع كل هذا ينحرف عن الدين القويم ويهزء بمقدساته ويزعم باطلا ان القرآن كان يصلح لذلك الزمان ولا يصلح لهذا الزمان هذا ما كان من قوله . وأما فعله فانه يخدم الكافرين بكل جهده وينفذ أوامرهم ويدلهم على عيوب المسلمين ويتجسس لهم، فما يظن أن الله فاعل به يوم القيامة او في الدنيا فاني اقول له إن عذابه أشد من عذاب اولئك الذين (يقولون للذين كفروا أهدى من الذين آمنوا سبيلا) أسمعت يا من تدعي الاسلام سواءً أكنت جليلا أم حقيراً أو غنياً أو فقيراً أو أحد أفراد المسلمين اذا اردت ان

تخــدم دولة الكافرين او تعينهم على المسلمين او تخبرهم عن عيب او وهن في البلاد الاسلامية فاجعل هذه الآية نصب عينيك وتذكر مضمونها ومعناها وتذكر ما اعد الله لقائلها من العــذاب الشديد إن كنت تعرف القرآن وتعترف به وتعرف من انزله وعلى من انزله ، ولا اظن ان هذا الكلام ينفعك ويؤثر فيك شيئاً فانظر انت لنفسك وعظها ووبخها واعرض عليها عذاب جهنم واسألها هل تتحمل بعضه ثم اعصى الله بقدر تحملك للعذاب .

ثم بعد ما ذكر الله الامور التي توجب الكفر للانسان سواء أكانت افعالاً ام اقوالاً ذكر بعدها آيتين :

الأولى ذكر فيها ما اعده للكافرين من العذاب وهي قوله : (إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما) (١) اي باى نوع من انواع الكفر اما بانكار الخالق او بجعل الشريك له ، او بعدم التصديق بانبيائه ورسله . او بعدم تطبيق اوامره او اوامر الرسل ، او يقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا او يكون جاسوسا للكافرين على المؤمنين او غير ذلك ولا يخفى ان الانبياء المبعوثين من الله إنما هم من آيات الله والأوصياء المنصوص عليهم من قبل الأنبياء إنما هم من آيات الله فمن انكر واحدا منهم فقد كفر بآيات الله ، وقد اخبر الله ان من كفر بآياته سوف يصليه ناراً ، والصلي : هو الالقاء فى النار وقد ذكر المفسرون اشكالاً في قوله (كلمــا نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) وهو ان الجلد الجديد الذي يكون بدلاً عن النضيج ليس له ذنب فكيف يعذبه الله وهو خلاف العدل ، وقد اجابوا

(١) النساء آية ٥٦ .

بعدة اجوبة ، واحسن ما اجيب به هو جواب الامام الصادق (ع) فقد روي في الاحتجاج عن حفص بن غياث قال شهدت المسجد الحرام وابن ابي العوجاء يسأل اباعبد الله عن قوله تعالى : (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) ما ذنب الغير ؟ قال : ويحك هي هي وهي غيرها ، قال فمثل لي ذلك شيئا من امر الدنيا ، قال : نعم أرأيت لو ان رجلا اخذ لبنة فكسرها ثم ردها فى ملبنها فهي هي وهي غيرها ، قال فى مجمع البيان وروى الكلبي عن الحسن قال بلغنا ان جلودهم تنضج كل يوم سبعين الف مرة ، والغاية من هذا التبديل هو ما ذكره الله من قوله · (ليذوقوا العذاب) فان الجلد اذا استمر عليه الاحتراق كان العذاب عليه اخف ، اما اذا لبس جلدا جديدا ومسته النار احس بالم اشد مما كان على الناضج .

واما الآية الثانية فقد ذكر فيها ما اعده للمؤمنين المطيعين وهي قوله تعالى : (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلاً ظليلا) (١) .

اما الايمان فقد ذكر تفسيره مكرراً ولكن نذكره للذين يؤمنون بالسنتهم ويوالون الكفار ويفضلون الكافر على المؤمن والجاهل على العالم والعاصي والمخطىء على المعصوم فلعلهم يريدون الايمان الحقيقي .

فنقول لهم الايمان : هو اقرار باللسان وتصديق بالقلب والجنان وعمل بالاركان ، وان يكون القلب واللسان متفقان والظاهر والباطن سواء ، وان لا ينقص الباطن عن الظاهر شيئاً والا فهو النفاق بل ينبغي ان يزيد عليه ليكون الباطن اصلح من الظاهر . واما العمل الصالح

(١) النساء آية ٥٧ .

الذي هو شرط لدخول الجنة فهو أن يكون عمله مطابقا لاوامر الله والرسول بان يكون مأخوذاً من الطريق الصحيح الذي يوصله الى النبي أما اذا كان يعمل برأيه او بالقياس او بالاخذ من رجال ضعفاء غير مأمونين على الدين فلا يحصل القطع للانسان بان ما يعمله هو من العمل الصالح فيكون من الأخسرين اعمالاً كما فى قوله تعالى: (قل هل ننبئكم بالأخسرين اعمالاً الذين ظل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) (١) ثم انه ينبغي للعاقل ان يتأمل في هذه الآيات وفي ترتيب نزولها حتى يعرف نفسه هل انه مطيع لله في امتثال ما فيها من الأوامر فيكون من المؤمنين المنتظرين لوعده بالجنان ، فان الله بعد مابين ان امر النبوة والكتاب والفضل والحكمة والملك العظيم بيده لا بيد غيره ولا باقتراح احد سواه ولا بارادة احد من عباده ولا بغير ارادته حسد حاسد ولا مكر احد من شياطين الانس والجن ، ثم ذكر بعد ذلك انه اعطى آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتاهم ملكا عظيما ، ثم ذكر بعد هذا العطاء وهذا التفضيل لآل ابراهيم ان الناس صاروا على قسمين :

منهم مؤمن سلم لأمر الله ورضى بقضائه واعترف بفضل من فضله الله واقتدى به ورجع اليه فى طلب أحكام الدين ولم يتكبر عليه ولم يفضل عليه غيره ممن لا دين له ولا علم ولا فضل ، ومن الناس القسم الثاني وهو الصاد عنه اي الذي صد عن اهل الفضل الذين اودع الله عندهم الكتاب والحكمة والنبوة والامامة والعلم والدين ، وهذا القسم من الناس اي الصاد عمن فضله الله قد توعده الله بجهنم ثم ذكر بعد ذلك ما يجازي كلا الفريقين وان الكافر الصاد عن امر الله وعن رسله وكتبه انما يكون مصيره النار وهم الذين تبدل جلودهم اذا نضجت ،

---

(١) الكهف آية ١٠٣ ـ ١٠٤ .

واما من آمن وصدّق فيكون مصيرهم الى الجنة ، ثم بعد ذلك وجه الى الناس حكما يتميز به المطيع من العاصي والمؤمن من الكافر فقال تعالى : (ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان بصيرا)(١) ان هذا الأمر وان كان عاما يشمل جميع الأمانات التي تكون لله او للعباد فامانات الله اوامره ونواهيه فهي تعم الواجبات والمحرمات ، واما الأمانات التي تكون للعباد فهي ماياتمن بعضهم بعضا من مال او سر ولكن اكثر المفسرين يجعلون الأمر مختصا بولاة الأمر ، وكذا الأخبار الواردة عن ائمة اهل بيت النبوة ، ومعنى ذلك هو ان الله يخاطب ولاة الامر .

وارجو من اخي القارىء ان يتأمل في المقام حتى يصل الى الحقيقة ولا يتشبث بالقشور الظاهرة .

فنقول ان الله يأمر ولاة الأمر وهم الذين تكون لهم السلطة والولاية على الناس ليعلموهم الاحكام الالهية وهل يخطر ببالك ان الله يخاطب فرعون او قارون او من حذى حذوهم وسار في طريقهم ممن استولى على الناس بالقوة والغلبة وهم لا يعرفون من احكام الله شيئا وانما احكامهم ونظامهم كلها مخالفة لأحكام الله ، وانا اقطع انك لا تقول بذلك وانما يخاطب الله ولاة الأمر الذين اودع عندهم احكامه التي يريد من العباد العمل على طبقها ، فهو يأمر هؤلاء الانبياء والأئمة وهم اوصياء الأنبياء بأن يؤدوا هذه الأحكام التي اودعها عندهم فهي امانة يلزمهم ان يحافظوا عليها حتى يؤدوها الى العباد ، وكلكم يعرف حكم الأمانة بانه يلزم المحافظة عليها من التلف ومن التغير ومن عروض كل عيب عليها ، وحيث ان الأمور ليست من الأعيان التي لها وجود

(١) النساء آية ٥٨ .

خارجي وانما هي معان محفوظة في القلوب والصدور ، وليست هي جزئيات متميزة كل واحدة منفردة بشخصها وانما هي امور كلية ويكون المودع عنده عارفا في تطبيقها على جزئياتها ، فلا يمكن ان يكون هذا الشخص إلا ممن اختاره الله للوديعة والامانة بحيث يعطيه الله ملكة يتمكن بها على حفظ ما استودعه الله وعلى ارجاع الجزئيات الى اصولها فلا يمكن لأحد ان يكون مؤتمنا مستودعا لله من ذات نفسه ولا يمكن للناس اختياره وان اتفقوا كلهم على ذلك وقد تقدم قبل هذا بقليل ان النبوة والامامة والحكمة إنما هي بيد الله وهو بفضله يعطيها من يشاء وقد شاء ان يعطيها لآل ابراهيم ولو كره الكافرون ، فتكون الأحكام الالهية الحقيقية عند هؤلاء الذين عينهم الله وليس عند غيرهم من هذه الأحكام إلا ما تعلموه منهم ، فالأمر من الله متوجه الى جماعة معينة بأن يؤدوا ما اودعهم الله من احكام الحلال والحرام الى الناس من دون تغيير او تبديل او زيادة او نقيصة حتى بمقدار حرف واحد او حركة وقد جعل الله لكل واقعة حكما ، وهؤلاء الولاة لا يفوتهم شيء من هذه الأحكام ولا يشتبه عليهم شيء بشيء بل يرجعون كل صغير الى اصلها وهم معصومون من الخطأ والسهو والنسيان ومن المعاصي كلها ، وقد مر ذكر من يكون مؤتمناً على الاحكام في مناسبات عديدة باسامي وصفات مختلفة وهم المعبر عنهم بقوله : (والراسخون فى العلم) واني كلما اكتب آية فيها صفات هؤلاء القوم اطلب من القارىء أن يفحص عن هؤلاء الرجال ليعرفهم فان الله انما ذكرهم لنفحص عنهم ونقتدي بهم ونتعلم منهم كما سيأتي في الآية التي بعد هذه الآية . وكما امرهم الله باداء الأمانات الى اهلها كذلك امرهم اذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل حيث انهم يعرفون شروط الحكم فلا يخفى عليهم شيء من كيفية الحكم

والقضاء ، ولا تظن ان الحكم بين الناس من الامور السهلة يقدر عليه كل أحد فانه من اغمض الأمور وهو يحتاج الى معرفة بالاحكام كلها بحيث لا يعسر عليه حكم واحد ، هذا بالنسبة الى ولي الأمر العام على جميع الناس وهو الذي اطلعه الله على جميع الاحكام بواسطة النبي (ص) وبما الهمه من الفهم والذكاء وقد امرهم ان يعلموا الناس من أحكام الحلال والحرام كما هي عند الله فقال لهم : (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها) . فليعلم طالب الرشد ومريد الخير ومبتغي التقرب الى الله والمؤمن الذي يريد ان يعمل صالحا ان احكام الحلال والحرام الحقيقية لا يمكن معرفتها ولا يقتدر على تحصيلها إلا من هؤلاء القوم الذين خاطبهم الله وامرهم بتأدية الامانة حيث انه خصهم بها وخصها بهم ولم يشرك معهم احدا من سائر الناس ، ولا يتمكن احد ان يكون مثلهم مطلعا على جميع الاحكام مستحضرا لها في آن واحد . فانها ملكة لا يمكن الحصول عليها إلا باشاءة الله وارادته وقد تحققت هذه الارادة وخصها الله بافراد معينة من يوم خلق الدنيا وخلق البشر أو قبل ذلك فلا تبديل فى ذلك ، وقد وردت روايات عديدة في ان الامر والخطاب في هذه الآية إنما هو لاولياء الامر خاصة .

ففي الدر المنثور . واخرج ابن ابي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم عن زيد بن اسلم في قوله : (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها) قال انزلت هذه الآية في ولاة الامر وفيمن ولى من امور الناس شيئاً .

وفيه أيضا قال : واخرج سعيد بن منصور والفريابي وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم عن علي بن ابي طالب (ع) قال حق على الامام ان يحكم بما انزل الله وان يؤدي الامانة فاذا فعل ذلك فحق

على الناس ان يسمعوا له وان يطيعوا وان يجيبوا اذا دعوا انتهى مافي الدر المنثور .

وقال في مجمع البيان بعد ذكر الآية قيل في المعنى بهذه الآية اقوال (احدها) انها فى كل من اؤتمن امانة من الامانات ، وامانات الله اوامره ونواهيه وامانات عباده فيما يأتمن بعضهم بعضا من المال وغيره ، عن ابن عباس وابي بن كعب وابن مسعود والحسن وقتادة وهو المروى عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) .

(وثانيها) ان المراد به ولاة الامر امرهم الله ان يقوموا برعاية الرعية وحملهم على موجب الدين والشريعة ، عن زيد بن اسلم ومكحول وشهر بن خوشب وهو اختيار الجبائي ورواه اصحابنا عن ابي جعفر الباقر وابي عبد الله الصادق قالا أمر الله تعالى كل واحد من الائمة ان يسلم الامر الى من بعده .

هذا اذا جعلنا الامر مختصا بولاة الامر ، واما اذا جعلناه عاما لكل من اؤتمن على شيء من الاشياء فيعم الولاة والرعية ، فالرعاة مكلفون بحفظ الاحكام وادائها الى الانام ، والرعايا مكلفون بحفظ امانات الله عندهم وهي الواجبات كالصلوة والصوم والحج والزكاة ، عليهم ان يحافظوا عليها ويؤدوها كما امرهم ولاة الامر لا كما امرهم مدعي الولاية بلا حجة ولا برهان وبلا معرفة لآيات القرآن ، وانما المدعي لهذا المنصب الالهي عليه ان يسند كل حكم من احكام الدين الى آية من القرآن او الى السنة النبوية الثابتة عن النبي (ص) كما قال الائمة من اهل البيت حيث اوصوا اصحابهم بانه اذا جاءكم منا حديث فاعرضوه على القرآن فاذا كان موافقا له فخذوا به وإلا فأوكلوه الى الذي جاء به ، وكذا بالنسبة الى سائر الواجبات ، فيلزم على المسلم ان يؤدي واجباته

على الوجه الصحيح الشرعي من الطريق الذي يوصله الى النبي (ص) ولا يعتمد على من يشك فيه ولا يعمل على القياس فانه ليس بحجة ، وعلى المسلم ان يترك جميع المحرمات التي نهى الله عنها في القرآن الكريم ونهى النبي (ص) عنها فاذا فعل ذلك فقد ادى الامانة اي امانة الله واما امانة العباد فهي التي يأتمنه عليها الناس فيلزم عليه المحافظة عليها حتى يردها الى صاحبها . هذا بالنسبة الى الجملة الأولى من الآية وأما قوله تعالى : (واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) فان الامر فيها موجه الى من يجوز له الحكم وهم الانبياء واوصياء الانبياء ومن يجعلونه وكيلا عنهم ، واما غير هؤلاء فليس له ان يتولى الحكم على الناس وان الله قد امر هؤلاء ان يكون حكمهم بالعدل والحق . فقد روي عن النبي (ص) انه قال لعلي سوّ بين الخصمين في لحظك ولفظك .

وروى ان صبيين جاءا الى الحسن بن علي في خط كتباه وحكماه في ذلك ليحكم اي الخطين اجود فبصر به علي (ع) فقال يا بني انظر كيف تحكم فان هذا حكم والله سائلك عنه يوم القيامة .

الاحتجاج عن سعيد بن ابى الخصيب قال : دخلت انا وابن ابي ليلى المدينة فبينما نحن في مسجد الرسول (ص) إذ دخل جعفر ابن محمد عليه السلام فقمنا اليه فسألني عن نفسي واهلي ثم قال من هذا معك ؟ قلت : ابن ابي ليلى قاضي المسلمين فقال : نعم ثم قال له تأخذ مال هذا فتعطيه هذا وتفرق بين المرء وزوجه لا تخاف في هذا احدا قال : نعم ، قال باي شيء تقضي ؟ قال بما بلغني عن رسول الله وعن ابي بكر وعمر ، قال فبلغك ان رسول الله قال اقضاكم علي ؟ قال ؛ نعم . قال : فكيف تقضي بغير قضاء علي وقد بلغك هذا ؟ قال فاصفر وجه ابن ابي ليلى ثم قال لي التمس زميلا لنفسك والله لا اكلمك

من رأسي كلمة ابدا .

وروي عن الامام الصادق (ع) قال : القضاة اربعة ثلاثة في النار وواحد في الجنة . رجل قضى بجور وهو يعلم فهو في النار ، ورجل قضى بجور وهو لا يعلم فهو في النار ، ورجل قضى بحق وهو لا يعلم فهو في النار ، ورجل قضى بحق وهو يعلم فهو فى الجنة ، فقد تبين ان مقام القضاء عظيم خطره لا يقدم عليه احد إلاّ بامر من الله ومن رسوله وبتعليم من الرسول او من ولاة الامر الذين اودع الله عندهم الاحكام فهم يأذنون لمن يعرفون انه يقضي بالحق ولا يرتكب الجور في حكمه ، اما من يحكم بالجور ولو في حكم واحد فليس بأهل للقضاء ، فان من حكم بالجور مرة يحكم به مرات فلا يصلح للقضاء إلا من كان من نوع الرجل الرابع فيكون الامر من الله تعالى في الآية الشريفة باداء الامانة والحكم بالعدل لهؤلاء الرجال فقط فاعرفهم واعرف ما يأمروك به واعمل به ولا تخالفهم ، فان العمل بما يأمرون هو العمل الصالح الموجب لك دخول الجنة الذي نبهك الله عليه في الآية التي قبلها ودعاك اليه . فاذا عرفنا ولاة الامر وشخصناهم باسمائهم وصفاتهم يتضح لنا الامر ويتجلى المعنى في الآية التي بعد هذه الآيةوهي قوله تعالى : (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم) (١) اما اطاعة الله فهي امتثال اوامره ونواهيه وعدم المخالفة في شيء منها ، ومن لم يطع الله فيما يأمره لم يشمله النداء في افتتاح الآية .

واما اطاعة الرسول فان الله قد امر بها امراً مطلقاً غير مقيد بزمان او مكان او حال ، ولا فرق فيما يجب اطاعتنا له بين ما هو موجود في القرآن من امر الرسول او غير موجود ، فانه لا يأمر إلا عن

(١) النساء آية ٥٩ .

امر الله وذلك لان الله عرفنا عصمته وانه لا ينطق عن الهوى فتجب اطاعته فى كل ما يأمر وينهى .

واما اطاعة اولى الامر فان الله امرنا بها امراً مطلقا غير مقيد بشيء من الاشياء فاول ما يدل هذا الامر على عصمتهم وان كل ما يأمرون به هو من عند الله، فانه لو جاز عليهم الخطأ ما كان الله ليأمر باطاعتهم المطلقة . ومن هذا يتضح ان اولى الامر لا يشمل من يجوز عليه الخطأ فيخرج بهذا كل ظالم وجائر من الملوك الذين استولوا على الامر بالقوة والغلبة وانما يختص الامر بمن ولاهم الله وسلم اليهم الامر والنهي وعلمهم الاحكام واودعها عندهم . وهذه الآية مرتبطة بالتي قبلها فان الله امرهم في الآية السابقة ببيان الاحكام للامة وامر الامة في هذه الآية باطاعتهم المطلقة حتى يستقيم الامر للجميع وان الذي حدث من المخالفة لم يكن من الولاة لان الله هو اختارهم وعصمهم من المخالفة ولكن بعض الامة قد خالف الامر فحصل هذا الانشقاق ثم توسع حتى حصلت هذه الفرق التي اخبر عنها النبي (ص) وهي ٧٣ فرقة ، واحدة ناجية والباقي في النار ، ثم ان الله عطف طاعة اولى الامر على اطاعة الرسول ولم يفصل بينهما بفعل الامر كما فعل في عطف اطاعة الرسول على اطاعة الله اشعارا واعلاما بان اطاعة الرسول واطاعة اوصيائه سواء في الوجوب ومخالفتهما سواء في الحرمة وانما فصل في عطف اطاعة الرسول على اطاعة الله بالفعل لبيان الفرق والمباينة بين الخالق والمخلوق ولما لم يفصل بين الرسول وبين اولى الامر وامر باطاعتهم بلا قيد او شرط علمنا عصمتهم من الخطأ والسهو وجميع المعاصي كعصمة الرسول وان هذا الامر المطلق انما هو بسبب عصمتهم يعنى ان العصمة هي السبب الوحيد فى ايكال الامر اليهم ولا يمكن ان يوكل الامر الا الى معصوم

وقد بقى على المؤمنين الذين ناداهم الله ان يفحصوا عن هؤلاء الرجال الذين ولاهم الله الامر واودعهم العلوم فيعرفوهم باعيانهم حتى يطيعوا اوامرهم واما بعض فرق الاسلام فقد ادعوا انهم عرفوهم حق المعرفة وتمسكوا بولائهم واطاعوا اوامرهم في امور الدين، واما غيرهم من الفرق فلم يوافقوهم على ذلك وخالفوهم وعادوهم في بدء الامر حيث ان الفرق المدعية للمعرفة قالوا ان اولى الامر هم في آل بيت النبي وهم علي وبنوه وبقية الفرق خالفوهم ونازعوهم .

فنقول ان الله تعالى قال : (اطيعوا الله واطيعــوا الرسول واولى الامر) فاوجب علينا طاعة الرسول واولى الامر بعد اطاعة الله .

ثم قال بعد ذلك : (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) ولم يجعل اولى الامر مع الرسول في رد المتنازع فيه اليهم وذلك لعلمه جل وعلا ان اول شيء يقع النزاع فيه هو تشخيص اولى الامـر فلا يمكن ان يكون الحاكم في النزاع هو نفس المتنازع فيه وذلك للزوم الدور منه وقد وقع النزاع بين المهاجرين والانصار فى الخلافة حين اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة والنبي بعد لم يقبر ، فاحتج المهاجرون بقول النبي (ص) بان الخلافة فى قريش ، فكف الانصار عن النزاع واسرع المهاجرون الى عقد البيعة لابي بكر حيث تقدم عمر وبايعه ولم يرجعوا الى القرآن ولا الى سنة النبي وانما تمسكوا بكلمة واحدة لم تعين ولم تشخص اي الرجال من قريش يكون الخليفة ، وقد قال امير المؤمنين لما بلغه الخبر انا اولى قريش بالخلافة لانه اقرب قريش الى النبي . اما اذا رجعنـا الى ما آمرنا الله به من الرد الى الله والى الرسول فان الله إنما امر بطاعة اولى الامر اذا كانوا مطيعين لله وللرسول لا مطلق من تولى الامر ولو بغير اذن من الله والرسول . وعلى هذا فينبغي ان نختار للولاية من

كان مطيعا لله ورسوله بشهادة من الله والرسول ، اما شهادة الله فقوله تعالى : (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) حيث ان جميع المؤرخين خصوا نزول الآية في النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين (ع) ولا ريب ان كل معصية من الرجس ، فاذا كان الله قد طهرهم من المعاصي صاروا من المعصومين ونحن نفحص ونفتش عن المعصومين ، واما الرجوع الى النبي الذي معناه الرجوع الى سنته فان جميع اصحاب النبي قد اعترف وشهد انه سمع من النبي انه قال : (اني مخلف فيكم ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي) فان علمنا ان الله امر عباده باطاعة اولى الامر المطيعين له ولرسوله والا فلا يمكن ان يقال ان الله امر العباد بطاعة ولي الامر العاصي لله وكيف يمكن ان يريد الله من عموم الناس الطاعة له ولرسوله ويرضى ان يكون ولى الامر عاصيا ويأمر الناس بطاعته فانه يحمل الناس على ما يريده من الاعمال وهي المعصية وهذا امر لا يقول به ذو مسكة ، فاذا كان المقصود من اولى الامر المعصومين المنزهين عن المعاصي حينئذ نختار من العباد من شهد الله بطهارتهم ونزاهتهم وامر النبي بالرجوع اليهم والتمسك بهم ، وهذا هو الذي اشار اليه امير المؤمنين بقوله ان حجة المهاجرين على الانصار ان الخلافة في قريش هو اولى بها من سائر قريش لان في هذا رد المتنازع فيه الى الله والى الرسول .

فقد تحصل مما ذكرناه الامور التالية : (١) قوله تعالى : (اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر) (٢) قوله تعالى : (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) (٣) ان اول نزاع وقع بين المسلمين هو النزاع في الخلافة حين اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة . (٤) يلزم على المؤمنين ان يردوا هذا النزاع الى الله والرسول ليكونا هما الحاكمان

فيه . (٥) ان اولى الامر الذين الزمنا الله بطاعتهم يلزم ان يكونوا مطيعين لله ورسوله والا فلا طاعة لهم علينا . (٦) ان عصمة الشخص وطهارته من الرجس ونزاهته عن المعاصي انما تعلم وتعرف من اخبار الله ورسوله وقد اخبرنا الله بطهارة اهل البيت بقوله : (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) وامرنا النبي (ص) بالتمسك بهم بقوله (اني مخلف فيكم) . (٧) قد تبين ان اولى الامر الذين امرنا الله بطاعتهم هم الذين اخبرنا بطهارتهم من الرجس ولا يمكن ان يكون غيرهم ممن لم يعصم من الذنوب . (٨) ان الذي تصرح به الآية ان من حكم في حسم النزاع برأيه ولم يرده الى الله والرسول فهو غير مؤمن فانه تعالى يقول : (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فالذي لا يرد النزاع الى الله والرسول فهو غير مؤمن بالمبدأ والمعاد ، وهذا امر عظيم ينبغي للمؤمن التحرز عنه بالمحافظة على الطاعة ، اذ ان الله وجه الخطاب والنداء في اول الآية الى المؤمنين وامرهم بالطاعة لثلاثة (١) اطاعة الله (٢) طاعة الرسول (٣) طاعة اولى الامر ، ثم امرهم اذا تنازعوا في شيء ان يردوه الى الله والرسول واول شيء تنازعوا فيه بعد ارتحال الرسول عنهم هو امر الخلافة ، اي تنازعوا فيمن يكون ولى الامر الذي تجب اطاعته فيلزمهم ان يردوه الى الله والرسول إن كان ايمانهم بهما حقيقياً كما تصرح الآية فان امتنعوا عن الرد الى الله والرسول يكشف امتناعهم عن عدم حقيقة ايمانهم . هذا هو المحصل من الآيات فان كان لها تفسير او معنى غير هذا فليذكره من كان يعرفه بحيث يرد المتنازع فيه الى الله والرسول حتى يحصل الاتفاق فانه اذا حصل الاتفاق يكون كما اخبر بقوله : (ذلك خير واحسن تأويلا) فان جميع العقلاء يقرون ويعترفون ان عدم النزاع

خير من النزاع وان الاتفاق والإئتلاف احسن من الاختلاف والافتراق فان الامة لو اتفقت من اول الامر على رد المتنازع فيه الى الله والرسول لما وقع هذا الاختلاف ، وهذا خير لهم بلا ريب واحسن تأويلا ، لان الامة اذا كانت متفقة وكانت كلمتها واحدة لما تسلط علينا العدو وما قدر ان يغتصب منا ارضنا ووطننا ، فلو ان المسلمين كانوا على رأي واحد وكلمة واحدة لما تمكن هذا الموالي للكافر ان يؤثر عليهم ويعمل هذه الاعمال المحرمة في كتاب الله وسنة النبي (ص) ولو كانوا متفقين لالزموه باحكام الاسلام والتأدب بآدابه .

تفسير نور الثقلين ج١ ص٤١٦ رقم الحديث ٣٤٣ علي بن ابراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس وعلي بن محمد عن سهل بن زياد ابي سعيد عن محمد بن عيسى عن يونس عن ابن مسكان عن ابي بصير قال سألت أبا عبد الله عن قول الله عز وجل (اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم) فقال : نزلت في علي بن ابي طالب (ع) والحسن والحسين (ع) ، فقلت له ان الناس يقولون فما له لم يسم عليا واهل بيته (ع) في كتابه عز وجل ؟ قال : قولوا لهم ان رسول الله (ص) نزلت عليه الصلاة ولم يسم الله لهم ثلاثا ولا اربعا حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي فسر ذلك لهم ، ونزل عليه الزكوة ولم يسم لهم من اربعين درهما درهم حتى كان رسول الله (ص) هو الذي فسر ذلك لهم ، ونزل الحج فلم يقل لهم طوفوا اسبوعاً حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي فسر ذلك لهم ونزلت : (اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم) ونزلت في علي والحسن والحسين . فقال رسول الله (ص) في علي (من كنت مولاه فعلي مولاه) وقال (ص) (اوصيكم بكتاب الله عز وجل واهل بيتي فاني سألت الله عز وجل ان

لا يفرق بينهما حتى يوردهما علي الحوض فاعطاني ذلك) وقال لا تعلموهم فانهم اعلم منكم وقال انهم لن يخرجوكم من باب هدى ولن يدخلوكم فى باب ضلالة ، فلو سكت رسول الله (ص) ولم يبين من اهل بيته لا دعاها آل فلان وفلان ، ولكن الله عز وجل انزل في كتابه تصديقاً لنبيه (ص) : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) فكان علي والحسن والحسين وفاطمـــة عليهم السلام فادخلهم رسول الله (ص) تحت الكساء في بيت ام سلمة ثم قال اللهم ان لكل نبي اهلا وثقلا وهؤلاء اهل بيتي وثقلي ، فقالت ام سلمة ألست من اهلك ؟ فقال انك الى خير ولكن هؤلاء اهلي وثقلي .

فقد تحقق من هذه الآية الشريفة ان الايمان انما يتحقق ويصح ان يوصف المرء به ويقال له مؤمن بشروط ثلاثة :

الاول اطاعة الله فيما يأمر به وينهى عنه وهو اصل التوحيد والاعتقاد بالمبدء ومن لم يعترف به ولم تتحقق منه الطاعة لله فهو كافر باتفاق جميع فرق المسلمين .

الشرط الثاني اطاعة الرسول بان يعترف بنبوته ويصدقه فى رسالته ويطيع اوامره ونواهيه فان لم يصدق نبوته ولم يعترف برسالته او قال ذلك وخالفه فيما يأمر وينهى لا يعد مؤمنا اي اذا زعم ان امر الرسول لا يجب ان يطاع فهو كافر باتفاق فرق المسلمين .

الشرط الثالث اطاعة اولى الامر كما هو صريح الآية ويعتبر في اولى الأمر ان يكونوا مطيعين لله في جميع ما يأمرون به بان تكون اوامرهم ونواهيهم كلها طاعة لله فلو صدر منهم امر واحد او نهي واحد خلاف ارادة الله لا يمكن ان يكون من اولى الامر صاحب هذا الامر أو النهي الواحد المخالف لارادة الله سواء اصدر هذا الامر او النهي عمدا او خطأ او

سهوا او نسيانا وذلك لان الله امر باطاعتهم امراً مطلقا غير مقيد بشيء فلو رضى باطاعتهم في الامر او النهي المخالف لما يريد فمعناه انه امر بالمعصية ولا يقدر احد أن يقول ان الله يأمر بالمعصية فينتج من هذا ان اولى الامر الذين امر الله بطاعتهم لابد وان تكون جميع اوامرهم ونواهيهم موافقة لاحكام الله الحقيقية ، وهذا الامر يتوقف على معرفتهم الكاملة واطلاعهم على الاحكام ، وانهم لا يشكون ولا يترددون في مسألة واحدة من مسائل الحلال والحرام ، ولا ادل على ذلك من كلمة قالها النبي (ص) في حق علي عليه السلام : (انا مدينة العلم وعلي بابها) فان علوم الانبياء كلها عند خاتمهم محمد بن عبد الله وعنده زيادة عليهم بارادة الله له ذلك حيث يأمره ويقول له (وقل ربي زدني علما) فاذا قالها كل يوم لابد وان يجيبه الله بعد ما امره بالطلب وهذه العلوم كلها بابها علي بن ابي طالب وبمقتضى الامر الموجه اليه من الله في قوله : (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها) انه يلزمه ان يسلمها الى الامام الذي بعده وهو احد سيدي شباب اهل الجنة الحسن المجتبي ومنه الى اخيه الحسين فهؤلاء الاوصياء هم اعلم خلق الله تعالى وهم الذين امرنا الله بطاعتهم في كل ما يأمرون ، وحيث ان الله جعل شرط الايمان اطاعة اولى الامر وجب على كل مؤمن الفحص عن رجال معصومين منصوبين من قبل الله والرسول عالمين بجميع الاحكام ولا يمكن ان يكون مؤمنا مع عدم اعترافه بهؤلاء الرجال ، اما طاعتة لمعاوية ويزيد واشباههم ممن عبـــد وثنا وسجد للصنم فلا يكفى لما قد عرفت فافهم وارحم نفسك وكن من المؤمنين لتحظى بما وعدهم الله .

قال في تفسير الصافي ج١ ص٣٦٥ وفي المعاني عن سليم بن قيس الهلالي عن امير المؤمنين (ع) انه سئل ما ادنى ما يكون به الرجل

ضالاً ؟ فقال : ان لا يعرف من أمر الله بطاعته وفرض ولايته وجعل حجته في ارضه وشاهده على خلقه ، قال فمن هم يا امير المؤمنين ؟ قال الذين قرنهم الله بنفسه ونبيه فقال : (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم) قال : فقبلت رأسه وقلت اوضحت لي وفرجت عني واذهبت كل شك كان في قلبي .

نور الثقلين ج١ ص٤١٧ رقم الحديث ٣٤٤ محمد بن يحيى عن احمد بن محمد عن صفوان بن يحيى عن عيسى بن السدي ابي اليسع قال : قلت لابي عبد الله (ع) اخبرني بدعائم الاسلام التي لا يسع احد التقصير عن معرفة شيء منها ، الذي من قصر عن معرفة شيء منها فسد عليه دينه ولم يقبل منه عمله ، ومن عرفها وعمل بها صلح له دينه وقبل منه عمله ولم يضق به مما هو فيه لجهل شيء من الامور جهله ، فقال شهادة ألا إله إلا الله والايمان بان محمداً رسول الله (ص) والاقرار بما جاء به من عند الله وحق في الاموال الزكاة ، والولاية التي امر الله عز وجل بها ولاية آل محمد (ص) قال : فقلت له هل في الولاية شيء دون شيء فضل يعرف لمن اخذ به ؟ قال نعم قال الله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم) وقال رسول الله (ص) : (من مات لا يعرف امامه مات ميتة جاهلية) وكان رسول الله (ص) وكان علياً (ع) وقال الآخرون كان معاوية ثم كان الحسن ثم كان الحسين . وقال الآخرون يزيد بن معاوية وحسين بن علي ولا سواء ولا سواء انتهى ، يعني لا سواء علي ومعاوية ، ولا الحسين ويزيد ، ثم إن معرفة اولى الامر مهمة جدا ، حيث ان الله قرن طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله فلا مجال للمؤمن في التسامح في معرفتهم لهذا احببت ان اذكر للقارىء اقوال المفسرين في هذا المقام حتى يعرف

ان ما ذكر هنا ليس من رأي فرقة خاصة وان جل المفسرين بل كلهم يعتبر فيهم العصمة والعلم والعدالة .

قال الفخر الرازي في تفسيره الكبير ج١٠ ط١ بمصر ١٣٥٧ ص١٤٤ (المسألة الثالثة) اعلم ان قوله (واولى الامر منكم) يدل عندنا على ان اجماع الامة حجة والدليل على ذلك ان الله تعالى امر بطاعة اولى الامر على سبيل الجزم في هذه الآية ومن امر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع لابد وان يكون معصوما عن الخطأ اذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير اقدامه على الخطأ يكون قد أمر الله بمتابعته فيكون ذلك امراً بفعل ذلك الخطأ ، والخطأ لكونه خطأ منهي عنه ، فهذا يفضى الى اجتماع الامر والنهي فى الفعل الواحد بالاعتبار الواحد وانه محال ، فثبت ان الله تعالى امر بطاعة اولى الامر على سبيل الجزم وثبت ان كل من امر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب ان يكون معصوماً عن الخطأ ، فثبت قطعا ان اولى الامر المذكور في هذه الآية لابد وان يكون معصوما . انتهى محل الحاجة من كلامه فانه قد اقام الدليل على وجوب عصمة اولى الأمر وانه لا يمكن أن يكون غير معصوم كسائر الناس ، ثم ذكر بعد كلامه هذا ما يمكن ان يرد عليه من الاعتراض ثم اجاب عنه مفصلا وابطل كل اعتراض يرد عليه ثم قال فى آخر ص١٤٥ فكان حمل اولى الامر الذي هو مقرون بالرسول على المعصوم اولى من حمله على الفاجر الفاسق انتهى .

وقال الزمخشري في الكشاف ج١ ص٢٧٥ (والمراد باولى الامر منكم) امراء الحق ، لا امراء الجور . . . . الله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون على الله ورسوله فى وجوب الطاعة لهم وانما يجمع بين الله ورسوله والامراء الموافقين لهما في ايثار العدل واختيار الحق والامر بهما والنهي عن اضدادهما) انتهى . فقد سمعت انه اعتبر في اولى الامر ان

يكونوا امراء حق بامر من الله ورسوله ، واللازم على المسلم معرفتهم .

وقال ابن كثير في تفسيره ج١ ص٥١٨ قال تعالى (اطيعوا الله) اي اتبعوا كتابه ، (واطيعوا الرسول) اي خذوا بسنته ، (واولى الامر منكم) اي فيما امروكم به من طاعة الله لا في معصية الله فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الله كما تقدم في الحديث الصحيح (انما الطاعة في المعروف) ، وقال الامام احمد حدثنا عبد الرحمان حدثنا همام حدثنا قتادة عن ابن حريث عن عمران بن حصين عن النبي (ص) قال : (لا طاعة في معصية الله) انتهى .

وقال الشيخ مصطفى المراغي في تفسيره ج٥ ص٧٢ اطيعوا الله واعملوا بكتابه ، واطيعوا الرسول لانه يبين للناس ما نزل اليهم فقد جرت سنة الله بان يبلغ عنه شرعه رسل منهم تكفل بعصمتهم واوجب علينا طاعتهم واطيعوا اولى الامر وهم الامراء والحكام والعلماء ورؤساء الجند وسائر الرؤساء والزعماء الذين يرجع اليهم الناس في الحاجات والمصالح العامة ، فهؤلاء اذا اتفقوا على امر أو حكم وجب ان يطاعوا فيه بشرط ان يكونوا امناء وألا يخالفوا امر الله ولا سنة رسوله التي عرفت بالتواتر وان يكونوا مختارين في بحثهم في الامر واتفاقهم عليه .

واما العبادات وما كان من قبيل الاعتقاد الديني فلا يتعلق به امر اهل الحل والعقد بل إنما يؤخذ عن الله ورسوله فحسب وليس لأحد رأى فيه انتهى .

يقول هذا العالم ان الامور على قسمين منها دينية ومنها امور دنيوية سياسية ، اما الدينية سواء أكانت تتعلق بالاصول الاعتقادية ام بالفروع العملية فهي انما تؤخذ من الكتاب والسنة فكل امر ديني يلزم من يفتي به ان يسنده الى آية او الى رواية قطعية يقطع انها صادرة من

النبي (ص) واما الامور الدنيوية فاذا اتفق الرؤساء المسلمون واهل العقل والمعرفة على امر من الامور التي تنفع عموم المسلمين يلزم على بقية المسلمين تنفيذها وموافقتهم فيها اذا كان هؤلاء القوم اهل دين وكانوا امناء يراعون مصالح المسلمين ولا يخالفون شيئاً من اوامر الله وسنة رسوله ولا يلاحظون مصالحهم الخاصة وان تضرر عموم المسلمين ولا يسلطون الكافرين على منافع بلادهم .

ولا يخفى على احد ان مثل هؤلاء الرجال لا يوجدون وان وجد واحد بالمئة فلا يقدر ان يعمل وحده لان بقية القوم كلهم ضده فعلى هذه القاعدة لا يمكن أن نقول ان اولى الامر يشمل كل أمير ورئيس او يشمل من سمى نفسه امير المؤمنين أو خليفة المسلمين إلا ان يكون متصفا بالصفات المذكورة او ان النبي (ص) جعله في هذه الرتبة وسماه بهذا الاسم بامر من الله لا من ذات نفسه .

وقال سيد قطب في تفسيره (في ظلال القرآن) ج٥ ط٢ ص٣٣ قال بعد ذكره للآية الشريفة (وفى هذا النص يضع الاساس الكامل لنظام الحكم في الاسلام ان الحاكمية لله وحده فشريعته هي الدستور الاساسي والله واجب الطاعة فشريعته واجبة التنفيذ وعلى الذين آمنوا أن يطيعوا الله ابتداء وان يطيعوا الرسول بما له من صفة الرسالة فطاعته إذاً هي من طاعة الله الذي ارسله بهذه الشريعة ، وسنته وقضاؤه على هذا جزء من الشريعة واجب النفاذ فاما اولو الامر فالنص يجعل طاعتهم تبعية لا اصلية فلا يكرر لفظ الطاعة عند ذكرهم ليدل على ان طاعتهم مستمدة من طاعة الله ورسوله ومن القيام على شريعة الله ورسوله وليس لهم طاعة فيما وراءها ، لان الطاعة لهم تبعية لا اصلية ومستمدة من اصل وليست هي بذاتها اصلا) انتهى محل الحاجة . وهذا الذي ذكره

سيد قطب قد صرح به ائمة اهل البيت في مقامات عديدة حيث كانوا يقولون للناس اذا جاءكم احد بحكم من عندنا فاعرضوه على القرآن ، فان كان موافقا له فخذوا به وإلا فردوه الى من جاء به ، ثم انه قد تبين من اقوال هؤلاء المفسرين ان المراد من اولى الامر الذين تجب طاعتهم هم الذين يحكمون بالقرآن والسنة في جميع احكامهم ولا يخطئون فيها كما هو صريح عبارة الفخر الرازي ومثل هؤلاء الرجال لا يقدر ان يشخصهم احد إلا الله ورسوله لانا قد عرفنا من كلمات الاعلام ان اولى الامر يلزم ان تتوفر فيهم الشروط الآتية .

(١) ان يكونوا عالمين بتفسير القرآن باكمله وان يكونوا عارفين بجميع أنواعه من الناسخ والمنسوخ والعام والخاص وغير ذلك حتى يتمكنوا من اخذ الاحكام الشرعية منه .

(٢) ان يكونوا عالمين بالسنة بجميع اقسامها وانواعها .

(٣) ان يكون عندهم فهم وذكاء ومعرفة في ارجاع الجزئيات الى كلياتها حتى لا يتحقق عنده خطأ في التطبيق فان الله لا يريد الامر والحكم الذي يصدر خطأ كما سمعت ذلك من كلام الرازي .

(٤) ان يكون عندهم ايمان راسخ بحيث لا يتعمدون كذبة ابداً ولا تأخذهم في الله لومة لائم ولا تصدر منهم معصية ابداً ، وبعبارة اخصر ان ولي الأمر الذي امرنا الله بطاعته يشترط فيه ان يكون عالما عاملا بعلمه وهذا لا يمكن ان يحصل الا بمدد من الله فهو الذي يهبه العلم وهو الذي يجعله من اولى الأمر وان البشر يعجز عن معرفته . هذا الذي تحصل من كلمات المفسرين التي مرت عليك وان لم يصرحوا بذلك فتأمل بها جيداً لتعرف الحقيقة حتى تعمل بها . ثم انه لما انزل الله قوله : فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون

بالله واليوم الآخر) عرفنا من هذه الآية ان الشخص او الجماعة او جميع الامة اذا كان ايمانهم ايماناً صادقاً يلزمهم اذا وقع بينهم تنازع في شيء من الامور ان يردوا الأمر المتنازع فيه الى كتاب الله وسنة رسوله فان لم يردوا ذلك الى الله ورسوله فان ايمانهم غير صادق هذا هو صريح الآية ، فالنزاع الذي وقع في الخلافة قبل أن يقبر النبي (ص) ينبغي ان ينظر فيه هل انهم ردوه الى الكتاب والسنة ؟ أو أن حل النزاع صار على ما يشتهون ، وان كل شخص مكلف بالنظر في كيفية حله والعمل على ما يقتضيه تكليفه ، فان تبين له رد النزاع الى الله والرسول وهما حكما بتسويته وحله كان واجبه الاخذ بما حكما فيه ، فان الله قد علق ايمان المتنازعين على رد ما تنازعوا فيه الى الله والرسول ثم أكد هذا الامر بقوله تعالى : (ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا أن يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالاً بعيدا) (١)

ان الله عز وجل قد نظم امور عباده في هذه الآيات الثلاث تنظيماً لا يبقى معه عذر لمن يريد التلاعب في نظام المسلمين ففي آية ٥٨ وجه الامر الحتمي لمن اودع عنده الاحكام الشرعية ، فقال : (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) حيث ذهب اكثر المفسرين الى ان هذا الامر موجه الى اولياء الامور وان اختلفوا في تشخيصهم واتفقوا ايضا على اعتبار صفة العدل فيهم ، ثم انزل الله بعد هذه الآية آية ٥٩ فوجه الخطاب الى عموم المسلمين وهي قوله : (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم) .

---

(١) النساء آية ٦٠ .

يخاطب الله تعالى في هذه الآية جميع المسلمين ويقول لهم انا قد امرنا وحتمنا على من اودعنا عنده الاحكام وقانون الشريعة الاسلامية أن يؤدوا اليكم الاحكام على حقيقتها بلا تغيير ولا تبديل ، وان يحكموا بينكم بالعدل والقسط فهم لا يجورون في حكمهم ولا يحيفون ولا يظلمون احدا ، وانتم يلزمكم اطاعتهم وعدم عصيانهم فانهم مطيعون لله ولرسوله وهم عارفون بجميع الاحكام لا يجهلون شيئاً منها ، ولاجل علمهم العام وعدالتهم الثابتة نأمركم باطاعتهم المطلقة فى كل وقت وفي كل شيء بلا قيد او شرط ، فان تنازعتم في شيء من امور الدين او الدنيا فردوه الى الله والرسول ، وان من عنده علم جميع الاحكام هو يدلكم على كيفية الرد الى الله ورسوله واستنباط الحكم من الكتاب والسنة وان لم تردوا الامر الى الله والرسول فان ايمانكم غير صادق . واما آية ٦٠ فقد بين فيها للنبي أمراً موجبا للعجب يقول تبارك وتعالى أمـــا رأيت أيها النبي هذا الامر العجيب ، او أما رأيت أيها المؤمن وايها الرجل العـــاقل هذا الامر الغريب المحال ، او مـا شعرت ايهـا المنافق وايها الكافر بان هذا الذي تريد ان تحققه وتوجده هو شيء متناقض الاطراف لا يمكن ان يتحقق ، فانك تريد ان تدعي الايمان وتريد ان تتحاكم الى الطاغوت اذا تنازعت مع المؤمنين او مع غيرهم وهذان امران لا يجتمعان اي الايمان والمحاكمة الى الطاغوت ، فان الله قد امر المؤمنين ان يرجعوا في النزاع والخصومة الى الله كما ذكر في قوله (وان تنازعتم) ايها المؤمنون (في شيء فردوه الى الله والرسول) فأنت ايها المنافق لما زعمت انك مؤمن بالكتاب الذي انزل على النبي (ص) والكتاب الذي انزل قبل النبي كيف تريد التحاكم الى الطاغوت وقد عين الله رجالاً يعرفون احكام الكتاب المنزل على النبي واحكام الكتب

المنزلة قبله ، ويؤيد ذلك ما رواه جميع المفسرين والمؤرخين قول أمير المؤمنين (ع) : (علمني رسول الله (ص) الف باب من العلم يفتح لي من كل باب الف باب) ويؤيد هذا الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله باتفاق جميع الصحابة قوله (ص) (انا مدينة العلم وعلي بابها) وبعد هذا الذي ذكر أليس مما يتعجب منه محاكمة الذي يدعي الاسلام الى الطاغوت فان الله جعل اسلامه وايمانه مزعوماً اي كذبا ليس بايمان صادق ، وبعد هذا النظام الذي بينه الله لنا في هذه الآيات الثلاث ٥٨ و ٥٩ و ٦٠ ينبغي ان لا يكون نزاع بين المسلمين ابداً ، وان الاختلاف في الرأي او في غيره بمجرد حدوثه يردوه الى الكتاب والسنة فيرتفع النزاع ويقع الرضا بينهم إن كانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر كما ذكر الله ذلك ، ولكن النزاع الاول الذي وقع بعد موت النبي وقبل ان يدفن حيث لم يرجع فيه الى الكتاب والسنة سبب ذلك حدوث النزاع في كل شيء وحدوث الفرق الـ ٧٣ ، واما الطاغوت الذى نفى الله اسلام وايمان كل من اراد التحاكم اليه فقد فسر بتفاسير عديدة يجمعها اى يجمع الاقوال المفسرة للطاغوت التعبير عنه بقولنا هو كل شيء يرجع اليه في فصل الخصومة ولم يخوله الله النظر والحكم فى هذا الامر سواء أكان انسانا ام غير انسان ، لان الله امر بالرجوع في مقام التنازع والتخاصم والتداعي الى الله والرسول ، وامر ايضا باطاعة اولى الامر في كيفية الرجوع التي بها يفصل النزاع ويرتفع التخاصم ، فكل من يجعل نفسه في منزلة الله والرسول ويريد الرجوع اليه فهو طاغوت كما ان من يجعل الصامت بمنزلة الله ورسوله ويدعو الى الرجوع اليه فهو طاغوت .

بقى امران :

الأمر الأول قوله تعالى : (وقد أمروا أن يكفروا به) أي كل شيء يجعل نفسه او يجعله المنافقون بمنزلة النبي ليحكم بين الناس فى أمور الدين وفي مقام التخاصم والتنازع فقد أمر الله عباده أن يكفروا به بمقتضى هذه الجملة من آية ٦٠ ، فكل من جلس مجلس النبي ليكون حاكما بين الناس وهو يصدر حكمه عليهم ولم يجعله الله ولا رسوله حاكما فأمر الله موجه لجميع العباد أن يكفروا به اي يقولون له نحن كافرون بك وبدعوتك فانما أنت طاغوت وان الشيطان يريد أن يضل بك الناس ليدخلهم جهنم ، وكل من اعترف بك ورضي بحكمك واختارك حاكما فانه منافق يكون معك في النار .

الأمر الثاني ان كل من يدعى الى القرآن والسنة للحكم بينه وبين خصمائه فيمتنع عن الرضا بحكم الله ورسوله ويطلب المحاكمة عند من سماه الله طاغوتا وهو الذي يتصدى للحكم بين الناس بلا تخويل من الله ولا من الرسول فهذا الممتنع عن المجيء الى الله والى الرسول هو منافق وما يظهره من الإيمان فهو كذب ليس بصحيح . هذا ما تنص عليه الآية الشريفة وهي قوله تعالى : (واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) (١) فهذه الآيـــة صريحة في أن من دعي الى الله والرسول يلزمه الطاعة والانقياد ولا يصد ولا يمتنع عن ذلك إلا المنافق ، وقد تقدم حكم الطاغوت ومن يرضى به ويرجع اليه ويتخذه ولياً في سورة البقرة آيـــة الكرسي . واما آية ٦٢ و ٦٣ فقد ذكر فيهما ذم المنافقين الذين يريدون المحاكمة الى الطاغوت ، وذكر بعض بعض صفاتهم الذميمة وبعض اقوالهم الكاذبة ، ثم بعد ذلك ذكر آية ٦٤ وهي قوله تعالى : (وما ارسلنا من رسول الا ليطاع

---

(١) النساء آية ٦١ .

باذن الله ولو انهم إذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) (١) .

بعد ان أمر الله اولياء الأمر من الرسل واوصيائهم باداء الأمانة وهي الأحكام الشرعية التي اودعها عندهم امر المؤمنين باطاعتهم ، ثم ذكر أن جماعة ممن ادعى الايمان قد خالفوا الانبياء ولم يرجعوا اليهم في مقام التخاصم والتداعي وقد بين أن هؤلاء القوم غير مؤمنين ايمانا صادقاً ، ذكر في هذه الآية قانوناً كلياً بالنسبة الى الرسول والى المرسل اليهم وهو ان الله اذا ارسل رسولاً الى قوم يلزم على القوم اذا صدقوه واعترفوا بنبوته ان يطيعوه في جميع اوامره ونواهيه ولا يسمى مؤمنا من يعترف باصل النبوة ويخالف في الأحكام ، واذا اتفقت له دعوى او مخاصمة مع احد يطلب من خصمه ان يتحاكما عند من لم يأمر النبي صلى الله عليه وآله بالمحاكمة عنده .

هذا بالنسبة الى من يخالف النبي فى كل القضايا ويبقى مصراً على الرجوع الى الطاغوت فانه يكون من المنافقين . اما الذي تصدر منه قضية جهلاً او سهوا أو عمدا ثم يندم فيستغفر الله ويطلب من النبي ان يستغفر الله له فان الله قد وعده ان يتوب عليه ويعفو عنه .

فيلزم على كل من خالف النبي (ص) وراجع من لم يأمر النبي صلى الله عليه وآله بالرجوع اليه وهو المعبر عنه بالطاغوت ان يتوب الى الله ويستغفر من ذنبه وان يطلب من النبي (ص) ان يستغفر الله له ولا فرق بين وقوع هذا الامر في حياة النبي (ص) او بعد موته .

تفسير ابن كثير ج١ ص٥١٩ وقد ذكر جماعة منهم الشيخ ابو منصور الصباغ في كتابه الشامل الحكاية المشهورة عن العتبي قال كنت جالسا

(١) النساء آية ٦٤ .

عند قبر النبي (ص) فجاء اعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول : (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) وقد جئتك مستغفراً لذنبي مستشفعا بك الى ربي ثم انشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع اعظمه فطاب من طيبهن القاع والاكم
نفسي الفداء لقبر انت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الاعرابي فغلبتني عيني فرأيت النبي (ص) فى النوم فقال يا عتبي إلحق الاعرابي فبشره ان الله قد غفر له .

تفسير المراغي ج٥ ص٧٩ المعنى الجملي بعد ان اوجب سبحانه فيما سلف طاعة الله وطاعة الرسول وشنع على من رغب عن التحاكم الى الرسول وآثر عليه التحاكم الى الطاغوت ذكر هنا ما هو كالدليل على استحقاق الرسول للطاعة وعلى استحقاق المنافقين الذين لم يقبلوا التحاكم للمقت والخذلان لانهم لم يرضوا بحكم الرسول (ص) .

الايضاح : (وما ارسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله) اي ان سنتنا في هذا الرسول كسنتنا في الرسل قبله ، فما نرسلهم إلا ليطاعوا باذن الله . فمن خرج عن طاعتهم او رغب عن حكمهم خرج عن حكمنا وسنتنا وارتكب اكبر الآثام . وجيء بقوله باذن الله لبيان ان الطاعة الذاتية لا تكون إلا لله رب العالمين لكنه قد امر ان تطاع رسله فطاعتهم واجبة باذنه وايجابه انتهى .

فهذا الكلام صريح في ان كل من تصدى للحكم ونصب نفسه أميراً او خليفة للناس بغير اذن من الله ورسوله فهو بمنزلة الطاغوت يجب على الناس رفضه والتبري منه ، ولذا نرى ائمة أهل البيت قد اعلنوا للناس بان كلما جاءكم حديث منا فاعرضوه على القرآن فما وافق القرآن

فخذوا به وما لم يوافق القرآن فردوه على من جاء به .

تفسير الطبري ج٥ ص١٥٦ القول في تفسير قوله : (وما ارسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله ولو انهم إذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) يعني بذلك جل ثناؤه لم نرسل يا محمد رسولاً إلا فرضت طاعته على من ارسلته اليه ، يقول تعالى ذكره فانت يا محمد من الرسل الذين فرضت طاعتهم على من ارسلته اليه ، وانما هذا من الله توبيخ للمحتكمين من المنافقين الذين كانوا يزعمون انهم يؤمنون بما انزل الى النبي (ص) فيما اختصموا فيه الى الطاغوت صدوداً عن رسول الله (ص) يقول لهم تعالى ذكره ما ارسلت رسولاً إلا فرضت طاعته على من ارسلته اليه ، فمحمد (ص) من اولئك الرسل فمن ترك طاعته والرضا بحكمه واحتكم الى الطاغوت فقد خالف امري وضيع فرضي ، ثم اخبر جل ثناؤه أن من اطاع رسله فانما يطيعهم باذنه يعني بتقديره ذلك وقضائه السابق في علمه ومشيئته ثم ذكر ثلاث احاديث شاهدا على ما ذكره ثم قال في ص١٥٧ وانما هذا تعريض من الله تعالى ذكره لهؤلاء المنافقين بان تركهم طاعة الله وطاعة رسوله والرضا بحكمه انما هو للسابق لهم من خذلانه وغلبة الشقاء عليهم ولو لا ذلك لكانوا ممن اذن له في الرضا بحكمه والمسارعة الى طاعته انتهى .

فقد دلت اقوال المفسرين للآية على ان كل من ادعى الايمان بالله وبالرسول يلزمه ان تكون محاكماته عند من يحكم بالقرآن والسنة اما في زمن النبي فتكون عنده ، واما بعده فيلزم ان تكون عند من يقدر على ارجاع كل حكم الى القرآن والسنة ، فاذا ترك مدعى الايمان الرجوع الى ذلك يكون ممن اختار التحاكم الى الطاغوت فيشمله الوعيد

المذكور في الآيات .

الرازي في تفسيره الكبير ج١٠ ص١٦٢ قال ابو بكر الاصم ان قوما من المنافقين اصطلحوا على كيد في حق الرسول (ص) ثم دخلوا عليه لاجل ذلك الغرض فاتاه جبرئيل عليه السلام فاخبره به فقال صلى الله عليه وآله ان قوما دخلوا يريدون امـــراً لا ينالونه فليقوموا وليستغفروا الله حتى استغفر لهم فلم يقوموا ، فقال ألا تقومون فلم يفعلوا فقال صلى الله عليه وآله قم يافلان قم يافلان حتى عدّ اثني عشر رجلاً منهم فقاموا وقالوا كنا عزمنا على ما قلت ونحن نتوب الى الله من ظلمنا انفسنا فاستغفر لنا ، فقال الآن اخرجوا انا كنت في بدء الأمر اقرب الى الاستغفار وكان الله اقرب الى الاجابة اخرجوا عني انتهى. فالآية تدل على ان مرتكب الكبيرة يجب عليه الاستغفار وتدل على ان مجرد الاستغفار في اللفظ لا يكفي وحده بل ينبغي ان يتوب ويندم على فعله ويعزم في القلب على ان لا يعود ابدا الى مثله ثم يستغفر الله باللسان ليتوب الله عليه

ثم ان الله تعالى اكد هذا الامر وشدد فيه بل جعل الايمان الصحيح الصادق منحصرا في قبول الحكم واطاعة امر الرسول فانزل قوله تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا فيما قضيت ويسلموا تسليما) (١) .

مجمع البيان ج٣ ص ٦٩ المعنى : ثم بين الله ان الايمان إنما هو بالتزام حكم رسول الله (ص) والرضا به فقال (فلا) اي ليس كما يزعمون انهم يؤمنون مع محاكمتهم الى الطاغوت (وربك لا يؤمنون) اقسم الله ان هؤلاء المنافقين لا يكونون مؤمنين ولا يدخلون في الايمان (حتى يحكموك) اى حتى يجعلوك حكما او حاكما (فيما شجر بينهم)

---

(١) النساء آية ٦٥ .

اي فيما وقع بينهم من الخصومة والتبس عليهم من احكام الشريعة (ثم لا يجدوا في انفسهم) اي في قلوبهم (حرجا) اي شكا في ان ماقلته حق ، عن مجاهد ، وقيل اثما اي لا يأثمون بانكار ذلك ، عن الضحاك . وقيل ضيقا بشك او اثم . عن ابي علي الجبائي ، وهو الوجه (مما قضيت) اي حكمت (ويسلموا تسليما) اي ينقادوا لحكمك اذعاناً لك وخضوعا لامرك ، وروي عن الصادق انه قال لو ان قوما عبدوا الله واقاموا الصلاة واتوا الزكاة وصاموا شهر رمضان وحجوا البيت ثم قالوا لشيء صنعه رسول الله الا صنع خلاف ماصنع او وجدوا من ذلك حرجا فى انفسهم لكانوا مشركين ثم تلا هذه الآية انتهى ما في المجمع .

تفسير ابن كثير ج١ ص٥٢٠ وقوله : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة انه لا يؤمن احد حتى يحكم الرسول (ص) في جميع الامور فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهرا ، ولهذا قال : (ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) اى اذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون فى انفسهم حرجا مما حكمت به وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليما كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة كما ورد في الحديث (والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) انتهى كلام ابن كثير .

تفسير المراغي ج٥ ص٨١ (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) اقسم سبحانه بربوبيته لرسوله بان اولئك الذين رغبوا عن التحاكم اليك هم ومن ماثلهم من المنافقين لا يؤمنون ايمانا حقا وهو ايمان الاذعان والانقياد إلا اذا كملت لهم ثلاث خصال .

(١) ان يحكموا الرسول في القضايا التي يختصمون فيها ويشتجرون ولا يتبين لهم وجه الحق فيها .

(٢) ان لا يجدوا حرجا وضيقا فيما يحكم به اي ان تذعن نفوسهم لقضائه وحكمه فيما شجر بينهم بلا امتعاض من قبوله والعمل به ، اذ المؤمن الكامل ينشرح صدره لحكم الرسول لاول وهلة لانه الحق وان الخير والسعادة في الاذعان له .

(٣) الانقياد والتسليم لذلك الحكم فكثيراً مايعرف الشخص ان الحكم حق لكنه يتمرد عن قبوله عنادا او يتردد في ذلك .

وفي هذه الآية اشارة الى شيئين :

(١) عصمة النبي (ص) بمعنى انه لا يحكم إلا بالحق المطابق لصورة الدعوى وظاهرها لا بحسب الواقع في نفسه ، اذ الحكم فى شريعته على الظاهر والله يتولى السرائر وقد قال (ص) (انما انا بشر مثلكم تختصمون الي فلعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فمن قضيت له بحق مسلم فانما هي قطعة من النار فليأخذها او ليتركها) رواه البخاري ومسلم واصحاب السنن .

(٢) انهم لا يكونون مؤمنين ايمانا صحيحا مستحقا للفوز بالثواب والنجاة من العقاب الا اذا كانوا موقنين بقلوبهم مذعنين في بواطنهم بصدق الرسول في كل ماجاء به الدين . ومن امارة ذلك ان يحكموه فيما شجر بينهم من خلاف وألا يجدوا ضيقاً وحرجا في حكمه ، اذ الضيق انما يلازم قلب من لم يخضع ، وان ينقادوا انقيادا كاملاً بلا تمرد ولا عناد في قبوله .

تفسير الطبري ج٥ ص١٥٧ القول في تأويل قوله : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا

عما قضيت ويسلموا تسليما) يعني جل ثناؤه بقوله (فلا) فليس الامر كما يزعمون انهم يؤمنون بما انزل اليك وهم يتحاكمون الى الطاغوت ويصدون عنك اذا دعوا اليك يا محمد ، واستأنف القسم جل ذكره فقال وربك يامحمد لا يؤمنون ،اي لا يصدقون بي وبك وبما انزل اليك حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، يقول حتى يجعلوك حكما بينهم فيما اختلط بينهم من امورهم فالتبس عليهم حكمه ، يقال : شجر يشجر شجورا وشجرا ، وتشاجر القوم اذا اختلفوا فى الكلام والامر مشاجرة وشجارا ، ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ، يقول لا يجدوا في انفسهم ضيقا عما قضيت وانما معناه ثم لا تحرج انفسهم مما قضيت اي لا تأثم بانكارها ما قضيت وشكها في طاعتك ، وان الذي قضيت به بينهم حق لا يجوز لهم خلافه .

التبيان ج٣ ص ٢٤٤ قوله تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) قيل فى معنى دخول (لا) في اول الكلام قولان :

احدهما ـ انه رد لكلام . كأنه قيل لا الامر كما يزعمون من الايمان وهم على تلك الحال من الخلاف ثم استؤنف قوله : (وربك لا يؤمنون حتى . .) .

الثاني ـ انها توطئة للنفي الذي يأتي فيما بعد ، لانه اذا ذكر في اول الكلام وآخره كان اوكد واحسن ، لان النفي له صدر الكلام وقد اقتضى القسم ان يذكر في الجواب . ثم ذكر سبب النزول ثم قال اللغة والمعنى وقوله : (فيما شجر بينهم) معناه فيما وقع بينهم من من الاختلاف . تقول شجر يشجر شجرا وشجورا ، وشاجره في الأمر اذا نازعه فيه مشاجرة وشجارا ، وتشاجروا فيه تشاحوا ، وكل ذلك

لتداخل كلام بعضهم في بعض كتداخل الشجر بالتفافه ، ثم ذكر كلاما ابطل فيه مذهب المجبرة ، ثم قال في ص٢٤٦ ومعنى الآية ان هؤلاء المنافقين لا يؤمنون حتى يحكم النبي (ص) فيما وقع بينهم من الاختلاف ثم لا يجدوا حرجا مما قضى به اي لا تضيق صدورهم به ويسلموا لما يحكم به لا يعارضوه بشيء ، فحينئذ يكونون مؤمنين .

في ظلال القرآن ج٥ ص٣٦ . (وما ارسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله ولو انهم إذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما) . (وما ارسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله) ان الرسول ليس واعظا يلقي كلمة ويمضي ، ان الاحترام الضروري لكلمة الله التي يحملها الرسول يقتضي ان يضمن الله لهذه الكلمة النفاذ وما يطاع الرسول لذاته وبذاته ولكنه يطاع باذن الله وشرعه ، فقد جاء الرسول ليطاع لا لتهمل اوامره ولا لتكون موكولة لمجرد التأثر الوجداني ، جاء ليبين شريعة الله ويقوم على تنفيذها ويأخذ الناس بطاعتها احتراماً لأمر الله ان تبتذله الاهواء .

ومن هنا كان الاسلام عقيدة وشريعة وكان إيمانا في القلب ونظاماً في المجتمع وكانت وظيفة خليفة الرسول ان يؤدي مهمة الرسول في شطرها الثاني وهو القيام على تنفيذ الشريعة لتتحقق الطاعة الدائمة للرسول كما اراد الله أن تكون : (ولو انهم إذ ظلموا انفسهم) بالانحراف عن المنهج السوي والتحاكم الى الطاغوت (جاءوك) مستغفرين تائبين (واستغفر لهم الرسول) ليقبل الله توبتهم ، وهو يظهر هنا لفظ الرسول بدل ضميره ليبرز صفته هذه ، وليقرر انها مناط الرجعة اليه منهم ومناط استغفاره كذلك لهم - لو انهم عادوا الى الله (لوجدوا الله تواباً رحيما)

يقبل التوبة عن عباده ويرحم ضعفهم ويعفو عن خطئهم ويفتح ابوابه دائما للعائدين . ومرة اخرى يؤكد ان الايمان لا يتحقق إلا بسلوك منهجه ، وان التحاكم الى شريعة الله هي الطريق ولكنه في هذه المرة يوضح صفة هذا التحاكم فهي ليست بمجرد الخضوع القهري انما هي كذلك الاطمئنان والرضى والقبول : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما)

انه اقتنا الوجدان واطمئنان الضمير وتسليم الرضى بذلك التحكيم كان ذلك حين كان الرسول (ص) يحكم بشخصه ، فاما بعد جواره للرفيق الاعلى فشرعته وسنته بعده ولا وربك ما يؤمن احد لا يتحاكم الى شرعته وسنته ولا يجد في نفسه الاطمئنان والرضا والقبول والتسليم .

فاذا اطلع القارىء على ما كتبه هؤلاء المفسرون يتحقق عندنا ان الذي يستفاد من آية ٦٤ و ٦٥ .

١ ـ ان الله تعالى يريد من امة كل رسول مصدقة برسولها أن يطيعوه فيما يأمرهم به من جميع الأمور ولا يخالفوه في شيء منها .

٢ .. اذا خالف احد الأمة شيئاً من اوامر الرسول يجب عليه ان يتوب الى الله ، وان يأتي الى الرسول فيعترف بذنبه ويطلب من الرسول ان يستغفر له حتى يغفر الله له .

٣ ـ يلزم على المؤمنين جميعهم اذا وقع شجار بين اثنين منهم او بين جماعتين منهم أن يكون مرجعهم في حل النزاع والخصومة الى الله ورسوله اى الى القرآن فيكون حل النزاع على مقتضى الآيات القرآنية وسنة النبي (ص) ويكون المفسر للآيات القرآنية هو النبي (ص) اذا كان موجودا لان تأويل الآيات لا يعرفها كل احد .

٤ ـ اذا كان النزاع والشجار وقع بين المسلمين بعد رحلة النبي

صلى الله عليه وآله فلا يتغير الحكم المذكور ويجب الرجوع الى القرآن والسنة في حل الخصومات ، ويكون المفسر لآي القرآن وصي النبي وخليفته الذي يعرف تأويل جميع القرآن وإلا فلا يكون رجوعاً الى الله ورسوله كما مر عليك كلام سيد قطب وهو قوله : (وكانت وظيفة خليفة الرسول أن يؤدي مهمة الرسول في شطرها الثاني وهو القيام على تنفيذ الشريعة لتحقق الطاعة الدائمة للرسول كما اراد الله ان تكون) . وقال بعد اسطر في نفس ص٣٧ حيث انتهى من تفسير قوله : (فلا وربك) كان ذلك حين كان الرسول يحكم بشخصه ، فاما بعد جواره للرفيق الاعلى فشرعته وسنته بعده .

٥ ـ إن الايمان الحقيقي الصادق لا يتحقق بالنسبة الى العبد مالم يكن باطنه موافقا لظاهره وقلبه متحداً مع لسانه ، وهذا الأمر لا يمكن فيه التخلف لان الله اقسم عليه بذاته جل وعز ، فالمؤمن الحقيقي هو الذي اذا اتفق له نزاع مع احد من الناس يلزمه ان يرجع في حل النزاع الى الله ورسوله او وصي رسوله وان يرضى بالحكم الصادر من الرسول او الوصي سواء أكان الحكم له ام عليه . اما من لم يرض بالرجوع الى الله ورسوله في مقام التشاجر فانه ليس بمؤمن كما هو صريح الآية وصريح اقوال المفسرين .

سؤال ١ ـ موجه لعموم المسلمين ، ما هو اول تشاجر ونزاع وقع بين المسلمين بعد ارتحال النبي (ص) من الدنيا الى دار القرار ؟

الجواب ـ اول شجار ونزاع هو النزاع في الخلافة الواقع بين المهاجرين والانصار حين اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة وكل من الفريقين طلب أن تكون الخلافة فيهم ولم يكن علي حاضراً بل كان مشغولاً في تجهيز النبي ومعه بنو هاشم وسلمان والمقداد وابو ذر وبريدة وغيرهم .

سؤال ٢ ـ هل ان كلاً من الفريقين رجع الى الكتاب والسنة في حل النزاع أو ان حل النزاع كان بآرائهم ؟

الجواب ـ تقدم في ص١٧٩ ثم اوضح الله تعالى عن خبث ضمائر هؤلاء القوم وفساد سرائرهم بقوله تعالى : (ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً واذاً لآتيناهم من لدنا اجراً عظيما ولهديناهم صراطاً مستقيما) (١) .

ان الله سبحانه كلف امة محمد تكليفاً يسيراً سهلاً ليس فيه مشقة كلفهم اولاً ان يطيعوا الرسول فيما يأمرهم به وينهاهم عنه بان يفعلوا ما امرهم به ويتركوا ما نهاهم ، وكلفهم ثانيا ان يرجعوا اليه والى رسوله في مقام التنازع والتشاجر والتخاصم وان لا يتحاكموا عند الطاغوت ، وكلفهم ثالثاً اذا بدرت منهم بادرة وعصوا الله ورسوله في شيء من الاشياء سواء أكان فعلا ام تركا ان يتوبوا الى الله وان يطلبوا من النبي صلى الله عليه وآله ان يستغفر لهم الله . وهذه الامور الثلاثة يسيرة ليس فيها مشقة ومع ذلك قد عصوا الله فيها ولم يمتثلوها ، فكيف لو كلفهم في مقام التوبة كما كلف اصحاب موسى بان يقتلوا انفسهم ويخرجوا من ديارهم فان الله تعالى العالم بالسرائر والمطلع على الضمائر لو كلفهم بقتل انفسهم والخروج من ديارهم ما فعله إلا القليل منهم .

ثم ان الله عز وجل اخبرهم ونبه غيرهم من المنافقين والمخالفين لأوامر الله وارشدهم لامر يصلح لدنياهم واخراهم ، امر ينفعهم وينفع غيرهم وهو قوله تعالى : (ولو انهم فعلوا مايوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتا) فان الله سبحانه يقول لرسوله حتى يسمع المؤمن والمنافق

---

(١) النساء آية ٦٦ ـ ٦٨ .

والمشكك والمشرك يقول ان هذه الكثرة من امتك الذين خالفوك واطاعوك وفعلوا ما امرتهم به عن الله من الواجباب والمحرمات المقرونة بالوعد والوعيد التي تكون عظة وتذكرة لكل احد لكان فعلهم وامتثالهم للامر احسن لهم واكثر فائدة مما اختاروه من المخالفة لاوامرك ولكان فعلهم موجبا لتثبيت الدين وتقوية كلمتهم المتحدة ، فان نفاقهم وخلافهم صار سبباً لتفريق الكلمة وافتراق الامة الى هذه الفرق المتعددة المتباينة ، وان العبد اذا كان مؤمناً معترفاً بحكمة الله وعلمه بالمصالح يحصل له اليقين بما يخبر به الله ، وهذا الخبر الذي تضمنته الآية وهو ان الطاعة وفعل الأوامر خير لنا من العصيان والمخالفة هو عقيدة المؤمن وهذا غير مختص بزمان وجود الرسول وانما هو مستمر الى يوم القيامة ، فكل مخالف لشيء من اوامر النبي يلزمه التوبة والاستغفار والرجوع الى الطاعة حتى يلتئم امر المسلمين ويثبت دينهم وتكون لهم الهيبة والشوكة والعظمة في قلوب اعدائهم الكافرين ، ثم قال عز وجل (وإذاً لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما) اي ان هؤلاء الذين اظهروا الايمان لو انهم عملوا باوامر النبي ولم يخالفوه في شيء منها واطاعوا الله في الامور الثلاثة التي تقدم ذكرها لاعطاهم الله اجراً كثيراً عظيماً على عملهم ، وهل يتصور الانسان هذا الشيء الذي يسميه الله عظيماً (وكل شيء هو حقير عند الله) لا يتمكن البشر ان يتصوره ابداً حتى يراه بعينه ، فاذا خالف الانسان احد هذه الأمور الثلاثة (١) اطاعة الرسول فيما يأمره ، (٢) الرجوع اليه عند التشاجر (٣) الاستغفار اذا صدرت منه معصية فقد فوت على نفسه هذا الاجر العظيم ، وهل يعتبر نفسه عاقلاً من يفوت هذا الاجر ويحرم نفسه منه ؟! وليته كان تفويتاً للاجر فحسب بل هو ادخال لنفسه في العذاب الاليم الذي لا انقطاع له ، وان الذي

يعمل شيئاً يوجب تفريق الامة واختلاف كلمتها وتشتت جمعها واستيلاء العدو عليها مستحق لهذا العذاب الابدي ولأكثر منه ، ثم قال تعالى : (وهديناهم صراطاً مستقيماً) ايها الانسان المؤمن ان الله يعدك وهو الصادق الوعد بانك اذا فعلت هذه الامور الثلاثة ان يهديك الصراط المستقيم ، هذا صريح الآية ليس فيه اجمال ولكن الكلام في معرفة اوامر النبي فينبغي للعاقل الذي يريد سلوك الصراط المستقيم ان يعرف اوامر النبي من خليفته ووصيه العالم بالاحكام والعارف بتفسير القرآن يأخذ احكامه من باب مدينة العلم لا من طريق آخر حتى يصل الى الصراط المستقيم ، ثم ذكر الله عز وجل ما يبين فيه جنس ذلك الاجر العظيم الذي وعدنا به ولم يبينه تفصيلا لان الانسان لا يعرفه إلا عند الوصول اليه ومشاهدته عياناً ولكن تعرف عظمته من الآية الكريمة وهي قوله تعالى :

(ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا) (١) .

مما لا ريب فيه ان الانبياء هم اعظم الناس اجرا وارفعهم درجة يوم القيامة ، واما الصديقون فهم الذين يصدقون في النية وفي العمل وفي الكلام من اول عمرهم الى آخره بحيث لا تصدر منهم كذبة واحدة في هذه المراحل الثلاث وحينئذ يسمى صديّقاً ، ويلزمه ان يكون مصدقاً بدين الله الحق وإلا فيختل معنى الصدق في احدى المراحل فيكون الشرط في صدق الوصف عليه علمه بالاحكام الواقعية الحقيقية . اما لو قال او فعل او اعتقد شيئاً او اشياء متيقناً انها صادقة حقيقية وهي ليست كذلك وان واقعها خلاف ذلك ، فلا يقال صديّقاً إلا لمن يعلم

(١) النساء آية ٦٩ .

بالأحكام الحقيقية بحيث تعلمها من النبي الذي جاءه بها الملك عن الله تعالى ، فاذا كنت تعرف شخصاً علمه النبي (ص) جميع الأحكام وايده الله بحفظها وعدم اضاعتها ونسيانها وكان عاملا بها لا يتخلف عن حكم واحد منها قولاً وعملا فسمه صديقا بلا توقف فافهم واغتنم .

واما الشهداء فاما ان يكون جمع شاهد وهو الذي يطلع على الشيء ثم يشهد عليه في مقام ترتيب الثواب والعقاب عليه وهؤلاء الذين يجعلهم الله شهداء في الدنيا على العباد لاجل ان يقيموا الشهادة يوم اعطاء الثواب والعقاب لابد وان يكونوا من الصديقين الذين اختصهم الله بهذا التكليف في الدنيا ، وفي الآخرة تكون شهادتهم مقبولة عند الله وهذه منزلة رفيعة يعرفها لهم اهل الجمع ويتذكرون في ذلك المقام انهم جهلوا حقهم فى الدنيا بعد ان ذكرهم الله ونوه عنهم وقرنهم بالنبيين والصديقين ، فينبغي للمؤمن بعد اطلاعه على هذه الأيه ان يعرفهم في الدنيا ليشهدوا له في الآخرة بالمعرفة ، واما ان يكون الشهداء جمع شهيد وهو المقتول في حرب الكفار لاجل نصرة الدين فان الله قدجعل له مقاماً رفيعاً مع النبيين والصديقين ويسمى هذا الجهاد الاصغر ، وهناك جهاد يسمى الجهاد الاكبر وهو مجاهدة النفس والهوى ، كما روي عن النبي (ص) حين رجع من جهاد الاعداء انه قال لاصحابه : (لقد قضينا الجهاد الاصغر وبقى علينا الجهاد الاكبر) فسألوه عنه فقال هو جهاد النفس ، فان النفس اذا اعطيت ما تريد اوقعت صاحبها في المهالك فمن غلب نفسه وقتلها وتجرد لاطاعة الله وامتثال اوامره فهو من اعظم الشهداء الذين يرافقون الانبياء والصديقين ، واما الصالحون فهم الذين صلحت اعمالهم واقوالهم بحيث لا يصدر منهم قول او فعل يضر بهم او بغيرهم وإنما قولهم وفعلهم نافع دائما ، وانما كانت الاقوال والافعال صالحة لانها منبعثة عن نية صالحة .

تذكرة للمصلين

ان المصلي اذا كبر ودخل في الصلاة اول شيء يشرع به هو الثناء على الله عز وجل فانه اذا كبر يعترف بان كل شيء من العرش الى اطباق الثرى هو حقير وصغير بالنسبة الى الله ، وبعد التكبير يحمد الله تعالى على انعامه وتفضله ومنه على عباده بالنعم العظيمة ، ثم يصفه بقوله الرحمن الرحيم ، ثم يعترف له بانه هو المالك ليوم الدين وهو يوم جمع المخلوقات جميعاً وجزاء كل نفس بما تستحقه من خير او شر ، وبعد ذلك يعترف لله بالعبودية الخالصة وبالاستعانة به لا باحد غيره وهو قوله (إياك نعبد واياك نستعين) وبعد ذلك يطلب من الله ان يرشده ويدله ويسلك به الطريق المستقيم الذي لا عوج فيه ولا ظلمة ولا شيء يخالف ارادة الله ، فيقول العبد المصلي (اهدنا الصراط المستقيم) ثم يبين الله ان هذا الصراط هو الذي يسلكه من انعم الله عليه من عباده بقوله صراط الذين ، فيكون سلوك هؤلاء العباد من اقوى الدلالات على استقامة هذا الطريق ، فالعبد المؤمن اذا كان من المصلين وكان ملتفتاً الى ما يقوله ويطلبه من الله ، فانه يطلب من الله فى كل يوم عشر مرات ان يهديه للطريق المستقيم الذي يسلكه المنعم عليهم فيقول في كل فريضة من الفرائض الخمس اليومية (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم . . الخ) ويرجو من الله ان يستجيب دعاءه ويهديه الصراط المستقيم .

وقد بين الله لعباده في هذه الآيات بان الذي يستحق من الله الاجابة على طلبه هو الذي يعمل بما امره الله في هذه الآيات بحيث لا يتخلف عن مضمونها ابداً وهي ما يلي :

(١) قوله تعالى : (وما ارسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله) اي يطيع الرسول في كل شيء .

(٢) قوله تعالى : (ولو انهم إذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما) . اي من عصى الله في شيء يستغفر ويتوب باسرع وقت .

(٣) قوله تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) . وهو الايمان الظاهري .

(٤) قوله تعالى : (ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) . وهو الايمان القلبي .

(٥) قوله تعالى : (ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خير لهم واشد تثبيتاً) .

فاذا تكاملت هذه الأمور في المؤمن يقول الله حينئذ للمصلي الذي تجمعت فيه هذه الصفات ان لك عند الله ثلاثة امور :

الأول : ماذكره بقوله : (واذاً لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما).

الثاني : ما طلبه من الله في صلاته يجيبه الله عنه ويقول : (ولهديناهم صراطاً مستقيماً) .

الثالث : قوله تعالى : (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا) وهذه الأمور الخمسة التي يستحق المتصف بها ان يحي بالأمور الثلاثة عمدتها واصلها الاساسي هو الامر الأول وهو اطاعة الرسول اطاعة كاملة فاذا تحققت عند احد وطبقها تطبيقاً دقيقاً حقيقياً تبعتها بقيـــة الامور ، فالمؤمن اذا كان ايمانه صادقاً خالصا ينبغي له ان يطيع الرسول في كل امر كلي او جزئي في حياة الرسول وبعد موته في الاصول وفي

الفروع فاذا تحققت اطاعة الرسول في جميع الامور هداه الله الصراط المستقيم صراط الذين انعم عليهم وهم النبيون ومن تبعهم من الأصناف الثلاثة .

تفسير نور الثقلين ج١ ص٤٢٦ رقم الحديث ٣٨٦ عن خضر بن عمرو عن ابي عبد الله (ع) قال سمعته يقول : (المؤمن مؤمنان مؤمن وفى لله بشروطه التي اشترطها عليه فذلك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً وذلك ممن يشفع ولا يشفع له وذلك ممن لا تصيبه اهوال الدنيا ولا اهوال الآخرة) (ومؤمن زلت به قدم فذلك كخامة الزرع (١) كيفما كفأته الريح انكفى وذلك ممن تصيبه اهوال الدنيا واهوال الآخرة ويشفع له وهو على خير) .

وفيه ايضا ص٣٢٧ رقم الحديث ٣٩٣ في قول الله (صراط الذين انعمت عليهم) اي قولوا اهدنا صراط الذين انعمت عليهم بالتوفيق لدينك وطاعتك ، وهم الذين قال الله عز وجل (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً) .

في ظلال القرآن ج٥ ص٣٨ وفي النهاية تجيء تلك اللمسة الشاملة لقلوب المؤمنين تشوقهم الى ذلك الافق الرفيع الحبيب الذي يرقى اليه الطايعون لله والرسول .

(ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما) .

---

(١) الخامة من الزرع ما ينبت على ساق ، او اللطافة الغضة منه او الشجرة الغضة منه .

انه ذلك الافق الوضيء الذي تتشوق اليه الارواح وتهفو اليه القلوب افق الرفقة والصحبة للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وها هو ذا على سموقه وارتفاعه ووضاءته في متناول من يريد فما هي إلا طاعة الله والرسول ، فاذا الافق الشاهق السامي قريب .

ان الطاعة ليست امراوليست تكليفاً في هذه المرة إنما هي وسيلة المتسامي الى ذلك المرتقى واداة الوصول الى ذلك الحمى والتقدمة بين يدي ذلك الامل الحبيب .

ذلك الفضل من الله فهو جزاء لا يستحقه الانسان عن جهد فما يبلغ الجهد وحده ان يكون هذا جزاءه إنما هو الفضل من الله يساعف الجهد ويضاعف الجزاء . انتهى .

تفسير المراغي ج٥ ص٨٤ (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً) اي كل من يطيع الله ورسوله على الوجه المبين في الآيات السالفة ويفعل الاوامر ويترك النواهي يكون يوم القيامة مرافقاً لاقرب عباد الله وارفعهم درجات وهم الاصناف الاربعة الذين ذكروا فى الآية وهم صفوة الله من عباده ، وقد وجدوا في كل امة ، ومن اطاع الله ورسوله من هذه الامة كان منهم وحشر يوم القيامة معهم (وحسن اولئك رفيقاً) اي ان الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين يكون كالرفقاء له من شدة محبتهم إياه وسرورهم برؤيته . ثم ذكر في ص٨٥ ما رواه الطبراني مرفوعا (من احب قوماً حشره الله معهم) . وما اخرجه الشيخان عن انس (المرء مع من احب) ، وآية المحبة الطاعة كما قال تعالى : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) . (ذلك الفضل من الله) اى ان هذاالذي ذكر من الجزاء لمن يطيع الله

والرسول هو الفضل الذي لا يعلوه فضل فان السمو الى احدى تلك المنازل في الدنيا ومرافقة اهلها في الآخرة هو منتهى ما يأمله المرء من السعادة وبه يتفاضل الناس فيفضل بعضهم بعضا انتهى .

تفسير الطبري ج٥ ص١٦٢ القول في تأويل قوله : (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما) ،

يعني بذلك جل ثناؤه ومن يطع الله والرسول بالتسليم لامرهما واخلاص الرضا بحكمهما والانتهاء الى امرهما والانزجار عما نهيا عنه من معصية الله فهو مع الذين انعم الله عليهم بهدايته والتوفيق لطاعته في الدنيا من انبيائه وفي الآخرة اذا دخل الجنة والصديقين وهم جمع صديق .

واختلف في معنى الصديقين فقال بعضهم : الصديقون اتباع الانبياء الذين صدقوهم واتبعوا منهاجهم بعدهم حتى لحقوا بهم انتهى .

قوله تعالى : (ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما) (١) .

اي ان ذلك الجزاء العظيم وهو مرافقة المطيع لله وللرسول لهؤلاء الاصناف من الانبياء ومن بعدهم إنما هو فضل من الله ، فان العبد وان كان مطيعاً ولكن الاطاعة إنما هي بارشاد الله حيث ذكرها في الآيات المتقدمة فهي من فضله ورحمته ، واما الجملة الأخيرة وهي قوله (وكفى بالله عليما) فانها وعد للمحسنين ووعيد للمسيئين ، لان الله عالم بما يعمله العبد وعالم بما ينويه في عمله فلا تخفى عليه خافية .

قال المراغي في تفسيره ج٥ ص٨٦ (وكفى بالله عليما) اي كفى

---

(١) النساء آية ٧٠ .

به سبحانه عليما بالعصاة والمطيعين والمنافقين والمخلصين ومن يصلح لمرافقة هؤلاء ومن لا يصلح فهو لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء . وليحذر المنافقون المراءون لعلهم يتذكرون فيتوبوا وليطمئن المؤمنون الصادقون لعلهم ينشطون ويزدادون فى الطاعة ويبتعدون عن التقصير انتهى .

سبب النزول

قيل انها نزلت في ثوبان مولى رسول الله (ص) وكان شديد الحب لرسول الله (ص) قليل الصبر عنه ، فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه فقال له رسول الله (ص) يا ثوبان ما غير لونك ؟ فقال يا رسول الله مابى من مرض ولا وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فاخاف انى لا اراك هناك لانى عرفت انك ترفع مع النبيين واني ان ادخلت الجنة كنت فى منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة فذاك حين لا اراك ابدا ، فنزلت الآية ثم قال (ص) والذي نفسي بيده لا يؤمنن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين .

مضمون ما استفدناه من الآيات من آية ٥٩ ـ ٧٠ هو ان الايمان الصحيح الذي ينفع صاحبه فى الدنيا والآخرة هو اطاعة الرسول فان الآيات واقوال المفسرين اناطت الايمان باطاعة الرسول وحكمت على المخالف لاوامر الرسول بالكفر او النفاق سواء أكان الخلاف في الاصول ام الفروع في العقائد او الاحكام العملية ، ومن شك في هذا الحكم فليتأمل في الآيات وفي تفاسيرها فقد ذكرت لك اقوال المفسرين تفصيلا فراجعها .

ثم ان اوضح كلمة بينها الرسول لامته بحيث لا يشك في صدورها منه لاتفاق الاصحاب على روايتها ولا يشتبه في معناها لوضوح مضمونها وهي قوله صلى الله عليه وآله (اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابدا) .

هذا حديث متسالم عليه وهو واضح المعنى ، فانظر كيف اكد النبي صلى الله عليه وآله معناه بقوله ابدا ، فان قوله لن تضلوا بعدي كاف للحكم ولكنه اكده بقوله ابدا ، فانا اذا تأملنا في الآيات التي مرت عليك بان الايمان والكفر منوط باطاعة النبي وعصيانه فانظر الى هذا الحديث الذي هو قانون كلي جعله النبي لجميع الامة ، فيلزم على كل فرد من الامة اذا اراد اطاعة النبي ليكون مؤمنا مرضيا عند الله ان يتمسك بهذين الامرين لئلا يكون ضالاً وليتذكر ما يقوله في صلاته كل يوم وليلة (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فهذه الآيات تبين لك سبب هدايتك الى الصراط المستقيم وحشرك مع الذين انعم الله عليهم ، وهذا الحديث يبين لك ان ابتعادك عن المغضوب عليهم وعن الضالين انما يكون بتمسكك بهذين الامرين . نسأله تعالى حسن العاقبة .

قوله تعالى : (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً) (١) .

بعدما ثبت وتحقق من الآيات السابقة أن المؤمن هو الذي يطيع النبي (ص) في جميع اوامره ونواهيه . ولا يتعمد مخالفته في شيء من ذلك ، وان الذي يتعمد المخالفة هو كافر او منافق ، فقد بين الله لنا

(١) النساء آية ٧٦ .

في هذه الآية صفة من صفات المؤمنين وهي ان المؤمن لا يقاتل احدا ولا يعلن حرباً على احد إلا لاجل الله وفي سبيل الله ولنصرة الدين واعلاء كلمة الحق ، ولا يقاتل لاجل حيازة المال واكتساب الغنائم ، ولا لاجل الرياسة والامارة حتى يتأمر على الناس ، ولا لاجل اوتار وعداوات سابقة بينه وبين قوم وقد سنحت له الفرصة بقتالهم ، وانما نيته في قتاله تكون خالصة لله وامتثالاً لأمر الرسول ، واما الكفار فهم خلاف ذلك فانهم يقاتلون لاجل الدنيا من اكتساب مال او حصول على رياسة او هتك اعراض الناس فلا يكون قتالهم الا في سبيل الطاغوت ، وكل امر اذا لم يكن لله وعن امر الله فهو انما يكون في سبيل الطاغوت ومن امر الشيطان ، ثم ان الله يلتفت الى المؤمنين ويخاطبهم ويأمرهم بقوله : (فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفاً) اي بعد ما علمتم أن من يقاتل لاجل الدنيا إنما هو كافر وان قتاله في سبيل الطاغوت وانه هو من اولياء الشيطان فلا تبطئوا عن قتالهم فانكم سوف تغلبونهم لانهم اولياء الشيطان وانتم اولياء الله والله يكون معكم حتما .

تفسير الطبري ج٥ ص١٦٩ القول في تأويل قوله تعالى : (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ، فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا) يعنى تعالى ذكره الذين صدقوا الله ورسوله وايقنوا بموعد الله لاهل الإيمان به (يقاتلون في سبيل الله - يقول في طاعة الله ومنهاج دينه وشريعته التي شرعها لعباده ، (والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) ، يقول والذين جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله وما جاءهم به من عند ربهم يقاتلون في سبيل الطاغوت يعني فى طاعة الشيطان وطريقه ومنهاجه الذي شرعه لأوليائه من اهل الكفر بالله . يقول الله مقويا عزم المؤمنين به من اصحاب

رسوله (ص) ومحرضهم على اعدائه واعداء دينه من اهل الشرك به ، فقاتلوا ايها المؤمنون اولياء الشيطان يعني بذلك الذين يتولونه ويطيعون امره في خلاف طاعة الله والتكذيب به وينصرونه (ان كيد الشيطان كان ضعيفاً) يعني بكيده ما كاد به المؤمنين من تحزيبه اولياءه من الكفار بالله على رسوله واوليائه اهل الايمان به ، يقول فلا تهابوا اولياء الشيطان فانما هم حزبه وانصاره ، وحزب الشيطان اهل وهن وضعف وانما وصفهم جل ثناؤه بالضعف لانهم لا يقاتلون رجاء ثواب ولا يتركون القتال خوف عقاب ، وانما يقاتلون حمية او حسداً للمؤمنين على ماآتاهم الله من فضله ، والمؤمنون يقاتلون من قاتل منهم رجاء العظيم من ثواب الله ، ويترك القتال ان تركه على خوف من وعيد الله فى تركه ، فهو يقاتل على بصيرة بما له عند الله ان قتل وبما له من الغنيمة والظفر ان سلم والكافر يقاتل على حذر من القتل واياس من معاد فهو ذو ضعف وخوف انتهى . وبعد ان اتضح لنا معنى الآية فقد استفدنا منها الامور التالية (١) ان المؤمن لابد ان يكون قتاله لاي احد كان إنما هو في سبيل الله ولنصرة دين الله وعن امر الله ورسوله ، وان لم يكن قتاله في سبيل الله فهو ممن يقاتل في سبيل الطاغوت وهو من اولياء الشيطان ، ويلزمنا على هذا الاصل الاصيل ان ننظر وندقق ونحقق فيمن قاتل وقوتل من هذه الامة بعد ارتحال النبي (ص) فنعرف المقاتلين ايهم قاتل في سبيل الله وايهم قاتل لاجل الامارة واكتساب المال او لاجل دحض الحق او لغير ذلك من الشهوات النفسانية ، فاذا عرفنا الحقيقة يلزمنا ان نتولى المحق ونبرأ من الباطل ، وكل انسان مكلف لذاته ومسؤول عن نفسه ، فلو ان انسانا عرف ان فلانا قاتل في سبيل الله فلم يواله ولم يبرأ عن قاتله فهو معدود من اولياء الشيطان وان تأخر زمانه آلاف

السنين لانه خالف الحق بعد ما عرفه وحققه ولو ان امرءاً عرف ان فلانا قاتل المؤمنين لاجل ان يتأمر عليهم وينهب اموالهم ويقتل المؤمنين فلم يتبرء منه ولم يظهر للناس كفره فهو من اولياء الطاغوت ومن حزب الشيطان ، فليعرف نفسه ولا يخالف القرآن فانه جعلهم قسمين لا ثالث لهما ، مؤمنين يقاتلون في سبيل الله ، وكافرين يقاتلون في سبيل الطاغوت ولكل منهما اتباع واعوان ومحبين .

تنبيه : لما وصلت الى هذا المقام احببت ان انبه القارىء الى ان معرفة المقاتلين في سبيل الله والمقاتلين في سبيل الطاغوت يلزم ان يكون مستندا الى النبي (ص) فلنذكر له ذلك .

مستدرك الصحيحين ج٣ ص١٣٩ روي بسنده عن عقاب بن ثعلبة حدثني ابو ايوب الانصاري في خلافة عمر بن الخطاب قال امر رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن ابي طالب بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين وفي نفس الصحيفة ايضا روى بسنده عن الاصبغ بن نباته عن ابي ايوب الانصاري قال سمعت النبي (ص) يقول لعلي بن ابي طالب تقاتل الناكثين والقاسطين بالطرقات والنهروانات وبالسعفات ، قال ابو ايوب قلت يارسول الله مع من نقاتل هؤلاء الاقوام ؟ قال مع علي بن ابي طالب

تاريخ بغداد للخطيب ج١٣ ص١٨٦ روى بسنده عن علقمة والاسود قالا أتينا ابا ايوب الانصاى عند منصرفه من صفين فقلنا له يا أبا ايوب ان الله اكرمك بنزول محمد (ص) وبمجيء ناقته تفضلا من الله واكراما لك حتى اناخت ببابك دون الناس ثم جئت بسيفك على عاتقك تضرب أهل لا اله إلا الله ، فقال يا هذا ان الرائد لا يكذب اهله وان رسول الله (ص) امرنا بقتال ثلاثة مع علي بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين ، فاما الناكثون فقد قاتلناهم اهل الجمل طلحة والزبير ، واما

القاسطون فهذا منصرفنا من عندهم يعني معاوية وعمراً ، واما المارقون فهم اهل الطرفاوات واهل السعيفات واهل النخيلات واهل النهروانات ، والله ما ادرى اين هم ولكن لابد من قتالهم انشاء الله . قال وسمعت رسول الله (ص) يقول لعمار : (يا عمار تقتلك الفئة الباغية وانت اذ ذاك مع الحق والحق معك ، يا عمار بن ياسر ان رأيت عليا قد سلك واديا وسلك الناس واديا غيره فاسلك مع علي فانه لن يدليك فى ردى ولن يخرجك من هدى ، يا عمار من تقلد سيفا أعان به عليا على عدوه قلده الله يوم القيامة وشاحين من در ، ومن تقلد سيفا اعان به عدو علي عليه قلده الله يوم القيامة وشاحين من نار ، قلنا يا هذا حسبك رحمك الله حسبك رحمك الله) . ايضا تاريخ بغداد للخطيب ج٨ ص٣٤٠ روى بسنده عن خليد العصري قال سمعت امير المؤمنين عليا يقول يوم النهروان امرني رسول الله (ص) بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين .

الدر المنثور ج٦ ص١٨ واخرج ابن مردويه من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن ابي صالح عن جابر بن عبد الله عن النبي (ص) في قوله : (فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون) نزلت في علي بن ابي طالب انه ينتقم من الناكثين والقاسطين بعدى .

وقد تبين للقارىء وعلم علما قطيعا ان قتال علي لهذه الفرق الثلاثة الناكثين والقاسطين والمارقين انما هو بامر من الله ومن رسوله ، والقتال الذى يكون بامر الله والرسول لابد ان يكون في سبيل الله ، والمأمور لابد وان يكون هو واصحابه من المؤمنين كما هو صريح الآية (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله) ولابد من ان يكون الطرف الآخر المقابل للمؤمنين من الكافرين وهم الذين امر الله المؤمنين بقتالهم ولا يخفى

على القارىء الكريم ان الناكثين هم طلحة والزبير واتباعهم ، وان القاسطين هم معاوية وعمرو بن العاص واتباعهم ، وان المارقين هم الخوارج

وبعد هذه الاحاديث والآية هل يمكنك ان تقول ان الناكثين والقاسطين قاتلوا فى سبيل الله ؟ وهل يمكن ان يكون الطرفان قاتلوا في سبيل الله ؟ ! لا يمكن ذلك ابدا ، واذا اردت ان تسمع اعتراف معاوية ان قتاله لم يكن في سبيل الله فاستمع لما يرويه عباس محمود العقاد في كتابه (معاوية بن ابي سفيان في الميزان) .

عن الطبري مسنداً الى سعيد بن سويد ص٧٨ انه قال يعني معاوية (ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلوا ولا لتحجوا ولا لتزكوا وقد عرفت انكم تفعلون ذلك ولكن انما قاتلتكم لأتأمر عليكم) . وقد اتضح لك ان قتال معاوية ليس لله ولا في سبيله وانما هو للدنيا وفي سبيل الدنيا قاتل المؤمنين ، وسبب قتل النفوس الكثيرة البريئة التي من قتل واحدة منها فكانما قتل الناس جميعا ، فاحكم انت على معاوية بما تفهمه من الآية (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) بعد ما عرفت ان علي بن ابي طالب قاتل في سبيل الله بأمر من الله ومن رسوله لا شك ولا شبهة في ذلك كما دلت على ذلك الآية التي نحن في تفسيرها ، والآية التي ذكرناها لك عن الدر المنثور وهي قوله : (فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون) ومع هذا كله نرى بعض الناس اذا كتب اسم معاوية يعقبه بقوله : (رضي الله عنه) ثم ان العقاد بعد ما ذكر كلمة معاوية السابقة علق عليها بقوله : (وهي قولة لم يقلها احد غيره من المطبوعين على الصولة والزعامة لانهم لا يحتاجون اليها ، ولكنه قالها لانها جشمت على صدره لطول ما صبر على مجابهة هذا ومصانعة ذاك وتذكير المذكرين إياه انه لم يملكهم عنوة ولا فتحا بل

ملكهم المشارطة والاتفاق فتنفس عن صدره بتلك الكلمة ولم يحدث من غيره انه شعر بالحاجة الى تنفيس كذلك التنفيس . لقد كان في الرجل مشابهة للجمل الصبور ولم تكن فيه مشابهة للاسد الهصور انتهى كلام العقاد . وانا اخاطب المسلم واقول له هل عرفت معاوية بحقيقته بعد ما عرفت معنى الآية ، وعرفت الذي يقاتل في سبيل الله والذي يقاتل في سبيل الطاغوت وان المؤمن هو المقاتل في سبيل الله والكافر هو المقاتل في سبيل الطاغوت ، واعلم ان الذي يسمي معاوية امير المؤمنين ويترحم عليه اذا ذكره ويطلب له من الله الرضا سوف يحشر تحت امارته يوم القيامة ويكون معه هناك اينما كان فان كان راغبا في ذلك فان الله لا يمنعه عنه .

الامر الثاني من الامور التي استفدناها من الآية هو ان الله قد امر عموم الناس بان يقاتلوا الشخص الذي يقاتل في سبيل الطاغوت فانه بعد ما بين ان المؤمن يقاتل في سبيل الله والكافر يقاتل في سبيل الطاغوت وجه الامر الى العموم فقال تعالى : (فقاتلوا اولياء الشيطان) فان الذي يقاتل في سبيل الطاغوت هو من اولياء الشيطان بلا شك ولا ريب وقد امر الله عباده ان يقاتلوه وحيث ان العباد منهم المطيع ومنهم العاصي فان المطيع هو الذي يمتثل الامر ويقاتله وهذا الامر لا يختص بزمان نزول الآية وانما يعم جميع الازمنة فالواجب على المؤمن المطيع لله في كل زمان ان يقاتل الكافر الذي قاتل في سبيل الطاغوت وكيفية قتاله ان يظهر كفره للناس ويعرفهم انه قاتل في سبيل الطاغوت وقد انكشف لك ايها المسلم من الآية ومن الاحاديث ومن كلمات المؤرخين ان علي بن ابي طالب قاتل في سبيل الله ، وان معاوية قاتل في سبيل الطاغوت كما اعترف هو بنفسه ، فيلزم على المسلم ان يوضح الامر للناس

ولا يكتمه ، هذا هو الامر الموجه اليك من الله بقوله (فقاتلوا اولياء الشيطان) ثم ان الذين يقاتلون في سبيل الطاغوت في هذا العصر اكثر مما كانوا فى العصور السابقة ، واهل هذا العصر اكثر موالاة للشيطان ممن كان قبلهم ، فيكون وجوب قتالهم على المؤمنين المطيعين لامر الله اشد واقوى فلا ينبغي السكوت عنهم والكف عن قتالهم ، وان لم يمكن القتال بالسلاح فليكن باللسان والقلم ، فانه لم يبق من الدين إلا اسمه ، ولا من القرآن الا تلاوته في دور الاذاعة . ويدل على هذا ما ذكره في كنز العمال ج٧ ص٣٠٥ قال عن ابى رافع دخلت على رسول الله (ص) وهو نائم او يوحى اليه واذا حية في جانب البيت فكرهت ان اقتلها واوقظه فاضطجعت بينه وبين الحية فاذا كان شيء كان بي دونه فاستيقظ وهو يتلو هذه الآية (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) فقال الحمد لله فرآني الى جنبه فقال ما اضجعك هنا ؟ قلت : لمكان هذه الحية . قال قم اليها فاقتلها . ثم اخذ بيدي فقال يا ابا رافع سيكون بعدي قوم يقاتلون عليا حقاً على الله جهادهم فمن لم يستطع جهادهم بيده فبلسانه فمن لم يستطع بلسانه فبقلبه ليس وراء ذلك شيء (قال) اخرجه الطبراني وابن مردويه وابو نعيم انتهى ما فى الكنز وهذا هو الدليل على ماقلناه .

يقول صاحب الفضيلة الاستاذ الكبير المراغي في تفسيره لهذه الآية ج٥ ص٩٢ (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) اي ان المؤمنين انما يقاتلون لاجل اعلاء كلمة الحق ، والكافرون انما يقاتلون اتباعا لوسوسة الشيطان وتزيينا للكفر فلو ترك المؤمنون القتال لغلب الطغيان وعم الفساد (ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) .

ثم حث مرة اخرى على القتال وبين لهم ضعف عدوهم فقال : (فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفاً) اي فقاتلوا ايها المؤمنون اولياء الرحمن ـ اولياء الشيطان الذين زين لهم الشيطان بوسوسته وخداعه ان في الظلم واهلاك الحرث والنسل شرفاً لهم ايما شرف . وقد جرت سنة الله ان الحق يعلو والباطل يسفل وان الذي يبقى هو الاصلح والامثل فالذين يقاتلون فى سبيل الله يطلبون ما تقتضيه سنة العمران ، والذين يقاتلون في سبيل الشيطان يطلبون الانتقام والاستعلاء في الارض بغير الحق وتسخير الناس لاغراضهم وشهواتهم (١) وسنن العمران تأبى ذلك فلا يكون لذلك قوة ولا بقاء ـ إلا لنومة اهل الحق عن حقهم ، فاذا هم افاقوا من غفوتهم تغلب الحق على الباطل ورده خاسئاً محسورا إلا ان الذين يقاتلون فى تأييد الحق تتوجه هممهم الى اتمام الاستعداد ويكونون اجدر بالثبات والصبر وفي ذلك من القوة ما ليس في كثرة العدد والعدد .

وهذا في الحروب الدينية التي قد تركها المسلمون منذ ازمان طويلة ولو وجدت فى الارض حكومة اسلامية تقيم القرآن وتحوط الدين واهله بما اوجبه من اعداد العدة للحرب لا تخذها اهل المدنية قدوة لهم واماما فى اعمالهم انتهى كلام المراغي . فقد نبه هذا العلامة الكبير عموم المسلمين الى ان معاوية وامثاله انما يقاتلون فى سبيل الشيطان لانهم يطلبون الانتقام والاستعلاء في الارض بغير الحق وتسخير الناس لاغراضهم وشهواتهم كما نقل لك العقاد كلامه المتقدم .

(١) كما قال معاوية (ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلوا ولا لتحجوا ولا لتزكوا وقد عرفت انكم تفعلون ذلك ولكن انما قاتلتكم لأتأمر عليكم .

تفسير الفخر الرازي ج١٠ ص١٨٣ قوله تعالى : (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا) واعلم انه تعالى لما بين وجوب الجهاد بين انه لا عبرة بصورة الجهاد بل العبرة بالقصد والداعي فالمؤمنون يقاتلون لغرض نصرة دين الله واعلاء كلمته ، والكافرون يقاتلون في سبيل الطاغوت ، وهذه الآية كالدلالة على ان كل من كان غرضه في فعله رضا غير الله فهو في سبيل الطاغوت لانه تعالى لما ذكر هذه القسمة وهي ان القتال اما ان يكون في سبيل الله او في سبيل الطاغوت وجب ان يكون ما سوى الله طاغوتا ، ثم انه تعالى امر المقاتلين في سبيل الله بان يقاتلوا اولياء الشيطان وبين ان كيد الشيطان كان ضعيفا لان الله ينصر اولياءه والشيطان ينصر اولياءه ولا شك ان نصرة الشيطان لاوليائه اضعف من نصرة الله لاوليائه ألا ترى ان اهل الخير والدين يبقى ذكرهم الجميل على وجه الدهر وان كانوا حال حياتهم في غاية الفقر والذلة ، واما الملوك والجبابرة فاذا ماتوا انقرض اثرهم ولا يبقى في الدنيا رسمهم ولا ظلمهم . انتهى محل الحاجة من كلام الرازي .

هلموا ايها الاخوان لننظر ان قتال معاوية وطلحة والزبير لعلي بن ابي طالب هل كان في سبيل الله ؟ وهل يمكن ان نقول ان الرسول امرهم بحربه بعد ما ذكرنا من الروايات ان الرسول هو الذي امر عليا بحربهم وقتالهم ؟ فلا يمكن ان يأمرهم بقتاله فلا يكون قتالهم في سبيل الله ، وقد سمعت ما قاله الفخر الرازي من ان كل قتال لم يكن في سبيل الله وجب ان يكون طاغوتا ، فلا تصر على ما انت عليه فان الامر دائر بين الايمان والكفر فافهم واغتنم . في ظلال القرآن ج٥ ص٤٤ قال بعد ماشرح قوله تعالى (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من

الرجال والنساء والولدان) الخ ثم لمسة نفسية اخرى لا تقل عن هذه الاولى .

ان اقتناع المقاتل بانه يقاتل للحق ولغاية نبيلة وبانه عدوه معتد او يبتغي غاية خسيسة عامل قوي في رفع قواه المعنوية وفي اقدامه على التضحية باطمئنان ، فاذا اضيف الى هذا الاقتناع انه ليس على الحق فقط انما هو كذلك اقوى وسنده اكبر وذخيرته اوفر ، وان عدوه موهون القوى منخوب القلب مستند الى هواه ، فان هذه الروح المعنوية ترتفع الى ذروتها بهذا الايحاء ، فاذا كان هذا الايحاء قائما على حقيقته في الواقع القريب وفي حساب الكون البعيد فان النصر مقطوع به للمجاهدين المحقين الاقوياء وكذلك تعرض القرآن موقف الذين آمنوا واعدائهم في هذا السياق ، (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا).

وفي لحظة ترتسم الاهداف وتتضح الخطوط في الميدان ويقف الذين آمنوا تحت راية الحق المطلق (يقاتلون في سبيل الله) لاقرار شريعته وتحقيق عدله الذي مر وصفه واداء الامانة التي بدأ بها السياق كله (١)

---

(١) يقصد بذلك آية ٥٨ التي تقدم شرحها في ص١٧٢ وهي قوله تعالى : (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها) اذ ان اغلب المفسرين قالوا بان الامر موجه الى اولى الامر الذين اودع الله الاحكام عندهم وامر الناس باطاعتهم فان هؤلاء هم الذين يقاتلون في سبيل الله وهم المؤمنون ، والذين يقابلونهم ويقاتلونهم هم اولياء الشيطان الذين يقاتلون في سبيل الطاغوت وهم الكافرون ، وان الله قد امر عباده بقتال اولياء الشيطان فكل من يرى في نفسه القدرة والكفاءة على قتالهم بالسلاح او باليد او باللسان او بالقلم يجب عليه امتثال امر الله وقد اتضح =

ويقف الذين كفروا تحت راية الباطل المطلق (يقاتلون في سبيل الطاغوت لتغليب الباطل على الحق والطغيان على العدل معرضين عن الامانة التي ناطها الله بالانسان في الارض . . . يقف المسلمون مستندين الى قوة الله وحمايته ورعايته ، ويقف الكافرون ووليهم الشيطان ، فاين قوة الشيطان من قوة الله واين كيد الشيطان من تدبير الله (فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفاً) .

ان مصير المعركة معروف ونهايتها مكشوفة فما على المؤمن الا ان يؤدي واجبه والنصر مضمون تشهد به جميع الملابسات والظروف انتهى فعلى المؤمن ان يعرف واجبه لكي يؤديه .

قوله تعالى : (من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا) (١) .

هذه الآية الشريفة كبقية الآيات الكثيرة الموجودة في القرآن تبين لنا ان اطاعة الله انما تتحقق وتحصل باطاعة الرسول ، وان من لم يطع الرسول فهو غير مطيع لله وذلك لان اوامر النبي (ص) انما هي من الله وبامره وهو الذي يأمر الرسول بان يبين لامته الواجبات والمحرمات فهو ينطق عن ارادة الله ويعرفنا اوامره ونواهيه وليس له امر او نهي

= من الآية ان منهم معاوية وطلحة والزبير لان علياً كان قتاله لهم في سبيل الله ، إذ كان بامر رسول الله ، فلا يمكن ان يكون قتالهم له في سبيل الله ايضا ولا ثالث للقسمين ، فيلزم ان يكون قتالهم في سبيل الطاغوت وان يكونوا هم من اولياء الشيطان . هذا ما اراه واجبا علي ان أقوله في تفسير الآية واما غيري ممن يكتب في تفسيرها فعليه ان يؤدي مايراه واجبا عليه والله سائلنا يوم القيامة عن علمنا وعن عملنا وعن نياتنا) .

(١) النساء آية ٨٠ .

من نفسه . فيكون كل ما يأمر به او ينهى عنه إنما هو امر الله ونهيه والرسول واسطة بين الله وبين عباده ، فبعد ما تعتقد الامة بصدقه وتعترف برسالته يجب عليها ان تطيعه في جميع الامر ، فمن خالفه في ذلك فهو غير مصدق بنبوته ، فالموحد لله الذي يعتقد بان اطاعة الله هي التي توجب له النجاة والفوز بالجنان وان عصيانه يوجب له البعد عن الله والعذاب فهذا العبد ينبغي له ان يطيع الرسول الذي قد ثبتت رسالته لانه هو المبلغ عن الله ، اما اذا اعتقد بالوحدانية وبوجوب اطاعة الله وامتثال اوامره واعتقد ايضا بصدق الرسول وثبوت رسالته فاطاعه في بعض الاوامر وخالفه في بعضها فان هذا الشخص عند التحليل والتحقيق هو غير مصدق بالنبي او غير مؤمن بالله . هذا في وجود النبي (ص) واما اذا اخبر النبي (ص) امته بانه سيرتحل عنهم الى دار القرار وامرهم بشيء اذا هم تمسكوا به سوف يبقون على ما هم عليه من الايمان ، واذا انفكوا عنه وتركوه وضيعوه فسوف يضلوا عما كانوا عليه من الايمان ، فالمؤمن الحقيقي سوف يطيع النبي (ص) فيما امره به ، واما الضعيف الايمان او المشكك او الذي يرتد بعد الايمان فانه سيترك وصية النبي (ص) ولا يعمل بها وهذا التقرير واضح مستفاد من الآية

ومن الامور المحققة التي أوصى بها النبي (ص) امته باتفاق جميع اصحابه قوله صلى الله عليه وآله (انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي لن تضلوا ان تمسكتم بهما فانهما لا يفترقان حتى يردا علي الحوض) .

ايها المسلم انك في صلاتك تسأل الله ان يهديك الى الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم وقد ارشدك الله الى ذلك في آية ٦٩ من سورة النساء التي تقدم شرحها في ص ٢٠٢) وكذلك تسأل الله ان

يجنبك ويباعدك عن طريق المغضوب عليهم وعن طريق الضالين ، وهذا النبي (ص) الشفيق عليك الرؤف بك يرشدك ويقول لك اذا انت تمسكت بهذين الامرين (الكتاب والعترة لن تكون من الضالين ، فاذا كنت صادقاً في طلبك من الله ان يبعدك عنهم فتمسك بالامرين ، وان لم تتمسك بهما تبين عدم صدقك في طلبك وانكشف عدم اطاعتك للرسول وبذلك يثبت عدم اطاعتك لله ، فان (من يطع الرسول فقد اطاع الله) .

هذه هي الحقيقة فان كنت تريدها فتمسك بها والا فان امور الدين ليست كامور الدنيا ، فان المرء المنطوي على الغش والخبث اذا اراد ان يتعامل مع شخص آخر في بيع او شراء نراه يخادع ويتقلب في الكلام ويعترف ثم ينكر ، وان اغلب الناس يظن ان امور الدين كامور الدنيا فيقول بلسانه انا مؤمن وهو يعمل عمل الكافر ، ويظهر التقى للناس وهو يعمل عمل الفاسقين ، ويعترف ظاهرا بالشهادتين وهو يخالف اوامر النبي في الاصول والفروع ، وإلا فان النبي امرنا بشيء لو تمسكنا به لا يفوتنا حكم واحد من احكام الدين ، امرنا بالتمسك بالكتاب والعترة ، اما الكتاب فان فيه علم ما كان وما يكون حتى ارش الخدش ، واما العترة فهم الراسخون في العلم الذين اخبر الله عنهم ان عندهم علم الكتاب .

وبعد هذا لا يحتاج المسلم الى شيء ابدا ، فلو ان امة النبي امتثلت امره وتمسكت بهذين الامرين تمسكا صحيحا لما كانت تحتاج الى شيء ولما وقع الخلاف بينها ولكن كما ذكرت لك قبل اسطر ان اغلب الناس يظنون ان امور الدين كامور الدنيا يكون فيها الخداع والمكر والحيلة والغش وامثال ذلك .

ايها المسلم ان الذي يطيع الرسول في بعض الامور ويخالفه ويعصيه في بعضها لا يسمى مطيعاً ، وان المطيع هو الذي يطيعه في جميع الامور كلية وجزئية في حياته وبعد وفاته فيكون قوله تعالى (من يطع الرسول فقد اطاع الله) معناه من اطاع الرسول في جميع ما امر به من الواجبات وجميع ما نهى عنه من المحرمات فهو مطيع لله ، ومن عصى الرسول وخالف امره في شيء من الاشياء وفي حكم من الأحكام فهو مخالف للرسول ولله ، اما اذا كان هذا الشيء الذي خالف به الرسول وعصاه يشمل جميع الاحكام يكون المخالف فيه مخالفاً في جميع الاحكام فقول الرسول (ص) : (ايها الناس اني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي) فان خالف المسلم رسوله في هذه الجملة التي تشمل جميع الاحكام فقد خالف في الكل .

قال الفخر الرازي في تفسيره الكبير ج١٠ ص١٩٣ .

(المسألة الاولى) قوله تعالى : (من يطع الرسول فقد اطاع الله) من اقوى الدلائل على انه معصوم في جميع الاوامر والنواهي وفى كل ما يبلغه عن الله لانه لو اخطأ في شيء منها لم تكن طاعته طاعة الله ، وأيضاً وجب ان يكون معصوماً في جميع افعاله لانه تعالى امر بمتابعته في قوله (فاتبعوه) والمتابعة عبارة عن الاتيان بمثل فعل الغير لاجل انه فعل ذلك الغير فكان الآتي بمثل ذلك الفعل مطيعا لله في قوله (فاتبعوه) فثبت ان الانقياد له في جميع اقواله وفي جميع افعاله إلا ماخصه الدليل طاعة لله وانقياداً لحكم الله .

(المسألة الثانية) قال الشافعي رضي الله عنه في كتاب الرسالة في باب فرض الطاعة للرسول ان قوله تعالى (من يطع الرسول فقد اطاع الله) يدل على ان كل تكليف كلف الله به عباده في باب الوضوء

والصلاة والزكاة والصوم والحج وسائر الابواب في القرآن ، ولم يكن ذلك التكليف مبيناً في القرآن فحينئذ لا سبيل لنـــا الى القيام بتلك التكاليف إلا ببيان الرسول ، واذا كان الامر كذلك لزم القول بان طاعة الرسول عين طاعة الله هذا معنى كلام الشافعي انتهى كلام الرازي

وقد اتضح من كلام الرازي ومما نقله من كلام الشافعي ان المقصود من الآية الشريفة كما هو صريح الآية بان الانسان لا يتحقق ايمانه إلا أن يكون مطيعا للرسول الذي باطاعته تتحقق اطاعة الله ، ومن لم يطع الرسول فهو ضال ، ومن يريد أن يتجنب الضلال ويتباعد عنه بان يكون من المؤمنين يلزمه اطاعة الرسول في هذه الجملة الجامعة لجميع الاحكام وهي قوله صلى الله عليه وآله : (اني تارك فيكم الثقلين فانكم لن تضلوا ما ان تمسكتم بهما كتاب الله وعترتي اهل بيتي) ، فان الانسان المسلم في كل حكم من الاحكام سواء أكانت من الاصول ام من الفروع من احكام الدين او من احكام الدنيا يلزمه ان يأخذ الحكم الحقيقي الذى يرضى به الله والرسول من الكتاب ومن العترة ، وان لم يأخذه من هذين المصدرين فهو ضال بصريح عبارة الرسول كمـا عرفك الرازي والشافعي فتأمل فى كلامهما ، وقبل النظر الى كلامهما تأمل في كلمة الرسول ، وقبل ذلك تأمل في الآية الشريفة (من يطع الرسول فقد اطاع الله) فان كنت صادقاً في قولك عند صلاتك (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فامتثل امر الله وامتثل امر الرسول واعمل بما تكلمت به ولا تكذب الله ورسوله ولا تكذب نفسك والسلام على من اتبع الهدى .

فهذه الآية الشريفة مركبة من جملتين : الجملة الاولى تبين حقيقة المؤمن تفصيلا بيّناً على اختصارها وقلة كلماتها بحيث لم تبق شيئاً من

احوال المؤمن ومن افعاله واقواله الا بينته باوضح بيان ، ففي كل حركة وسكون وتكلم وسكوت وقيام وقعود واخذ وعطاء ومدح احد او ذمه ان كان مطيعا للرسول فهو مطيع لله وهو من المؤمنين . وان لم يكن مطيعا للرسول فهو غير مطيع لله .

واما الجملة الثانية وهي قوله تعالى : (ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظاً) . فان فيها تهديد ووعيد شديد يعرفه الذي يحسن اللغة العربية ، ومعنى الجملة إن الذي ابى وامتنع عن اطاعة الرسول ولم يمتثل أوامره ولم ينته عن نواهيه فيشمل من كان كافراً او مشركا ومن أظهر الايمان وابطن الكفر وهو المنافق ، أو آمن بلسانه ولم يؤمن قلبه ، أو آمن واتبع هواه ولم يطبق احكام الدين وهو الفاسق أو امن بالنبي وعمل بأوامره أيام حياته ولكن بعد موته كان كما أخبر الله بقوله : (أفأن مات أو قتل إنقلبتم على أعقابكم) ومجمل القول انه لم يطع الرسول بأي نوع وفي أي وقت وبأي أمر كان ، فان جميع هذه الأنواع والأقسام يسمى متولياً فالله يخاطب نبيه ويقول له : (فما أرسلناك عليهم حفيظاً) أي ان الله لا يسألك عن عصيانهم وعن عدم اطاعة امرك وهو عالم بهم وهو قادر على جزائهم فان مرجعهم إليه وجزاؤهم عليه فليحذر المسلم مخالفة الرسول وليكن مطيعاً له في جميع الامور ، فان المخالفة تتحقق في كل واحد من هذه الامور التي تقدم ذكرها ويكفي تحققها في مخالفة واحد منها والطاعة لا تتحقق إلا بطاعته في جميع الامور ولا يمكن أن تؤلف كلمة لقاعدة تعم جميع الامور الدينية اخصر من كلمة النبي صلى الله عليه وآله (اني تارك فيكم ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي) فانها على إختصارها تكفي المسلم والمؤمن للعمل بها في كل اموره الدنيوية والأخروية وتكيفه عذراً

وحجة بين يدي الله يوم يوقف للحساب ، فلا ينبغي لمن يحتاط لدينه أن يغفل عنها ويهملها ويتركها كان لم يقلها النبي مع ما فيها من الشدة والرهبة والوعيد حيث جعل النبي الضلال في تركها وعدم التمسك بها فهي ابلغ كلمة حفظت للنبي (ص) ، وهي اخصر كلمة تبين لك حكمك في كل شيء فهي أوسع كلمة معنىً وأعم كلمة دلالة لكل شيء ، لقد عرفت أن الذي يتولى عن طاعة الرسول على انواع وأقسام ، وقد اشار الله إلى نوع منهم وهم المنافقون لانهم أكثر ضرراً على المؤمنين من غيرهم فقال تعالى .

(ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيّت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون) (١) .

لقد عرفت من الآية السابقة أن المؤمن بالله المصدق برسوله يلزمه أن يطيع الرسول في كل شيء ولا يخالفه في شيء أبداً فمن خالف في حكم واحد فقد أخلّ في صدق إسم المؤمن عليه إلا أن يتوب ويرجع أو تكون مخالفته عن غير عمد فيتدارك أمره ، وأما هذه الطائفة التي ذكرها الله في هذه الآية فانهم غير مؤمنين ونياتهم سيئة خبيثة من أول الأمر وإنما يحضرون عند النبي أما لاجل المحافظة على نفوسهم وأموالهم وأما لاجل أن يطلعوا على ما يقوله النبي وما يأمر حتى يعملوا على خلافه وان أمر هؤلاء القوم لعجيب غريب فانا على ما نرى بهم من المكر والحيلة والشيطنة والالتفات الى دقائق الامور نراهم من جهة اخرى لا يفقهون ولا يعقلون فان الوحي ينزل على النبي ويخبره عما إنطوت عليه ضمائرهم وعما يبيتونه من السوء والخلاف ومع ذلك لا يصدقون ولا يعتقدون بالحق فهم على احوال مختلفة ولعل النبي كان يوعز اليهم بعض

(١) النساء آية ٨١ .

الأوقات ويخبرهم عما يضمرونه فيظهرون التوبة وهم باقون على ما هم عليه إن هؤلاء القوم الذين يخالف باطنهم ظاهرهم كانوا في زمن وجود النبي أقل ضرراً على المسلمين لان الوحي كان ينزل على النبي (ص) ويخبره بهم وكان يعرفهم باسمائهم واعيانهم فلا يفسح لهم المجال في التصرف بالاقوال والافعال ولكن ضررهم على المسلمين وعلى الدين في هذا الزمان كثير ولا يمكن الاحتراز منه والتوقي عنه فانهم يختلطون مع المؤمنين ويجتمعون في مجالسهم وقد يؤخذ بآرائهم وأفكارهم كل هذا حيث ان المسلمين لم يعملوا على طبق قانون القرآن والسنة ولذا تراهم ينخدعون بالاعداء ولو انهم تمسكوا بما أمرهم به النبي (ص) من الكتاب والعترة وساروا في الطريق المستقيم لما وقعوا في هذه المهالك .

إن هذه الاحزاب الملحدة التي حدثت في هذا العصر كلها تبيت للمسلمين ما يقضي عليهم ويشتت امرهم ويفرق جمعهم وقد بلغوا الكثير مما بيتوه والمسلمون في غفلة عن ذلك لاهون عنه اذ لا يهمهم امر الدين

طريق الإحتراز عن كيد الأعداء بما أرشدنا الله إليه

ان الله لما بين للنبي (ص) بان هناك طائفة بين المسلمين يظهرون الرضا والطاعة لامر الدين والطاعة لما يقوله الله والرسول ولكن قلوبهم منطوية على خلاف ذلك ، وليس المقصود من الخلاف هو عدم العمل وعدم الرضا بما يقوله الله والرسول فحسب بل انهم يدبرون امورا فيما بينهم سراً وتحت الخفاء وتحت ستار الظلمة في الامكنة التي لا يحضرها المسلمون وبهذه الامور التي يبيتونها يقلبون نظام الاسلام ويرجعون ضعفاء المسلمين الى الالحاد والكفر والنفاق بل الى التجرد من الدين

والرجوع الى التحلل الجاهلي ، وان النبي (ص) يعرف اولئك الاشخاص باعيانهم ويعرف ما يبيتون من امور هدامة فيتحرز منها ويأمر المسلمين بالتحرز منها ، ولما اراد ان يحفظ امته من كيد الاعداء بين لهم قاعدة قليلة الالفاظ كثيرة المعاني واسعة الاحكام شاملة لكل امر يمكن ان يتدخل به العدو وامرهم بالتمسك بها لتحفظهم مما يبيت لهم عدوهم من ايقاعهم في الضلال وردهم الى الجهل وهذه القاعدة هي قوله (ص) (اني تارك فيكم ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي ابداً ... الخ) كما تقدم ذكرها مراراً عديدة وان الله لما يعلمه من الامة من انهم لا يطبقون امر النبي (ص) في التمسك بهذه القاعدة ارشدهم الى شيء آخر يتحرزون به عن كيد العدو فيما يبيته لهم بقوله تعالى : (فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا) مضمون ما تفيده الآية هو انك ايها المسلم اذا اردت ان تكون مؤمناً حقيقيا مقبولا عند الله وعند الرسول فينبغي لك ان تطيع الرسول فيما يأمرك به من التمسك بالكتاب وبمن يعرف تأويله وتفسيره وهم العترة ، فانك اذا تمسكت بهما لا تقع في كيد الاعداء ولا تضل ابداً ، لان الطريق الذى يرشدك اليه الكتاب مع تأويل الراسخين وهم العترة وهو طريق مستقيم ليس فيه ميل ولا عوج ، اما اذا كنت غير عامل بأمر النبي واردت ان لا تقع في كيد الاعداء لان عندك شيئاً من الايمان ولا تريد ان تكون من الضالين فعليك بأمرين آخرين إن انت تمسكت بهما نجوت من كيد عدوك .

الاول قوله تعالى : (فاعرض عنهم) ان الاعراض عنهم يعني عدم عتابهم وعدم توبيخهم وعدم مؤاخذتهم وعدم الالتفات الى الامر الذى دبروه وبيتوه وهذا الاعراض ينبيء عن عدم الالتفات اليهم وعدم عدّهم من المؤمنين بل عدم عدهم من البشر الذين يعتد بهم ، وانهم لا اهمية لهم في المجتمع

وهذا مما يحقرهم في انفسهم ويصغر قدرهم فانهم قـد اهتموا وفكروا ودبروا واستتروا عن الناس وتكتموا في الامر وتشاوروا وقلبوا الامور ثم استقرّ رأيهم على هذا الامر وتيقنوا انهم سيقلبون به نظام الدين ويفرقون به جمع المسلمين ، فاذا بالمسلمين غير ملتفتين اليه ولا يعيرونه اى اهتمـام وهذا مما يحقرهم في نفوسهم ويجعلهم اذلاء خاسئين .

الامر الثاني الذي ارشدنا الله اليه مما نحترز به عن كيد الاعداء قوله تعالى : (وتوكل الله) والمراد من التوكل على الله هو ان يفوض امره اليه وان يثق به فى جميع الامور ، فان الله يكفيه شر عدوه وينتقم له من عدوه ، وقد عرّف التوكل بتعاريف عديدة .

فعن المحقق الطوسي قال المراد بالتوكل ان يكل العبد جميع ما يصدر عنه ويرد عليه الى الله تعالى لعلمه بانه اقوى واقدر ويصنع ما قدر عليه على وجه احسن واكمل ثم يرضى بما فعل ، والعبد مع ذلك يسعى ويجتهد فيما وكله اليه ويعد نفسه وقدرته وعمله وارادته من الاسباب والشروط المخصصة لتعلق قدرته تعالى وارادته بمـا صنعه بالنسبة اليه انتهى .

وقال المحقق المجلسي ثم ان التوكل ليس معناه ترك السعى في الامور الضرورية وعدم الحذر عن الامور المحذورة بالكلية ، بل لابد من التوسل بالوسائل والاسباب على ما ورد في الشريعة من غير حرص ومبالغة فيه ومع ذلك لا يعتمد على سعيه وما يحصله من الاسباب بل يعتمد على مسبب الاسباب .

وروي في حديث عن النبي انه قال لجبرئيل ومـا التوكل على الله عز وجل ؟ فقال : العلم بان المخلوق لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع واستعمال اليأس من الخلق ، فاذا كان العبد كذلك لم يعمل لاحد

سوى الله ولم يرج ولم يخف سوى الله ولم يطمع في احد سوى الله ، فهذا هو التوكل .

وروي عن الحسن بن الجهم قال سألت الرضا (ع) فقلت له : جعلت فداك ما حد التوكل ؟ فقال لي : ان لا تخف مع الله احدا ، قال : قلت فما حد التواضع ؟ قال : ان تعطى الناس من نفسك ماتحب ان يعطوك مثله ، قال : قلت جعلت فداك اشتهى ان اعلم كيف انا عندك فقال انظر كيف انا عندك .

ثم لا يخفى عليك ان هذين الامرين الذين بينهما الله لنا لكى نتحرز بهما عن كيد الاعداء لا يكفى احدهما عن الآخر بل لابد من الجمع بينهما مضافا الى الرجوع الى اطاعة الله باطاعة الرسول ، وذلك بان يكون الانسان مؤمناً حقيقياً جامعاً لشروط الايمان التي يجمعها شيء واحد وهو اطاعة الرسول ، فالانسان اذا بقى مدة من الزمان غير مطيع للرسول على ما يريد الله منه من كيفية الاطاعة ثم التفت الى نفسه ورأى اعداءه قد تغلبوا عليه أو اوشكوا على التغلب عليه واراد ان ينجيه الله منهم ، عليه ان يعرض عنهم ويتوكل على الله ويعمل باوامره بان يطيع الرسول اطاعة تكون عين اطاعة الله ، فحينئذ ينجيه الله من كيد الاعداء ويخلصه منهم فانه يقول بعد ذكر الامرين (وكفى بالله وكيلا) اي ان الله يكفى من توكل عليه ولا يسلط عليه عدوه ، فقد روي عن ابي عبد الله الصادق (ع) قال : اوحى الله تعالى الى داود (مااعتصم بي عبد من عبادى دون احد من خلقي عرفت ذلك من نيته ثم تكيده السموات والارض ومن فيهن إلا جعلت له المخرج من بينهن ، وعن عبد الله بن سنان عن ابي عبد الله (ع) قال أيما عبد أقبل قبل مايحب الله عز وجل اقبل الله قبل ما يحب ، ومن اعتصم بالله عصمه الله ، ومن

اقبل الله قبله وعصمه لم يبال لو سقطت السماء على الارض أو كانت نازلة نزلت على اهل الارض فشملتهم بلية كان فى حزب الله بالتقوى من كل بلية . أليس الله تعالى يقول (ان المتقين في مقام امين) .

وعن بيان التنزيل لابن شهراشوب قال امر نمرود بجمع الحطب في سواد الكوفة عند نهر كوثا من قرية قطنانا واوقد النار فعجزوا عن رمي ابراهيم (ع) فعمل لهم ابليس لعنه الله المنجنيق فرمى به فتلقاه جبرئيل فى الهواء ، فقال هل لك من حاجة ؟ فقال أما اليك فلا ، حسبي الله ونعم الوكيل ، فاستقبله ميكائيل فقال ان اردت ان اخمد النار فان خزائن الامطار والمياه بيدي ، فقال لا اريد ، واتاه ملك الريح فقال لو شئت طيرت النار فقال لا اريد ، فقال جبرئيل فاسأل الله فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي .

وعن كنز الكراجكي قال لقمان لابنه يا بنيّ ثق بالله عز وجل ثم سل في الناس هل من احد وثق بالله فلم ينجه ، يا بني توكل على الله ثم سل في الناس من ذا الذي توكل على الله فلم يكفه ، يابنيّ احسن الظن بالله ثم سل في الناس من ذا الذي احسن الظن بالله فلم يكن عند حسن ظنه . وعن ارشاد القلوب روي عن امير المؤمنين (ع) قال ان النبي (ص) سأل ربه سبحانه ليلة المعراج فقال يارب اي الاعمال افضل ؟ فقال الله عز وجل ليس شيء عندي افضل من التوكل علي والرضا بما قسمت .

إن هذا التوكل الذي عرّف بهذه التعاريف لا يتحقق الا من مؤمن عارف قوي الايمان مطيع لله ولرسوله ، فلابد وان يكون هذا ملتفتاً الى ما حل به او الى ما يبيتونه له اعداء الدين من المكر به وسلب دينه وجره الى الالحاد والتحلل وهو لا يريد ان يخرج من الدين وحينئذ

لا يجد ملجأ الا الى الرجوع الى الدين فيتوكل على الله ويطيع الرسول ويعمل بما يأمره به من اوامر الله ونواهيه ، وليس لمن يريد ذلك الا التمسك بما امره النبي به وهو الكتاب والعترة ، فان الكتاب فيه الدين الخالص وفيه حكم كل شيء والعترة هي التي تعرف معناه وتأويله وهم الراسخون فى العلم الذين تقدم ذكرهم في تفسير الآية ، فاذا حسنت النية وصحت السريرة وتوكل على الله يكفيه الله كل شيء كما قال تعالى (ان المتقين في مقام امين) . ان هذا الحكم الذي ذكر فى آية (٨٠ و ٨١) يخص كل انسان بذاته ولا يرتبط بغيره من أب او أم او أخ او رئيس او قرابة وانما تهمه نفسه الخاصة فعليه ان ينظر لما يجب عليه اولا وبالذات وهي طاعة الرسول حتى يكون بطاعته قد اطاع الله ، واياه ان يتولى عن ذلك ولعل اتيان صيغة المفرد في الآيتين يدل ذلك ويشير اليه قوله تعالى .

(افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لو وجدوا اختلافا كثيرا) (١) .

هذا انكار على كل من لم يطع الرسول ولم يمتثل اوامره ونواهيه مهما كان السبب في ذلك ، اما لعدم التصديق به او لضعف ايمانه او لكونه منافقاً او لاشتباه الامر عليه من جهة عدم التفكير والتروي في الاوامر حتى وقع في الجهل والخلط ، او لاتباعه لغيره كتقليد الاعمى وعلى كل حال فهو غير معذور ، وذلك لعدم التدبر ، فالله تعالى ينبه عباده رحمة لهم ورأفة بهم ويقول لهم ان كل فرد منكم له عقل يميز به الحسن من القبيح وقد جاءكم الرسول بقرآن من عند الله وان العقل يحكم عليكم بالتدبر في هذا القرآن والنظر في احكامه ، فانه ان كان

---

(١) النساء آية ٨٢ .

من عند الله لا يوجد فيه اختلاف في الاحكام والاخبار ، واذا كان من عند غير الله يوجد فيه اختلاف كثير فانتم عليكم بالتدبر قبل ان تقعوا في مخالفة الرسول ، لانكم اذا خالفتم وكان القرآن من الله يصبكم العذاب بسبب مخالفتكم ، فلا ينبغي المبادرة في المخالفة ، وكل فريق يخالف بسبب من الاسباب المتقدم ذكرها مع كون القرآن من عند الله ويعرف ذلك بالتدبر ولا يخفى على العاقل ان هذه الآية حجة بالغة على جميع البشر مهما كان دينهم وعقيدتهم وباي زمان او مكان كانوا ومهما كانت لغتهم ، فان العقلاء من اهل هذا العصر قد توصلوا الى اختراعات عظيمة كل ذلك بافكارهم وعقولهم وقد اقتبسوا من الآيات القرآنية علوما جمة واعترفوا ان البشر عاجز عن ادراك مثلها ومع ذلك لا يعيرون اهمية لما يدعو اليه هذا القرآن من التوحيد ونبوة من انزل عليه فهم يقتبسون منه ما ينفعهم لدنياهم ويتركون ما يدعو الى اخراهم . امـا العرب من البشر ومن يعرف لغة القرآن فالحجة عليهم اكبر والعقاب على ترك القرآن اعظم . فان جميع البلغاء والفصحاء والخطباء والمفوهين من يوم نزوله الى هذا اليوم ما قدروا ان يأتوا بآية واحدة مثله وما قدروا ان يأخذوا عليه خطأ واحداً من اختلاف في قول او فعل او غير ذلك ممـا يؤخذ على كل احد فيما يلقيه من الكلام ، فاللائمة على العرب اعظم واكثر واما من اظهر الايمان به والتصديق بمن انزل عليه ثم خالفه في العمل فاستحل ما حرمه القرآن وحرم ما اباحه فان العذاب عليه عظيم والوزر في مخالفته كبير ، فان هذه الامم المسلمة لو كان عملها على طبق القرآن لسادت الامم وملكت العالم ولأسلمت امم كثيرة بسبب اعمالها الصحيحة المطابقة للقرآن .

يقول الاستاذ الكبير الشيخ مصطفى المراغي في تفسيره ج٥ ص٩٣

ولو وجدت في الارض حكومة اسلامية تقيم القرآن وتحوط الدين واهله بمـا اوجبه من اعداد العدة للحرب لاتخذها اهل المدنية قدوة لهم واماما في اعمالهم انتهى .

تفسير الفخر الرازي الكبير ج١٠ ص١٩٦ .

(المسألة الثانية) اعلم ان ظاهر الآية يدل على انه تعالى احتج بالقرآن على صحة نبوة محمد (ص) اذ لو لم تحمل الآية على ذلك لم يبق لها تعلق بما قبلها البتة، والعلماء قالوا دلالة القرآن على صدق محمد صلى الله عليه وآله من ثلاثة اوجه . . . احدها . . . فصاحته . . وثانيها اشتمالها على الاخبار عن الغيوب . . . والثالث سلامته عن الاختلاف وهذا هو المذكور في هذه الآية . . . ثم القائلون بهذا القول ذكروا في تفسير سلامته عن الاختلاف ثلاثة اوجه :

الاول : قـال ابو بكر الاصم : معناه ان هؤلاء المنافقين كـانوا يتواطؤن في السر على انواع كثيرة من المكر والكيد والله تعالى كـان يطلع الرسول عليه الصلاة والسلام على تلك الاحوال حالاً فحالاً ويخبره عنها على سبيل التفصيل ومـا كانوا يجدون في كل ذلك إلا الصدق ، فقيل لهم ان ذلك لو لم يحصل باخبار الله تعالى والا لمـا اطرد الصدق فيه ولظهر في قول محمد انواع الاختلاف والتفاوت ، فلما لم يظهر ذلك علمنا ان ذلك ليس الا باعلام الله تعالى .

والثاني . . . وهو الذي ذهب اليه اكثر المتكلمين ان المراد منه ان القرآن كتاب كبير وهو مشتمل على انواع كثيرة من العلوم فلوكان ذلك من عند غير الله لوقع فيه انواع من الكلمات المتناقضة لان الكتاب الكبير الطويل لا ينفك عن ذلك ، ولمـا لم يوجد فيه ذلك علمنا انه ليس من عند غير الله . . . ثم ذكر اعتراضاً واجاب عنه . . ثم قال :

الوجه الثالث في تفسير قولنا . . . القرآن سليم عن الاختلاف ماذكره ابو مسلم الاصفهاني وهو ان المراد منه الاختلاف في رتبة الفصاحة حتى لا يكون فى جملته ما يعد في الكلام الركيك بل بقيت الفصاحة فيه من اوله الى آخره على نهج واحد ، ومن المعلوم ان الانسان وان كان في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة فاذا كتب كتاباً طويلا مشتملا على المعاني الكثيرة فلابد وان يظهر التفاوت في كلامه بحيث يكون بعضه قوياً متيناً وبعضه سخيفاً نازلا ، ولما لم يكن القرآن كذلك علمنا انه المعجز من عند الله تعالى ، وضرب القاضي لهذا مثلا فقال : ان الواحد منا لا يمكنه ان يكتب الطوامير الطويلة بحيث لا يقع في شيء من تلك الحروف خلل ونقصان حتى لو رأينا الطوامير الطويلة مصونة عن مثل هذا الخلل والنقصان لكان ذلك معدودا في الاعجاز فكذا هاهنا انتهى .

وبعد ما اتضح لك ايها المسلم المقصود من الآية فانك قد تقرأها وقد تسمعها ولا تلتفت الى معناها فاذا عرفت معناها الآن فان كنت معترفاً بالقرآن وانه من عند الله ومصدقاً بنبوة محمد (ص) فينبغي لك ان تطيعه في جميع ما امرك من الامور ولا تخالفه في شيء منها وتدبر القانون الذي وضعه لك ليكون عملك على طبقه من بعد موته وهو التمسك بالكتاب والعترة ، وان لم تطعه في جميع اوامره فانت غير متدبر للقرآن ثم انظر الى هذه الاحزاب الالحادية التي وجدت في هذا العصر فانهم يخرجون من الدين زرافات ووحدانا فهم مصداق قوله تعالى : (والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات) فاحذر مكرها ودسها وحيلها فانهم شيطان الانس وهم ينافقون ويريدون الخديعة بالمسلمين ، (فاعرض عنهم وتوكل على الله) .

فهذه الآية الشريفة وان كانت موجهة الى من يظهروا الطاعة ويبيتون خلافها وهم المنافقون إلا ان الحكم عام لكل من لم يطع الرسول ويخالفه في اوامره ونواهيه ، فان الآية جعلت السبب في مخالفة الرسول بالنسبة الى المنافقين هو عدم التدبر في القرآن ، وهذا السبب موجود في كل مخالف للرسول من اي نوع كان وإلا فالمؤمن هو الذي يطيع الرسول في كل شيء . ثم الآية التي بعد هذه الآية جاءت في بعض صفات المنافقين وذمهم على هذه الصفة قوله تعالى .

(واذا جاءهم امر من الامن أو الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا) (١) .

هذه الآية تبين الحكم في نقل الخبر يسمعه الرجل المؤمن فهل يجوز له نشره واذاعته قبل التأكد منه واثباته او لا يجوز له ذلك ، وقبل بيان معنى الآية ينبغي العلم بان هذا الامر وهو نشر الخبر يختلف بحسب الاحوال والازمان وذلك لان المسلمين اما ان يكونوا في حالة حرب مع الكافرين او في حالة سلم ، ثم اما ان يكون اعداؤهم بمحضر منهم بحيث تبلغهم جميع اخبارهم او لم يكونوا كذلك ، وعلى جميع الحالات الخبر اما أن يكون خبراً ساراً او خبراً محزناً ، فان كان ساراً للمؤمنين يكون محزناً للكافرين طبعاً وان كان العكس فبالعكس ، وعلى كل حال لا ينبغي للمؤمنين نشر الخبر واذاعته قبل التثبت والتأكد وحصول مضمونه لانه ان كان محزناً للمؤمنين يكون سبباً لفرح الكافرين ولسرورهم وللشماتة بالمؤمنين ، والاستظهار عليهم ، وان كان الخبر ساراً للمؤمنين دالاً على ضعف الكافرين اخذ الكافرون حينئذ في التأهب والاستعداد

(١) النساء آية ٨٣ .

والزيادة في العدة والعدد وتفويت الفرص على المسلمين وابطال ذلك النصر الموجب للفرح والسرور . ولا يخفى ان الاعداء في ذلك العصر كانوا اليهود من كل طائفة فرقة واحدة ، والذين ينقلون الأخبار للفرقتين هم المنافقون الذين ذمهم الله بهذه الآية . اما اعدؤنا في هذا العصر فأشدهم وألدهم اليهود الذين ليس لهم دين ولا مبدأ ولا ضمير ولا وجدان إلا المادة ، فانهم لا يعرفون غيرها ، واما النصارى فهم فرق كثيرة كل دولة تريد أن تربحنا وحدها ، واما الاحزاب الالحادية فانها مع بقية الدول تريد الفتك بالمبادىء الاسلامية ومحو آثارها ، فنحن في هذا الزمان اشد خطراً من ذلك الزمان لكثرة الاعداء ، وان الله عز وجل قد ارشدنا حتى بالنسبة الى نقل الخبر واذاعته باللسان فضلا عن الاذاعة وقد امرنا ان نرجع في اذاعة الخبر الى الرسول والى اولى الامر

انظر ايها المسلم ان الله لم يرخص لنا اذاعة الخبر إلا بالرجوع الى الرسول والى اولى الامر فكيف الحال بالنسبة الى غيره عما يتعلق بالنفوس والاموال والفروج وقد كثرت الكذبة على النبي (ص) في زمانه وبعد رحلته فاسندوا اليه احاديث كثيرة كاذبة وهذا كله لا يكون من فعل المؤمن وانما يرتكبه المنافق ، فينبغي للمؤمن ان يفحص عن الخبر ويعرف راويه حتى يتحقق عن صدقه وكذبه ولا يروي كل خبر يسمعه او يصدق كل خبر يقرأه في كتاب فان الكتاب قد يكون فيه الغث والسمين . فكان اللازم على المسلمين في زمان الرسول ان يرجعوا اليه ويتعرفوا صحة الخبر او عدم صحته ، اما في زماننا فاذا اردنا نشر خبر واذاعته فعلينا ان نلحظ مصلحة عامة المسلمين وان لا يكون في نشره ضرر على جماعة من المسلمين في اى قطر وفي اي بلد كانوا هذا واجب المسلم بالنسبة الى بقية المسلمين ولكن اعداء الاسلام قد الحقوا الفتنة بين

المسلمين واوقعوا العداوة بينهم فصار بعضهم يسعى باضرار بعض وبعضهم يتهم بعضا . هذا بالنسبة الى الاخبار التي تتعلق بالدنيا .

واما الاخبار التي تتعلق بالدين فينبغي لنا ان نرجع فيها الى سنة النبي (ص) ولا نعتمد على الرواة المتهمين بالكذب والوضع بل سنة النبي المقطوع بها اما لموافقتها لكتاب الله او لكونها متواترة بين اصحابه فاذا كانت موافقة للكتاب فلا ريب في صحتها كما روي عنه (ص) انه خطب بمنى فقال : (ايها الناس ما جاءكم عني فوافق كتاب الله فانا قلته وما جاءكم يخالف القرآن فلم اقله) .

واما السنة المتواترة فمثل حديث الثقلين فان كل من كتب عن النبي (ص) روى حديث الثقلين ، فمن عمل به كان معذورا لان احد قسميه وهو التمسك بالقرآن والقسم الآخر هو المفسر والمؤل للقرآن وهم العترة فانهم قد تكررت منهم الاحاديث بقولهم : (من جاءكم بحديث منا فاعرضوه على القرآن فان وافقه القرآن فخذوا به وان خالفه القرآن فردوه الى الذي جاء به) فيكون المرجع الاعلى هو القرآن وانما قرن العترة به لانهم هم العارفون بتفسيره وتأويله ولا يعرفه احد غيرهم ، فالقرآن وحده لا تنتفع به الامة من غير تفسير العترة وبيان معانيه وغوامضه ، ومتشابهاته ، والعترة بنفسها لا تفارق القرآن ولا تعمل الا به ولهذا ترى النبي (ص) جعل الهدى وعدم الضلال مقرونا بالتمسك بهما ، وعلى هذا يكون الانغماس فى الضلال بمفارقتهما حتى في اذاعة الخبر فليتق المسلم ربه وليعمل بامر نبيه .

اما المقصود من اولى الامر الذين قرن الله الرجوع اليهم بالرجوع الى الرسول لاستنباط الخبر الصحيح من الباطل فالظاهر انهم هم الذين امر الله بطاعتهم فى قوله اطيعوا الله ورسوله واولى الامر منكم ، وهم

الذين يعرفون تأويل القرآن الذين وصفهم الله بقوله الراسخون في العلم فان استخراج الخبر الصادق وتمييزه عن الكاذب لا يمكن لكل احد ولو كان رئيس اركان الجيش الا ان يكون عنده علم القرآن الذي فيه علم ما كان وما يكون ، فكل احد اذا سمع خبراً من الاخبار لا يمكنه معرفة صدقه او كذبه ، فلا مجال للقول بان اولى الامر هم امراء السرايا وما المناسبة بين امراء السرايا وتمييز الخبر صادقه عن كاذبه ، فان امير السرية لا يراد منه إلا ارادة امر السرية في كيفية الحرب ، وقد يستفاد هذا المعنى من التعبير عن معرفة الصدق والكذب بقوله تعالى : (لعلمه الذين يستنبطونه) فان الاستنباط هو كيفية تحصيل الحكم بصورة علمية بحيث يكون المحصل للحكم مستحضراً لجميع القواعد العلمية التي تطبق عليها القضايا الجزئية فاذا عرضت له قضية في شيء يلحقها بقانونها الكلي بلا توقف لان القضايا كلها نصب عينيه لا يفوته شيء منها ولا يغفل عنها ومثل هذا الرجل يصح ان يعبر عنه ولي الامر بقول مطلق بلا وصف له بصفة خاصة ، اما امير السرية وآمر الحامية فليس له معرفة بصدق الخبر وكذبه وقد يدل على هذا الامر الجملة التالية من الآية وهي قوله : (ولو لا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا) اي لو لم يتفضل الله عليكم بارسال الرسل وانزال الكتب وتعيين اولى الامر الذين عرّفهم الحلال والحرام والهمهم علوم القرآن وجعل لهم ملكة وقدرة على استنباط الخبر الصادق والكاذب واعلامكم عن جميع ذلك فان الله قد رحمكم بهؤلاء الرجال العلماء والا لاتبعتم الشيطان وذلك باذاعة الاخبار الكاذبة فيكم المرغبة من جهة والمخوفة من جهة ، الموجبة لخروجكم عن الدين والالتحاق بهم في نبذ العقيدة وانكار الضروريات . هذا كله بالنسبة الى ذلك الزمان الذي كان نقل الخبر واذاعته من واحد

لآخر او لجماعة . امـــا في هذا العصر الذي صار نقل الخبر بواسطة اللاسلكى ، فلو لا فضل الله ورحمته ووجود القرآن والسنة والعلماء لخرج الناس عن دينهم .

وقد ورد في الاخبار عن ائمة اهل البيت ان المقصود من الفضل في الآية هو الرسول ، والمقصود من الرحمة هم الائمة وهم المعبر عنهم باولى الامر ، فالله سبحانه وتعالى من فضله ورحمته بالعباد قد اوكل الامور العامة الى الرسول والائمة الذين هم منصوبون من قبل الرسل وقد الهمهم معرفة هذه الامور بحيث لا يخطئون فيها وانمـا يعرفون حقائقها الدقيقة ، وان الشخص الذى ليس من هؤلاء الرجال الذين يعينهم الله والرسول ليس له حق التصرف في الامور العامة وان كان عاقلا كاملا غنياً تقياً عابدا جامعاً للصفات الحسنة لان هذا المنصب انما هو بتعيين الله والرسول ، ومن جملة الامور العامة التي لا يسوغ لكل احد التدخل بها هو اذاعة الخبر الذي يعم الناس كلهم صدقه وكذبه ونفعه وضره ، فلا ينبغي ان يجعل مدير الاذاعة إلا من يعتمد على معرفته وكمال عقله وتمييزه النافع من الضار ونصحه لابناء شعبه حتى لا يرخص فى اذاعة شيء خلاف الواقع يعم الناس كلهم ولا فرق بين كونه نافعاً او ضارا الا ان يتأكد من صحته باخذه من منبعه الخاص ، وكذلك نشر الخبر في الصحف العامة لا ينبغي لاربابها إلا بعد التثبت والتأكد ومعرفة صحته والا فان الذم يشملهم في قوله : (واذا جاءهم امر من الامن أو الخوف اذاعوا به) الخ .

وبعد ما تبين لنا وتحقق عندنا من الآيات المتقدمة ان المؤمن الحقيقي هو المطيع للرسول في كل اوامره اقوالاً كانت او افعالاً وباطاعة الرسول يكون مطيعاً لله .

واما الاعداء الغير المتظاهرين فهم المنافقون الذين يظهرون الطاعة ويبيتون خلافها ، والذين يذيعون الاخبار الموجبة لتشويش المسلمين قبل اوان نشرها من غير رجوع الى الرسول والى اولى الامر .

وعلى هذا يكون اعداء الاسلام والمسلمين كثرة هائلة اضعاف المسلمين ، وكل هؤلاء الاعداء يريدون الفتك بالمسلمين ومحو الدين الاسلامى واعادة المسلمين الى الكفر لان الدين الاسلامي يصدهم عن اللهو واللعب ويحرمهم من اللذات الدنيوية ، ولا يمكن قهر هؤلاء الاعداء والانتصار عليهم الا بقتالهم لاجل نصرة الدين بحيث يكون القتال في سبيل الله وامتثالاً لامر الله خالصا من كل شائبة دنيوية ، والقتال فى زمن وجود الرسول يكون هو المكلف به وقد خاطبه الله بقوله : (فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك) (١) فان هؤلاء الاعداء لا يكفون عن نياتهم الباطلة وارادتهم السيئة وقصدهم الخبيث الا اذا رأوا المؤمنين قد تهيئوا او استعدوا لقتالهم ، فالله قد امر النبي صلى الله عليه وآله بقتالهم وان كان وحده ليس معه من امته احد ولم يكن له جنود يقاتلون معه ، وامره ان يحرض المؤمنين ويحثهم على القتال ، فاذا اتفقوا واتحدوا على قتال اعدائهم وكانت نياتهم صادقة بهذا القتال بحيث يكون في سبيل الله وكانوا راجين من الله ان يكفيهم بأس عدوهم فالله يكفيهم بأس العدو لانه يحقق رجاءهم اذا كان عن نية صادقة ، ثم ذكر جملة فيها تهديد شديد للكافرين وللمنافقين وهي قوله تعالى : (والله اشد بأساً واشد تنكيلا) اي انكم ايها المؤمنون اذا قاتلتم الكافرين وحاربتموهم فمهما كان لهم من بأس وقوة فان الله اشد بأساً منهم ومن غيرهم وكذا اشد تنكيلا ، فلا يظن المنافقون

---

(١) النساء آية ٨٤ .

الذين يخالفون احكام المسلمين ويخبرون الكافرين بما يكون عندكم من الامور انهم تمكنوا من الفتك بالاسلام ، فان الله اذا سلط قوته وبأسه على الكافرين وبقى المنافقون على ما هم عليه من النفاق سوف ينكل بهم الله ويفعل بهم كما فعل بالكافرين .

ثم لما امر الله النبي (ص) ان يقاتل الكافرين وان كان وحده وان يحض المؤمنين على القتال قد يظن ضعيف الايمان بانه يكون من المؤمنين وان صار في صف العدو ووقف الى جنبه او قعد عن قتاله وخذل المؤمنين ولم ينصرهم ولكن الله قد بين فى الآية التي بعدها ان الناس على قسمين ، قسم يكون مع النبي (ص) ويقف موقفه ويسير في طريقه ويعمل عمله ، وقسم آخر يكون مع عدوه واقفاً معه مقابل النبي سائرا في طريق العدو الملتوي او قاعداً مع المنافقين مخذلاً للمؤمنين ، فان النبي وان لم يحتم على الناس الجهاد ولكن الله هو الذي يحتم على المؤمن ان يكون مع النبي واقفاً الى جنبه في الحرب والسلم فقال تعالى .

(من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتاً) (١) .

اصل الشفاعة من الشفع الذي هو مقابل الوتر فان الرجل اذا صار مع رجل آخر ووافقه فيما هو فيه فقد شفعه اي صار ثانيه ، وقد ذكروا فى معنى الآية اقوالاً ونحن نذكر هنا قولين فانهما من موضوع الكتاب ويوضحان حقيقة الرجل لنفسه أهو مؤمن أو ليس بمؤمن .

الاول : هو ان الله يخاطب النبي ويقول له ان من يجعل نفسه شفيعا لك ويناصرك في القتال الذي امرت به وحدك فان له من شفاعته نصيب بما يناله من الفوز والشرف ، لان الله قد عرفنا ان اطاعته انما

---

(١) النساء آية ٨٥ .

تحصل باطاعة الرسول ، فاذا كان الانسان منضماً الى الرسول في جميع اوقاته وجميع حالاته وكان شفعاً له في الدنيا في كل وقت سوف يكون شفعاً له بما يناله من الثواب في الآخرة ، وهذا هو المؤمن ، فالرجل المؤمن ظاهراً اذا اراد ان يعرف نفسه هل انه مؤمن مقبول عند الله وعند الرسول فلينظر الى قلبه وسريرته هل انه متبع للرسول في كل شيء امر به من اول عمره الى آخره في حياة الرسول وبعد موته او انه ليس كذلك ، واما الذي يكون شفيعا لعدو الرسول الظاهر العداء وهم اليهود والنصارى او عدو الرسول الخفي علينا وهم المنافقون الذين يقولون طاعة ويبيتون خلافها والذين يذيعون امر الامن والخوف المضر بعامة المسلمين فهذا الرجل ليس له من الايمان شيء وان سمى نفسه وسماه المسلمون مسلماً ، فان الاسلام والايمان ليس بالتسمية وانما هو بالنية والعمل واطاعة الرسول واتباعه في كل الامور بحيث يسمى شفعاً للرسول فاذا تخلفت هذه التسمية في قضية واحدة فقد بعد عن الرسول بمراحل طويلة فاما ان يرجع فيعيد التسمية والا فقد فارق المؤمنين فيكون قوله تعالى : (ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها) معناه ان الذي يكون شفيعاً لعدو الرسول اي يكون ثانياً له يكون عليه من الوزر والاثم مثل ما على العدو لانه يكون في صفه ويقف الى جنبه او يقعد عن عون المسلمين فلا ينصرهم بل يخذلهم .

القول الثاني : ما ذكره في المجمع بقوله ثانيهما ان الشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة شفاعة الناس بعضهم لبعض ، عن مجاهد والحسن قال : ما يجوز في الدين ان يشفع فيه فهو شفاعة حسنة ، ومالا يجوز ان يشفع فيه فهو شفاعة سيئة ، قال ومن يشفع شفاعة حسنة كان له فيها اجر وثواب وان لم يشفع لان الله قال ومن يشفع ولم يقل ومن

يشفّع ويؤيد هذا قوله اشفعوا تؤجروا . وقوله من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في ملكه ، ومن اعان على خصومة بغير علم كان في سخط الله حتى ينزع انتهى ما في المجمع .

وهنا نوجه الخطاب لوجهاء كل بلد الذين يتصلون بحاكم البلد وتكون كلمتهم مسموعة عنده فينبغي لهم ان يلاحظوا هذه الآية وان لا يغفلوا عنها فانهم إذا شفعوا لرجل مجرم قد ارتكب معصية موبقة كقتل النفس أو اعتداء على عرض احد أو زنا أو غير ذلك من المنكرات فاسقطوا عنه العقاب أو خففوا عنه فان لهم نصيب من وزر هذا المجرم وعليهم من العقاب أما بمقدار عقابه أو أكثر منه وهو نصيب مكفول لابد منه فلا يجلب لنفسه الوزر والعقاب لكون هذا المجرم من أصحابه ومن المنتمين إلى حزبه وليرحم نفسه فان الدنيا تزول وتفنى والآخرة تدوم ، ثم ان الله عزوجل بشر المسلمين المطيعين للرسول العاملين بأمره وانذر الكافرين والمنافقين والمخالفين للرسول والمحرفين لاوامره ونواهيه بقوله تعالى في الجملة الأخيرة من الآية : (وكان الله على كل شيء مقيتاً)

قال في مجمع البيان والمقيت أصله من القوت فانه يقوته قوتا إذا اعطاه ما يمسك به رمقه ، والمقيت المقتدر لاقتداره على ذلك واقات يقيت اقاتة وينشد للزبير بن عبد المطلب .

وذي ضغنٍ كففت النفس عنه وكنت على مساءته مقيتا

ثم قال في بيان المعنى - قيل في معنى المقيت أقوال (احدها) انه المقتدر عن السدي وابن زيد ، (وثانيها) الحفيظ الذي يعطى الشيء قدر الحاجة من الحفظ عن ابن عباس ، (وثالثها) الشهيد عن مجاهد (ورابعها) الحسيب عنه أيضاً (وخامسها) المجازي عن أبي علي الجبائي اي يجازى على كل شيء من الحسنات والسيئات انتهى .

فليعلم الذي يخالف امر النبي وينحرف عنه عمداً أو إهمالاً فانه وان لم يحاسبه أحد في الدنيا ولكن الله هو المقتدر على كل شيء ، الحفيظ لكل كبيرة وصغيرة ، الشهيد على الأعمال والقلوب والنيات ، الحسيب لكل شيء المجازي على الحسنات والسيئات فلا يضر المخالف للنبي إلا نفسه .

تفسير الفخر الرازي الكبير ج١٠ ص٢٠٨ (المسألة الاولى) في المقيت قولان :

(الأول) المقيت القادر على الشيء وانشدوا للزبير بن عبد المطلب

وذي ضغن كففت النفس عنه　　وكنت على اساءته مقيتاً

وقال آخر :

ليت شعري واشعرن إذا ما　　قربوها منشورة ودعيت

ألي الفضل أم علي اذا حو　　سبت انى على الحساب مقيت

وانشد النضر بن شميل :

تجلد ولا تجزع وكن ذا حفيظة　　فاني على ما ساءهم لمقيت

(الثاني) المقيت مشتق من القوت يقال قت الرجل اذا حفظت عليه نفسه بما يقوته واسم ذلك الشيء هو القوت وهو الذي لا فضل له على قدر الحفظ . فالمقيت هو الحفيظ الذى يعطى الشيء على قدر الحاجة ، ثم قال القفال رحمه الله وأي المعنيين كان فالتأويل صحيح وهو انه تعالى قادر على ايصال النصيب والكفل من الجزاء الى الشافع مثل ما يوصله الى المشفوع فيه ان خيراً فخير وان شراً فشر ، ولا ينتقص بسبب ما يصل الى الشافع شيء من جزاء المشفوع ، وعلى الوجه الثاني انه تعالى حافظ الاشياء شاهد عليها لا يخفى عليه شيء من احوالنا ، فهو عالم بان الشافع يشفع في حق او في باطل حفيظ عليه فيجازي كلا

بما علم منه انتهى .

تفسير ابن كثير ج١ ص٥٣١ وقوله : (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها) اي من يسعى في امر فيترتب عليه خير كان له نصيب من ذلك (ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها) اي يكون عليه وزر من ذلك الامر الذي ترتب على سعيه ونيته كما ثبت في في الصحيح عن النبي (ص) انه قال (اشفعوا تؤجروا) (ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء) وقال مجاهد بن جبر . . . نزلت هذه الآية في شفاعات الناس بعضهم لبعض ، وقال الحسن البصري : قال الله تعالى : (من يشفع) ولم يقل من يشفّع ، وقوله (وكان الله على كل شيء مقيتاً) قال ابن عباس وعطاء وعطية وقتادة ومطر الوراق (مقيتاً) اي حفيظا ، وقال مجاهد شهيداً ، وفي رواية عنه حسيباً . وقال سعيد ابن جبير والسدي وابن زيد قديراً ، وقال عبد الله بن كثير المقيت المواظب ، وقال الضحاك المقيت الرزاق ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الرحيم بن مطرف حدثنا عيسى بن يونس عن اسماعيل عن رجل عن عبد الله بن رواحة وسأله رجل عن قول الله تعالى : (وكان الله على كل شيء مقيتاً) قال مقيت لكل انسان بقدر عمله انتهى .

في ظلال القرآن ج٥ ص٥١ قال بعد ذكر الآية - (فليشفع الانسان الشفاعة الحسنة . . . ليصل خيراً إلى من يستحق الخير غير مضار لبريء او مضيع حقاً على صاحب حق ، او معطل لحد من حدود الله ، فهذه هي الشفاعة الحسنة التي تنفع ولا تضر وليتق الشفاعة السيئة التي تؤدي الى اكل مال بالباطل او تعويق صاحب مكان عن مكانه او اهدار لحرمة من حرمات الله والناس فان لصاحب الاولى نصيباً طيباً من شفاعته ، ولصاحب الاخرى وزراً يحتمله من سيئته (وكان الله على كل شيء

مقيتاً) يطعم المحسن من حسنته والمسيء من سيئته ليذوق كل منهما ما كسبه وما جناه ، لذلك اختار التعبير كلمة (مقيت) من القوت ليكون التذوق المباشر هو الجزاء للثمار الحلوة والمرة على السواء) انتهى .

تفسير الطبري ج٥ ص١٨٦ يعني بقوله جل ثناؤه (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها) من يصر يا محمد شفعاً لوتر اصحابك فيشفعهم في جهاد عدوهم وقتالهم في سبيل الله وهو الشفاعة الحسنة يكن له نصيب منها يقول يكن له من شفاعته تلك نصيب وهو الحظ من ثواب الله وجزيل كرامته (ومن يشفع شفاعة سيئة) يقول ومن يشفع وتر اهل الكفر بالله على المؤمنين به فيقاتلهم معهم وذلك هو الشفاعة السيئة يكن له كفل منها ، يعني بالكفل النصيب والحظ من الوزر والاثم وهو مأخوذ من كفل البعير والمركب وهو الكساء او الشيء يهيأ عليه شبيه بالسرج على الدابة ، يقال منه جاء فلان مكتفلاً ، اذا جاء على مركب قد وطىء له على مابينا لركوبه ، وقد قيل انه عني بقوله : (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها) الآية شفاعة الناس بعضهم لبعض وغير مستنكر ان تكون الآية نزلت فيما ذكرنا ثم عمّم بذلك كل شافع بخير او شر .

وانما اخترنا ما قلنا من القول في ذلك لانه في سياق الآية التي امر الله نبيه (ص) فيها بعض المؤمنين على القتال فكان ذلك بالوعد لمن اجاب رسول الله (ص) والوعيد لمن ابى اجابته اشبه منه من الحث على شفاعة الناس بعضهم لبعض التي لم يجر لها ذكر قبل ولا لها ذكر بعد . ذكر من قال ذلك في شفاعة الناس بعضهم لبعض .

حدثني محمد بن عمرو قال حدثنا ابو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله (من يشفع شفاعة حسنة يكن له

نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة) قال شفاعة بعض الناس لبعض .

حدثني المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن ابي نجيح عن مجاهد مثله حدثت عن ابن مهدي عن حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن الحسن ، قال (من يشفع شفاعة حسنة كان له اجرها وان لم يشفع لان الله يقول (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها) ولم يقل يشفع .

حدثنا ابن وكيع قال حدثنا ابي عن سفيان عن رجل عن الحسن قال : من يشفع شفاعة حسنة كتب له اجرها ما جرت منفعتها . حدثنا يونس قال اخبرنا ابن وهب قال سأل ابن زيد عن قول الله (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها) قال الشفاعة الصالحة التي يشفع فيها وعمل بها هي بينك وبينه هما فيها شريكان (ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها) قال هما شريكان فيها كما كان اهلها شريكين .

ذكر من قال الكفل النصيب حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة قوله (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها) اي حظ منها (ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها) والكفل هو الاثم .

حدثنا محمد بن الحسين قال : حدثنا احمد بن مفضل قال حدثنا اسباط عن السدي قوله (يكن له كفل منها) اما الكفل فالحظ .

حدثني المثنى قال حدثنا اسحق قال حدثنا عبد الله بن ابي جعفر عن ابيه عن الربيع (يكن له كفل منها) قال حظ منها فبئس الحظ . حدثني يونس قال اخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد الكفل والنصيب واحد وقرأ (يؤتكم كفلين من رحمته) القول في تأويل قوله : (وكان الله على كل شيء مقيتاً) اختلف اهل التأويل في تأويل قوله : (وكان

الله على كل شيء مقيتاً) فقال بعضهم تأويله وكان الله على كل شيء حفيظاً وشهيدا . ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثني معاوية عن علي عن ابن عباس (وكان الله على كل شيء مقيتا) يقول حفيظاً . حدثني المثنى قال حدثنا ابو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن ابي نجيح عن مجاهد (مقيتاً) شهيداً حدثنا ابن وكيع قال حدثنا ابي عن سفيان عن رجل اسمه مجاهد عن مجاهد مثله . حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنا حجاج عن ابن جريح عن مجاهد (مقيتاً) قال شهيداً حسيباً حفيظاً . حدثني احمد بن عثمان بن حكيم قال حدثنا عبد الرحمان بن شريك قال حدثنا ابي عن خصيف عن مجاهد ابي الحجاج (وكان الله على كل شيء مقيتاً) قال المقيت الحسيب

وقال آخرون معنى ذلك القائم على كل شيء بالتدبير .

ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريح قال : قال عبد الله بن كثير (وكان الله على كل شيء مقيتاً) قال المقيت الواصب .

وقال آخرون هو القدير . ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال : حدثنا احمد بن مفضل قال حدثنا اسباط عن السدي (وكان الله على كل شيء مقيتاً) اما المقيت فالقدير . حدثني يونس قال اخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله (وكان الله على كل شيء مقيتاً) قال على كل شيء قديراً . المقيت القدير . قال ابو جعفر والصواب من هذه الاقوال قول من قال معنى المقيت القدير وذلك ان ذلك فيما يذكر كذلك بلغة قريش وينشد للزبير بن عبد المطلب عم رسول الله (ص)

وذي ضغن كففت النفس عنه وكنت على مساءته مقيتـــاً

اي قديراً ، وقد قيل ان منه قول النبي (ص) (كفى بالمرء اثماً ان

يضيع من يقيت) في رواية من رواها ، يقيت يعني من هو تحت يديه وفي سلطانه من اهله وعياله فيقدر له قوته انتهى موضع الحاجة من كلام الطبري .

وبعدما اطلع القارىء الكريم على كلمات المفسرين ينبغي له ان يحتاط لنفسه ولدينه ان اراد ان يحصل على شيء من الثواب والجزاء الحسن يلزمه ان يشفع احد اصحاب الي المخلصين الذين كانوا يطيعون امره ولا يخالفونه في شيء ابداً ، وحيث ان الانسان لا يعلم تفصيلا بالواجبات والمحرمات عليه ان يأخذ القانون الكلي الذي ينطبق على كل قضية قضية من امور الدين ولا يفوته شيء منها واذا اخذ به لا يخشى على نفسه ان يكون من الضالين ، وقد ذكرنا ذلك مكرراً وهو قوله صلى الله عليه وآله كما يرويه الحافظ القندوزى الحنفي في ينابيع المودة ج١ ص٣٣ كما يلي الترمذي في باب مناقب اهل البيت حدثنا نصر بن عبد الرحمان الكوفي قال حدثنا زيد بن الحسن عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جابر بن عبد الله الانصاري قال رأيت رسول الله (ص) في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصوى يخطب فسمعته يقول (ايها الناس اني تركت فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي) فمن اراد ان يكون عاملا بما نص عليه النبي ليكون عذرا له بين يدي الله فان هذا الحديث يكفيه لجميع امور دينه ، ويكون الأخذ به امانا من الضلال ، اما مع تركه فهو معرض للضلال كما هو صريح الحديث ، وهو حديث صريح واضح لا يحتاج الى تفسير وهو متفق عليه ذكره جميع المؤرخين والمفسرين .

قوله تعالى : (واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ان

الله كان على كل شيء حسيباً) (١) .

في هذه الآية الشريفة يعلم الله عباده كيف يتبادلون التحيات فيما بينهم حتى يزيد حب بعضهم لبعض وتتأكد الالفة ويقرب بعضهم لبعض فان التحية التي جعلها الله للمسلمين هي مشتملة على الدعاء والطلب له من الله بان يجعله في سلام من كل شيء يغير عليه الراحة والهناء ، فاذا قال المسلم لاخيه المسلم سلام عليكم او السلام عليكم فمعنى ذلك اني اطلب من الله ان يجعل عليك اوقاتك من الايام والساعات كلها سلاماً ليس فيها ما يؤذيك وينغص عيشك ، وقد علمنا الله كيفية رد هذه التحية المشتملة على الدعاء بان نجيب المسلّم علينا باحسن منها فنقول له في الجواب عليكم السلام ، وهذا وحده احسن من ذلك لان المسلّم قال سلام عليكم فقدم المبتدأ كما هو الاصل وجاء بالخبر بعده ، اما المجيب لما قال عليكم السلام فانه قدم الخبر وهو موجب للحصر فكأنه قال ان السلام منحصر عليك وانت اهل له فهو احسن من كلام المسلّم ، فاذا اضاف إليه كلمة ورحمة الله تزايد الحسن وتضاعف لانه طلب له من الله بعد حصر السلام عليه ان تشمله رحمة الله وهو دعاء عام لجميع انواع الخيرات فان رحمة الله تشمل خيرات الدنيا والآخرة ، فلو ان المسلم المبتدي هو قال لاخيه المسلم السلام عليكم ورحمة الله واراد الآخر ان يرد بالاحسن يقول له فى الجواب عليكم السلام ورحمة الله وبركاته فيضيف إلى معنى الحصر الذي ذكـــر طلب الرحمة والبركة من الله واذا اعطاه الله البركة فقد ربح ونجح اذ كانت عامة مطلقة فتكون في العمر وفي الرزق وفي الاولاد وغيرها من الامور المحبوبة ، فاذا تبادل المسلمان هذه الدعوات بينهما كلما قابل احدهما الآخر ، حينئذ تنزل

(١) النساء آية ٨٦ .

على الجميع الرحمة والبركة فيكون المسلمون كلهم كاملوا الايمان ويكونون اخوة كما وصفهم الله (إنما المؤمنون اخوة) فاذا رآهم الكافر أو المنافق وكان عنده شيء من العقل غبطهم على هذه الصفة الحسنة واحب ان يكون شفيعاً لهم في هذه الصفات فهو اقرب ما يكون ان يشفع شفاعة حسنة . أي يجدد اسلامه ويحسن نيته ويصحح سريرته ويقف في صف المسلمين ويحب لهم مايحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه ، فقد روي عن النبي (ص) انه قال : (ألا ادلكم على شيء ان انتم فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم) فقد جعل افشاء السلام سبباً للتحابب ، واذا حصل التحابب صلحت جميع الامور ، فان الله قد اكرم النبي (ص) وامته بهذه التحية وهي تحية اهل الجنة ، فقد روي ان اصحاب رسول الله كانوا إذا أتوه يقولون له انعم صباحاً وانعم مساءاً وهي تحية اهل الجاهلية فانزل الله تعالى (واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله) فقال لهم رسول الله (ص) (قد ابدلنا الله تعالى بخير من ذلك تحية اهل الجنة السلام عليكم) وقد امرنا الله اولاً ان نحيّ من حيانا باحسن مما حيانا به ، واما الرد بالمثل فهو مرتبة ثانية فاذا اخذ المسلمون بالمرتبة الاولى ساد التحابب بين جميع المسلمين وارتفع وزال عنهم كل ما يوجب التباعد من بغضاء وشحناء وحزازات وحينئذ ييأس العدو والمنافق من ايقاع الفتنة بينهم ولا يبقى له امل فيها اذ يراهم متحدين متفقين متحابين كلمتهم واحدة ورأيهم واحد ، وقد وردت الاخبار الكثيرة في الحث على افشاء السلام وبيان الجزاء العظيم على ذلك .

روي في البحار عن الصادق (ع) عن آبائه عن رسول الله (ص) قال : ان في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها يسكنها من امتي من اطاب الكلام واطعم الطعام وافشى السلام وصلى

بالليل والناس نيام ، ثم قال : افشاء السلام ان لا يبخل بالسلام على احد من المسلمين .

وفيه ايضا عن انس قال : قال النبي (ص) يا انس سلم على من لقيت يزيد الله في حسناتك وسلم في بيتك يزيد الله في بركتك .

وفيه ايضا عن انس قال : قال رسول الله (ص) يوماً يا انس اسبغ الوضوء تمر على الصراط مر السحاب افش السلام يكثر خير بيتك اكثر من صدقة السر فانها تطفىء غضب الرب عز وجل .

تفسير الفخر الرازي ج١٠ ص٢٠٩ (المسألة الثانية) اعلم ان عادة العرب قبل الاسلام انه اذا لقي بعضهم بعضا قالوا حياك الله ، واشتقاقه من الحياة كانه يدعو له بالحياة ، فكانت التحية عندهم عبارة عن قول بعضهم لبعض حياك الله ، فلما جاء الاسلام ابدل ذلك بالسلام فجعلوا التحية اسماً للسلام قال تعالى : (تحيتهم يوم يلقونه سلام) (الى ان يقول) واعلم ان قول القائل لغيره السلام عليك اتم واكمل من قوله حياك الله وبيانه من وجوه :

الاول : ان الحي اذا كان سليما كان حيا لا محالة وليس اذا كان حيا كان سليما ، فقد تكون حياته مقرونة بالآفات والبليات ، فثبت ان قوله السلام عليكم اتم واكمل من قوله حياك الله .

الثاني : ان السلام اسم من اسماء الله تعالى فالابتداء بذكر الله او بصفة من صفاته الدالة على انه يريد ابقاء السلامة على عباده اكمل من قوله حياك الله .

الثالث : ان قول الانسان لغيره السلام عليك فيه بشارة بالسلامة وقوله حياك الله لا يفيد ذلك فكان هذا اكمل .

ومما يدل على فضيلة السلام القرآن والأحاديث والمعقول . اما

القرآن فمن وجوه :

الاول اعلم ان الله تعالى سلم على المؤمن في اثني عشر موضعا .

اولها انه تعالى كانه سلم عليك في الازل ، ألا ترى انه قال في وصف ذاته (الملك القدوس السلام) .

وثانيها : انه سلم على نوح وجعل لك من ذلك السلام نصيباً فقال : (قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك) والمراد منه امة محمد (ص) .

وثالثها : سلم عليك على لسان جبرئيل فقال : (تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام هي حتى مطلع الفجر) .

قال المفسرون . . . انه عليه الصلاة والسلام خاف على امته ان يصيروا مثل امة موسى وعيسى عليهما السلام فقال الله لا تهتم لذلك فاني وان اخرجتك من الدنيا الا اني جعلت جبرئيل خليفة لك ينزل الى امتك كل ليلة قدر ويبلغهم السلام مني .

(اقول) ان نزول الملائكة بكل هذه الامور تبلغها للنبي في حياته اما بعد ارتحاله فالى من تبلغ هذه الامور ؟ فلابد وان يكون له وصيا تكون الامور كلها عنده وإلا فلا يمكن ان تضعها الملائكة على الارض وتصعد الى السماء فتأمل وفكر جيدا ، وسيأتي الكلام عليها مفصلاً في سورة القدر انشاء الله .

قال الفخر ورابعها سلم عليك على لسان موسى عليه السلام حيث قال : (سلام على من اتبع الهدى) فاذا كنت متبع الهدى وصل سلام موسى اليك .

(اقول) ان اتباع الهدى إنما يكون فى العمل على طبق القرآن بالمعنى الذي انزله الله على نبيه وهو بتمامه وكماله لا يوجد إلا عند من

قرنه النبي بالكتاب وهم العترة فلا يفوتك الامر .

قال الفخر وخامسها سلم عليك على لسان محمد (ص) فقال : (الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) وكل من هداه الله الى الايمان فقد اصطفاه كما قال : (ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) .

(اقول) ان هذه الآية تدل على ما قلناه في الامر الرابع من ان علم الكتاب انما هو عند اوصياء النبي الذين اصطفاهم الله وجعلهم ائمة فان الآيتين تدلان على انهم اناس اصطفاهم الله من بين الامة وليسوا كل الامة لان في الامة من لا يعرف تفسير آية واحدة وان كان تقياً مطيعاً لله يأخذ معالم دينه من اهل العلم .

قال الفخر وسادسها امر محمداً (ص) على سبيل المشافهة فقال (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) .

وسابعها : امر امة محمد (ص) بالتسليم عليك قال (واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها) .

وثامنها : سلم عليك على لسان ملك الموت فقال : (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم) قيل ان ملك الموت يقول في اذن المسلم . السلام يقرئك السلام ويقول اجبني فاني مشتاق اليك ... واشتاقت الجنات والحور العين اليك ، فاذا سمع المؤمن البشارة يقول لملك الموت للبشير مني هدية . . . ولا هدية اعز من روحي فاقبض روحي هدية لك .

وتاسعها السلام من الارواح الطاهرة المطهرة قال تعالى : (واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين) .

وعاشرها : سلام الله عليك على لسان رضوان خازن الجنة فقال تعالى : (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا) الى قوله (وقال

لهم خزنتها سلام عليكم طبتم) .

والحادي عشر : اذا دخلوا الجنة فالملائكة يزورونهم ويسلمون عليهم قال تعالى : (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) .

والثاني عشر : السلام من الله من غير واسطة وهو قوله :(تحيتهم يوم يلقونه سلام) وقوله : (سلام قولاً من رب رحيم) وعند ذلك يتلاشى سلام الكل لان المخلوق لا يبقى على تجلى نور الخالق .

(الوجه الثاني) من الدلائل القرآنية الدالة على فضيلة السلام ان اشد الاوقات حاجة الى السلامة والكرامة ثلاثة اوقات : وقت الابتداء ، ووقت الموت ، ووقت البعث ، والله تعالى لما اكرم يحيى عليه السلام فانما اكرمه بان وعده السلام في هذه الاوقات الثلاثة فقال : (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) ، وعيسى عليه السلام ذكر ايضا ذلك فقال (السلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا) .

(الوجه الثالث) انه تعالى لما ذكر تعظيم محمد (ص) قال : (ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) . يروي في التفسير ان اليهود كانوا اذا دخلوا قالوا السام عليك فحزن الرسول عليه الصلاة والسلام لهذا المعنى فبعث الله جبرئيل عليه السلام وقال ان كان اليهود يقولون السام عليك فانا اقول من سرادقات الجلال السلام عليك وانزل قوله : (ان الله وملائكته يصلون على النبي) الى قوله (وسلموا تسليما) .

واما ما يدل من الاخبار على فضيلة السلام فما روي ان عبد الله ابن سلام قال لما سمعت بقدوم الرسول عليه الصلاة والسلام دخلت في

غمار الناس فاول ما سمعت منه (يا ايها الناس افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام)

واما ما يدل على فضل السلام من جهة المعقول فوجوه :

الاول : قالوا تحية النصارى وضع اليد على الفم ، وتحية اليهود بعضهم لبعض الاشارة بالاصابع ، وتحية المجوس الانحناء . وتحية العرب بعضهم لبعض ان يقولوا حياك الله وللملوك ان يقولوا انعم صباحا ، وتحية المسلمين بعضهم لبعض ان يقولوا . السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، ولا شك ان هذه التحية اشرف التحيات واكرمها .

الثاني ان السلام مشعر بالسلامة من الآفات والبليات ، ولا شك ان السعى في تحصيل الصون عن الضرر اولى من السعى في تحصيل النفع

الثالث : ان الوعد بالنفع يقدر الانسان على الوفاء به وقد لا يقدر اما الوعد بترك الضرر فانه يكون قادرا عليه لا محالة والسلام يدل عليه فثبت ان السلام افضل انواع التحية انتهى كلام الرازي .

وكما وردت الاخبار الكثيرة في الحث على افشاء السلام ومدح فاعله كذلك وردت اخبار في ذم تاركه ، فمنها ما روي عن النبي (ص) انه قال من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه ، وقال لا تدع الى طعامك احداً حتى يسلم ، وعن النبي (ص) انه قال ان اعجز الناس من عجز عن الدعاء وان ابخل الناس من بخل بالسلام . فالاخبار الواردة فى التحية على اصناف : فصنف منها يحث على افشاء السلام ومدح اهله وبيان ثوابه ، وصنف ثان يذم تاركه ، وصنف ثالث يحث على ضم المصافحة الى السلام ، وبعضها يذكر المعانقة عوض المصافحة وفي اغلب هذه الاخبار يذكر لهذا الفعل شيئا من الثواب في الآخرة ، وفي بعضها يذكرون لها آثاراً في الدنيا وان هذه الآثار الدنيوية يشعر بها كل احد

ويراها وهي انها توجب المحبة والالفة كما اخبر به النبي في الخبر المتقدم فهذه التحية التي قد اكرم الله بها امة محمد وخصهم بها من دون سائر الامم واراد لهم بسبب هذه التحية أن يكونوا دائما في الفة ومحبة وان لا يقع بينهم تباغض وتباعد ، وقد بقيت هذه الامة مدة من الزمن محافظة على هذه التحية ولكن مع كل الاسف لما دخل الاجانب الى بلاد الاسلام واختلطوا بهم غيروا من اوصافهم الحميدة كثيراً منها ، وهذه التحية قد تركها كثير من المسلمين الذين عاشروا الاجانب ورجعوا الى عهد الجاهلية ، فاذا دخل احدهم على الآخر يقول له صباح الخير ومساء الخير ولا يعرف ان تحية الاسلام هى السلام .

ان الفرقة التي تركت تحية المسلمين وتمسكت بتحية الجاهلية هل انهم اعتبروا انفسهم من غير المسلمين او انهم يرون انفسهم من المسلمين ولكنهم يرجحون هذه التحية الجاهلية على تحية المسلمين ويرونها احسن منها فهم داخلون في ضمن آية ٥١ وهي قوله : (ألم تر إلى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا) ، فالتارك لتحية المسلمين يختار لنفسه احد القسمين اما الخروج عن جماعة المسلمين ، واما القسم الآخر واذا رفضهما جميعا واختار البقاء مع الاسلام فليرجع الى تحية المسلمين وليكن محباً لهم محبوباً عندهم .

تفسير الطبري ج٥ ص١٨٨ القول في تأويل قوله .

(واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ان الله كان على كل شيء حسيبا) يعني جل ثناؤه بقوله (واذا حييتم بتحية) اذا دعي لكم بطول الحياة والبقاء والسلامة (فحيوا باحسن منها او ردوها) يقول فادعوا لمن دعا لكم بذلك باحسن مما دعا لكم .. او ردوها .. يقول

او ردوا التحية انتهى ما في تفسير الطبري .

(اقول ان المسلم اذا كان قوى الايمان صحيح العقيدة بالدين الاسلامي لا ينبغي له ان يزهد بهذا الدعاء لاخيه المسلم ولنفسه بالرد باحسن منه ويتركه لغيره لمجرد سماع الاجانب استعمال غيره .

واما الجملة الأخيرة من الآية وهي قوله : (ان الله كان على كل شيء حسيبا) فمعناها ان الله يحسب اعمالكم كبيرها وصغيرها وجليلها وحقيرها لا يفوته شيء منها ولا يترك شيئا منها ، فان التحية هي اول كلمة ينطق بها المتلاقيان ويتبعها من الكلام ما يناسبها ، فان كانت تحية المسلمين كان اثرها الوضعي الحب والالفة واختيار ما فيه الصلاح لعموم المسلمين وتبعها من الكلام كل شيء ينفع المسلمين فكانت نتائجها الدنيوية والاخروية صالحة نافعة فان الله هو الذي يساعدهم ويمدهم بما يقويهم ويصلح اعمالهم لانهم قد قبلوا منه هذه الهدية وعملوا بها وجعلوها فاتحة كلامهم ودالة على حسن سريرتهم .

واما اذا كانت تحيتهم عند التلاقي تحية غير المسلمين فيكون بقية كلامهم تابعا لها حيث رفضوا هدية الله ولم يقبلوها ولم يفتتحوا بها كلامهم فلا يرجى لهم المساعدة من الله ، فليعرف المسلم تحيته وليعرف غير المسلم تحيته ، وهذه التحية التي جعلها الله للمسلمين في الدنيا هي بعينها جعلها لهم في الآخرة حيث قال (تحيتهم يوم يلقونه سلام) فمن قبلها في الدنيا تلقاها في الآخرة ومن رفضها في الدنيا لن يسمعها في الآخرة ، هذا هو المطابق للحساب الدقيق (وكان الله على كل شيء حسيبا) .

قال الفخر الرازي في تفسيره الكبير ج١٠ ص٢١١ .

(المسألة الثالثة) من الناس من قال . . . من دخل داراً وجب عليه ان يسلم على الحاضرين واحتج عليه بوجوه :

الاول قوله تعالى : (يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها) (١) وقال عليه الصلاة والسلام (افشوا السلام) والامر للوجوب .

الثاني : ان من دخل على انسان كان كالطالب له ، ثم المدخول عليه لا يعلم انه يطلبه لخير او لشر فاذا قال : السلام عليك فقد بشره بالسلامة وآمنه من الخوف ، وازالة الضرر عن المسلم واجبة ، قال عليه الصلاة والسلام : (المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه) فوجب أن يكون السلام واجباً .

الثالث : ان السلام من شعائر اهل الاسلام واظهار شعائر الاسلام واجب انتهى .

وقد تبين مما ذكر من الاخبار وكلمات المفسرين ان السلام هي تحية مختصة بالاسلام وان غيرهم لا يستعملونها ولا يعرفونها فان الله خص بها المسلمين حتى ان المسلمين في الصدر الاول كانوا اذاغزوا جماعة من الكفر فاذا صادفوا رجلاً قريباً من بلاد الكفر لم يعرفوه وكان الرجل مسلما يبادرهم بالسلام قبل ان يسطوا به ليعرفوه انه من المسلمين فهي علامة مخصوصة وسمة خاصة بالمسلمين . فاذا عرفنا ذلك فقد ورد في الاخبار الحث الكثير على افشاء السلام ، وان المسلم اذا لاقى مسلما ينبغي له ان يبدأه بالسلام ، وإذا دخل داراً او محلاً آخر يسلم على اهله . وقد جاءت بعض الاخبار تمنع السلام على اصناف من الناس فصنف منهم لعدم دخولهم في الاسلام وهم اليهود والمجوس وعبدة الاوثان ، فهؤلاء الاصناف لو لم يرد المنع عن السلام عليهم لا ينبغي للمسلم ان يسلم عليهم بعد ما عرف ان التحية هي من مختصات المسلمين ، وقد روي عن النبي (ص) انه قال

---

(١) النور الآية ٢٧ .

لاصحابه : (ان اهل خيبر يريدون ان يلقوكم فلا تبدأوهم بالسلام فقالوا يا رسول الله فان سلموا علينا فماذا نرد عليهم ؟ قال تقولون وعليكم وعن الامام الصادق (ع) قال إذا سلم عليك اليهودي والنصراني والمشرك فقل عليك .

الصنف الثاني ممن لا يسلم عليهم لانهم في شغل يخصهم فاما ان يكون مشغولاً في الصلاة واما ان يكون على قضاء حاجة ، وكذا الذي هو فى الحمام فان هؤلاء لا يسلم عليهم .

الصنف الثالث هم المتصفون باوصاف والمشغولون باعمال تبعدهم عن المسلمين فان المسلم هو المطيع لله ولرسوله الممتثل لاوامر الرسول والمنتهي عما نهاه عنه الرسول وهذا هو الفاعل لما نهى عنه الرسول فكانه في هذه الحالة يكون من غير المسلمين وهم : الاول الجالس على مائدة الخمر الثاني اللاعب بالشطرنج والنرد وغيرهما من العاب القمار ، الثالث المخنث ، الرابع الشاعر الذي يقذف المحصنات ، الخامس آكل الربا ، السادس الفاسق المعلن بفسقه ، فان هؤلاء الاشخاص وان لم يكونوا مشغولين بهذه الاعمال ولكنهم لا ينكرون فعلهم لها اذا سئلوا عنها فيكونون من نوع الرجل السادس وهو المعلن بفسقه ، وقد نهانا الشارع المقدس عن السلام عليهم تنزيها للاسلام ان يكون هؤلاء من اهله وتقديساً للمسلمين ان يقترن بهم هؤلاء فيعدون منهم ، فاذا تركوا هذه الاعمال وتابوا منها صاروا من المسلمين ويكون لهم ما للمسلمين من التحية وغيرها

(تنبيـــه)

قال المجلسي في البحار ج١٨ جزء الصلاة ص٦١٢ بعد ذكر السند

قال رسول الله (ص) ان في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها يسكنها من امتي من اطاب الكلام واطعم الطعام وافشى السلام وصلى بالليل والناس نيام ، فقال علي (ع) يا رسول الله ومن يطيق هذا من امتك ؟ فقال يا علي او ما تدري ما اطابة الكلام ؟ من قال إذا اصبح وامسى سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر عشر مرات ، واطعام الطعام نفقة الرجل على عياله ، واما الصلاة بالليل والناس نيام ، فمن صلى المغرب والعشاء الآخرة وصلاة الغداة في المسجد في جماعة فكانما احيا الليل كله ، وافشاء السلام ان لا يبخل بالسلام على احد من المسلمين .

قوله تعالى : (وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمناً إلا خطأ ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلّمة الى اهله إلا ان يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلّمة إلى اهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما) (١)

ان الله عز وجل قد بين لامة محمد في هذه الآية حكم المؤمن الذي يقتل مؤمناً ، والقتل لا يخلو اما ان يكون عن عمد او عن خطأ ، اما قتل العمد فلا يمكن ان يصدر عن مؤمن لان الله قد نهى عنه المؤمنين فمن كان مؤمنا لا يفعل ما نهاه الله عنه ، ولذا نفاه الله عنه بقوله (وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمناً) اي من صدر منه قتل المؤمن فليس بمؤمن ، واما قتل الخطأ فيمكن ان يصدر من المؤمن فاذا اتفق ذلك منه فلابد له من تدارك هذا الخطأ والتخلص من تبعة هذا القتل لان دم المؤمن محترم وان وقع خطأ ، وقد بين الله في هذه الآية كيفية

(١) النساء آية ٩٢ .

التخلص من تبعة قتل المؤمن ، وقد جعل المؤمن المقتول على ثلاثة اقسام

الاول : ان يكون المقتول مؤمنا ويكون قومه مؤمنين فهذا عليه ان يعتق رقبة مؤمنة وان يسلم الدية الى اهله ، والدية مائة من الابل او الف دينار ذهب ، او عشر الآف او اثني عشر الف درهم فضة .

الثاني : ان يكون المقتول مؤمناً ولكن قومه غير مؤمنين يعني يكون قومه من الكافرين وهؤلاء على قسمين لان الكافرين اما محاربين واما من اهل الذمة ، وهذا الثاني ذكر فيه المحاربين فيكون كيفية التخلص من تبعته ان يعتق رقبة مؤمنة فقط وليس عليه دية حيث ان قوم المقتول من الكافرين فلا يدفع لهم الدية .

الثالث : هو القسم الثاني من الكافرين وهم غير المحاربين اي من كان لهم مع المسلمين ميثاق وذمة وهم يؤدون الجزية الى المسلمين ولكن المقتول من المؤمنين وهذا يكون التخلص من تبعة قتله بان يدفع الدية إلى أهله ويعتق رقبة مؤمنة ، وان لم يجد رقبة مؤمنة صام شهرين متتابعين ، وقال بعضهم في هذه الصورة ان المقتول وان لم يكن مؤمناً فعلى القاتل ان يمتثل الحكم المذكور . هذا كله بالنسبة الى قتل الخطأ .

واما قتل العمد فقد اخبر الله عنه بقوله .

(ومن يقتل مؤمناً متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذاباً عظيما) (١) لقد تقدم في سورة البقرة حكم القتل عمدا وما يترتب على القاتل من القصاص وهي العقوبة في الدنيا وفى هذه الآية ذكر الله العقوبة الاخروية وهي الخلود في نار جهنم وحلول غضب الله عليه واللعنة من الله والعذاب العظيم فهذه اربعة انواع من العقاب كتبها الله على قاتل المؤمن عمدا كل نوع منها بانفراده لا تتحمله

---

(١) النساء آية ٩٣ .

الجبال ولا تطيقه السموات والارض ، فكيف بهذا الجسم الضعيف وهل يطيق ان يتحمل هذه الانواع الاربعة ، او هل يطيق تحمل واحد منها او هل يطيق تحمل جزء الواحد منها هذا الانسان الضعيف الذي لا يطيق الحر ولا البرد ، ولا يطيق الصبر على لذع البقة او البرغوث كيف يتحمل هذا كله ، وهل يفكر من يقدم على قتل المؤمن في هذه الامور الاربعة وهل يعرفها بحقيقتها فالاولى والانسب ذكر شيء من اوصاف هذه الامور الاربعة التي اعدها الله لقاتل المؤمن حتى يتنبه من يريد ان يفعل ذلك والذي يعينه او يسبب له ذلك فلعله يرتدع عن نيته .

أما جهنم وصفاتها فكل احد قد سمع به ، وكلامنا يكون مع المصدق بذلك ، اما المكذب به فلسنا معه ولا هو معنا . وقد نزلت آيات عديدة في وصفها نذكر بعضها هنا ، منها قوله تعالى : (انا اعتدنا للظالمين ناراً احاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً) (١) وقوله تعالى : (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق) (٢) ، وقوله تعالى : (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) (٣) وقوله تعالى : (ثم انكم ايها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منه البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم يوم الدين) (٤)

---

(١) الكهف آية ٢٩ .

(٢) الحج آية ١٩ ـ ٢٢ .

(٣) النساء آية ٥٦ .

(٤) الواقعة آية ٥١ ـ ٥٦ .

وقوله تعالى : (ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا لابثين فيها احقاباً لا يذوقون فيها بردا ولا شراباً إلا حميما وغساقاً جزاء وفاقاً انهم كانوا لا يرجون حساباً وكذبوا بآياتنا كذابا وكل شيء احصيناه كتابافذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً) (١) وقوله تعالى : (خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه) (٢) .

تفسير الفخر الرازي ج٣١ ص١٣ واعلم ان الاحقاب واحدها حقب وهو ثمانون سنة عند اهل اللغة ، والحقب السنون واحدتها حقبة ، وهي زمان من الدهر لا وقت له ثم نقل عن المفسرين فيه وجوه :

(احدها) قال عطاء والكلبي ومقاتل عن ابن عباس فى قوله : (احقابا) الحقب الواحد بضع وثمانون سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما واليوم الف سنة من ايام الدنيا ونحو هذا روى ابن عمر مرفوعا

(وثانيها) سأل هلال الهجري علياً عليه السلام فقال : الحقب مائة سنة والسنة اثنا عشر شهرا والشهر ثلاثون يوماً واليوم الف سنة

(وثالثها) قال الحسن الاحقاب لا يدري احد ما هي ولكن الحقب الواحد سبعون الف سنة اليوم منها كالف سنة مما تعدون ، وقد اشتمل القرآن على كثير من الآيات فى وصف جهنم وانواع عذابها

وفي تفسير القمي فى قوله تعالى : (لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم) ان الله جعلها سبع دركات اعلاها (الجحيم) يقوم اهلها على الصفا منها تغلى ادمغتهم فيها كغلي القدور بما فيها .

قال احد العلماء حين ذكر هذه الجملة (بيان) الصفا الحجر الصلب الضخم الذي لا ينبت) ثم قال القمي في تفسيره : (والثانية)

---

(١) النبأ آية ٢١ ـ ٣٠ .

(٢) الحاقة آية ٣٠ ـ ٣٢ .

(لظى) نزاعة للشوى تدعو من ادبر وتولى وجمع فاوعى) ، (والثالثة) (سقر) لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر ، (والرابعة) (الحطمة) ومنها يثور (شرر كالقصر كانه جمالة صفر) تدق كل من صار اليها مثل الكحل فلا يموت الروح كلما صاروا مثل الكحل عادوا (والخامسة) (الهاوية) فيها ملأ يدعون يا مالك اغثنا فاذا اغاثهم جعل لهم آنية من صفر من نار فيها صديد يسيل من جلودهم كانه مهل فاذا رفعوه ليشربوا منه تساقط لحم وجوههم فيها من شدة حرها وهو قول الله عز وجل (وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا) ومن هوى فيها هوى سبعين عاماً في النار كلما احترق جلده بدل جلدا غيره ، (والسادسة) هي (السعير) فيها ثلثمائة سرادق من نار في كل سرادق ثلثمائة قصر من نار ، وفي كل قصر ثلثمائة بيت من نار وفي كل بيت ثلثمائة لون من عذاب النار فيها حيات من نار وعقارب من نار وجوامع من نار وسلاسل من نار واغلال من نار ، وهو الذي يقول الله عز وجل : (انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا) ، (والسابعة) (جهنم) وفيها الفلق وهو جب في جهنم اذا فتح اسعر النار سعرا وهو اشد النار عذابا ، واما صعودا اي في قوله تعالى : (سارهقه صعودا) فجبل من صفر من نار وسط جهنم واما (اثاما) فهو واد من صفر مذاب يجري حول الجبل فهو اشد النار عذابا ، والآيات في هذا الباب كثيرة . واما الاخبار فاكثر من الكثير .

فمنها ما عن الخصال عن اسحق بن عمار عن الكاظم (ع) قال يا اسحق ان في النار لواديا يقال له سقر لم يتنفس منذ خلقه الله تعالى لو اذن الله عز وجل له في التنفس بقدر مخيط لاحترق ما على وجه الارض وان اهل النار ليتعوذون من حر ذلك الوادي ونتنه وقذره وما

اعد الله فيه لاهله ، فان فى ذلك الوادي لجبلا يتعوذ جميع اهل ذلك الوادي من حر ذلك الجبل ونتنه وقذره وما اعد الله فيه لاهله ، وان في ذلك الجبل لشعبا يتعوذ جميع اهل ذلك الجبل من حر ذلك الشعب ونتنه وقذره وما اعد الله فيه لاهله ، وان في ذلك الشعب لقليبا يتعوذ جميع اهل ذلك الشعب من حر ذلك القليب ونتنه وقذره وما اعد الله فيه لاهله ، وان في ذلك القليب لحية يتعوذ جميع اهل ذلك القليب من خبث تلك الحية ونتنها وقذرها وما اعد الله فى انيابها من السم لاهلها وان في جوف تلك الحية لصناديق فيها خمسة من الامم السالفة واثنان من هذه الامة ، قال جعلت فداك ومن الخمسة ومن الاثنان ؟ قال : فاما الخمسة فقابيل الذى قتل هابيل ، ونمرود الذي حاج ابراهيم في دينه فقال انا احيي واميت ، وفرعون الذي قال انا ربكم الاعلى ، ويهود الذي هودّ اليهود وبولس الذي نصرّ النصارى . ومن هذه الامة اعرابيان اشار الى قوله تعالى : (الاعراب اشد كفراً ونفاقا) .

وفي الخصال عن النبي (ص) قال تكلم النار يوم القيامة ثلاثة اميراً وقاريا وذا ثروة من المال ، فتقول للأمير يا من وهب الله له سلطانا فلم يعدل فتزدرده كما يزدرد الطير حب السمسم ، وتقول للقارىء يامن تزين للناس وبارز الله بالمعاصي فتزدرده ، وتقول للغني يا من وهب الله له دنياً كثيرة واسعة في غنى يسأله الفقير الحقير اليسير قرضا فابى إلا بخلا فتزدرده . وفي كتاب امير المؤمنين علي بن ابي طالب لاهل مصر في وصف النار قال (قعرها بعيد وحرها شديد وشرابها صديد وعذابها جديد ومقامعها حديد لا يفتر عذابها ولا يموت ساكنها دار ليس فيها رحمة ولا تسمع لاهلها دعوة) .

وروى السيد ابن طاووس من كتاب زهد النبي (ص) عن

ابي جعفر احمد القمي عن علي (ع) ان النبي (ص) قال والذي نفس محمد بيده لو ان قطرة من الزقوم قطرت على جبال الارض لساخت إلى اسفل سبع ارضين ولما اطاقته فكيف بمن هو طعامه ، والذى نفسي بيده فلو ان قطرة من غسلين قطرت على جبال الارض لساختها الى اسفل سبع ارضين ولما اطاقته فكيف بمن هو شرابه ، والذي نفسي بيده لو ان مقمعا واحدا بما ذكره الله في كتابه وضع على جبال الارض لساخت الى اسفل سبع ارضين ولما اطاقته فكيف بمن يقع عليه يوم القيامة فى النار ، ويقول الامام كما في الصحيفة السجادية في دعائه بعد صلاة الليل اللهم اني اعوذ بك من نار تغلظت بها على من عصاك وتوعدت بها من صدف عن رضاك ، ومن نار نورها ظلمة وهينها اليم وبعيدها قريب ، ومن نار يأكل بعضها بعضاً ويصول بعضها على بعض ، ومن نار تذر العظام رميما وتسقى اهلها حميما ، ومن نار لا تبقى على من تضرع اليها ولا ترحم من استعطفها ولا تقدر على التخفيف عمن خشع لها واستسلم اليها تلقى سكانها بأحر ما لديها من أليم النكال وشديد الوبال ، واعوذ بك من عقاربها الفاغرة افواهها وحياتها الصالقة بانيابها وشرابها الذي يقطع امعاء وافئدة سكانها وينزع قلوبهم ، واستهديك لما باعد منها واخر عنها .

وقال أمير المؤمنين (ع) كما في النهج واعلموا عباد الله انه ليس لهذا الجلد الرقيق صبر على النار فارحموا نفوسكم فانكم قد جربتموها في مصائب الدنيا فرأيتم جزع احدكم من الشوكة تصيبه والعثرة تدميه والرمضاء تحرقه فكيف إذا كان بين طابقين من نار ضجيع حجر وقرين شيطان ، أعلمتم أن مالكا إذا غضب على النار حطم بعضها بعضا لغضبه واذا زجرها توثبت بين أبوابها جزعاً من زجرته . أيها اليفن الكبير

الذي قد لهزه القتير كيف بك إذا التحمت أطواق النار بعظام الاعناق ونشبت الجوامع حتى أكلت لحوم السواعد فالله الله معشر العباد وانتم سالمون في الصحة قبل السقم وفي الفسحة قبل الضيق فاسعوا في فكاك رقابكم من قبل ان تغلق رهائنها .

هذا هو النوع الأول من عقاب قاتل المؤمن عمداً المذكور فى قوله تعالى : (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها) فقد سمعت بعض أوصاف جهنم . وأما الخلود فمعناه ظاهر معروف ليس له آخر ولا انتهاء ولا ينقضي أي ان العذاب ابداً ودائماً ، ومعنى الابدي في الدنيا هو مدة العمر وكذلك معنى الابدي في الآخرة ، وان الاخرة ليس فيها موت ابداً فالعذاب يبقى ما دام الانسان .

النوع الثاني من عقاب قاتل المؤمن هو المنوه عنه بقوله تعالى : (وغضب الله عليه) ينبغي لمن قتل مؤمناً أو سبب ذلك أو أعان عليه أن يعرف معنى غضب الله وهل انه يطيق ذلك فان معنى غضب الله على عبده هو إرادة عقابه ، فاذا اراد الله عقابه هل يتمكن العبد ان يدفع ذلك العقاب عن نفسه أو يعتصم بأحد فينجيه من ذلك العقاب او يخفف عنه شيئاً منه ؟ كلا ان ذلك لا يمكن أبداً . وقد ورد ان الحواريين قالوا لعيسى بن مريم (ع) يا معلم الخير أعلمنا أي الاشياء اشد ؟ فقال اشد الاشياء غضب الله عز وجل قالوا فبم يتقى غضب الله ؟ قال بان لا تغضبوا . قالوا وما بدءو الغضب ؟ قال الكبر والتجبر ومحقرة الناس وينبغي لكل مسلم ان يتذكر ان الله اوجب عليه في كل يوم وليلة خمس فرائض واوجب عليه ان يتعوذ بالله في كل فريضة من غضب الله حيث يقرأ الفاتحة ويقول فيها (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) وكل من يقدم على قتل

مؤمن فقد احل بنفسه غضب الله وجره على نفسه فهو كاذب حيث يتعوذ منه في صلاته وينبغي للمؤمن ان يلتفت الى نفسه ولا يلقيها فى هـــذا الأمر العظيم .

النوع الثالث من عقاب قاتل المؤمن هو الذي نوه الله عنه بقوله (وغضب الله عليه ولعنه) فانه يستحق اللعن من الله .

قال فى النهاية : اللعن الطرد والابعاد من الله تعالى فيكون القاتل مطروداً ومبعداً عن الله ومن طرده الله هل يرجى له ان يعود الى قربه ورحمته فهو بعيد عن رحمة الله وبعيد عن عفوه وبعيد عن جنته وبعيد عن شفاعة الشافعين للمذنبين ، ان الذي يبعده الله يبعده أيضاً انبياء الله وملائكته وعباده الصالحون ولا يقرّبه أحد ، ومن كان بعيداً عن الله كان من الهالكين .

فعن الكافي قال : روي عن النبي (ص) قال لعن الله المحلل والمحلل له ، ومن توالى غير مواليه ، ومن ادعى نسباً لا يعرف ، والمتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال .

ومن احدث حدثاً في الاسلام او آوى محدثاً ، ومن قتل غير قاتله أو ضرب غير ضاربه ، ومن لعن ابويه ، فقال رجل يا رسول الله أيوجد رجل يلعن ابويه ؟ فقال : نعم يلعن آباء الرجال وامهاتهم فيلعنون ابويه

النوع الرابع من عقاب قاتل المؤمن هو ما ذكره الله بقوله (واعد له عذاباً عظيماً) .

ان الذي يظهر من الآيات ومن الاخبار ان العذاب في جهنم يختلف شدة وضعفاً وان طبقاتها ودركاتها يختلف عذابها وليست متساوية وان بعض العباد الكفرة او العصاة يكون عذابهم شديداً ، وان قاتل المؤمن فعذابه عظيم كما ذكر فى الآية ، وان الشيء الذي يعبر الله عنه بكلمة

عظيم فهو من اعظم الاشياء ولا يمكن ان يتصوره العقل البشري . وقد روي عن حمران قال . قلت لابي جعفر (ع) قول الله عز وجل (من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا) وانما قتل واحداً فقال (ع) يوضع في موضع من جهنم اليه منتهى شدة عذاب أهلها لو قتل الناس جميعاً كان انما يدخل ذلك المكان ، قلت فانه قتل آخر قال يضاعف عليه . وروي عن ابي جعفر قال من قتل مؤمناً متعمدا اثبت الله عزوجل على قاتله جميع الذنوب وبرىء المقتول منها ، وذلك قول الله عز وجل (اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار) وعن أبي عبد الله عليه السلام قال لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً .

وروي عن النبي (ص) قال : لزوال الدنيا ايسر على الله من قتل المؤمن ، وقال لو ان أهل السموات السبع وأهل الارضين السبع اشتركوا في دم مؤمن لاكبهم الله جميعا في النار ، وعن الصادق (ع) قال : اوحى الله الى موسى بن عمران يا موسى قل للملأ من بني اسرائيل اياكم وقتل النفس الحرام بغير حق ، فمن قتل منكم نفساً في الدنيا قتله الله في النار مائة قتلة صاحبه .

وعن ابي سعيد الخدري قال وجد قتيل على عهد رسول الله (ص) فخرج مغضباً حتى رقى المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال يقتل رسول من المسلمين لا يدرى من قتله ، والذي نفسي بيده لو ان اهل السموات والارض اجتمعوا على قتل مؤمن او رضوا به لادخلهم الله في النار ، والذي نفسي بيده لا يجلد احد احداً ظلما الا جلد غداً في نار جهنم مثله ، والذي نفسي بيده لا يبغضنا اهل البيت احد الا اكبه الله على

وجهه في نار جهنم ، فيكون قاتل المؤمن مستحقاً لهذه الانواع الاربعة او الخمسة اذا جعلنا دخول النار نوعاً والخلود فيها نوعا آخر نسأل الله ان يجيرنا من قتل المؤمن. اما الاعانة عليه فقد سمعت قول النبي (ص) لو اشترك اهل السموات والارض في قتله لدخلوا النار كلهم ، وقد روي عن الصادق (ع) قال يجيء يوم القيامة رجل الى رجل حتى يلطخه بدم والناس في الحساب فيقول يا عبد الله مالي ولك فيقول اعنت علي يوم كذا وكذا بكلمة فقُتِلْتُ .

هذا كله لمن يقتل مؤمناً في دار الدنيا فيشفي غيظه ويرضي نفسه وهواه وشيطانه ولنختم الموضوع بآية تخبر عن ختم أفواههم قال تعالى : (ألم أعهد إليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم ولقد اضل منكم جبلا كثيراً أفلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) (١) هذه هي المرحلة النهائية فليحذرها من يعقل ومن زعم انه يعقل ومع ذلك يلقي بنفسه في النار يقال له (أفلم تكونوا تعقلون)

قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمَنّ الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيراً) (٢) .

إن هذه الآية من توابع الآية التي قبلها التي ذكرت فيها الشدة والغلظة في قتل المؤمن وان تلك الأنواع من العقاب قد جعلها الله على

(١) يس آية ٦٠ ـ ٦٥ .
(٢) النساء آية ٩٤ .

قاتل المؤمن المحقق الايمان عند القاتل ، وفي هذه الاية يذكر حكم قتل الانسان المشكوك الايمان وهو الذي يظهر علامة من علائم الايمان ولكن المسلم لا يعتقد بايمانه فيقتله ، وان الله لا يرضى لهذا القاتل ان يرتكب هذا الفعل لمجرد الشك في قوله وعدم الاطمئنان بايمانه ، ويعلمنا ويرشدنا إلى ما يريده منا في هذا الباب فقد امرنا بعد ان نادانا بقوله (يا أيها الذين آمنوا) ثم وصف فعلنا الذي اتينا به بانه خالص لله ليس فيه شائبة دنيوية فقال : (اذا ضربتم في سبيل الله) ليكون تحركنا من مكاننا وطي المسافة التي بين وطننا وبين المحل المقصود هو كونه في سبيل الله ولنصرة دينه وتأييد الاسلام ولمحق كلمة الكفر ، وهذا الشرط يلزم ان يكون ملازماً لاول حركة نتحركها ناوين بها السفر وقطع المسافة لاجل غزو العدو ، وبحيث لم تكن نيتنا لاجل غنم الأموال فاذا خلصت النية وصحت السريرة وضربنا في الارض قاصدين وجه الله يلزمنا على هذا ان نعامل الناس على مايظهر على لسانهم من الأقوال ولا يجوز لنا ان نعاملهم على خطرات قلوبنا فان سمعنا منهم اعترافاً بكلمة الشهادة التي امرنا النبي (ص) بالتلفظ بها اول بعثته وهي : (اشهد ان لا إلــه إلا الله وأشهد ان محمداً رسول الله) فهذا يكفي في حقن دمه وماله ، واذا حيانا بتحية الاسلام وقال السلام عليكم فهذا يكفي في الدلالة على كونه مسلماً ، وقد امرنا الله إذا كانت نياتنا على ما وصفه في سبيل الله فقال (فتبينوا) اي إذا ظهرت منه إحدى العلامات الدالة على الاسلام يلزمكم التثبت والتأني والاستفسار عن حاله حتى تظهر لكم جلية امره ولا تسارعوا الى تكذيبه فتقولوا لـه (لست مؤمناً) ثم تقتلوه وتأخذوا أمواله وغرضكم من هذا التكذيب أخذ الأموال واكتسابها وهذا يكشف عن عدم كون غرضكم الأول انه في

سبيل الله ولوجه الله فينبغي لكم بعد ما عرفتم الحكم ان تكفوا عن قتل كل من ظهرت منه امارة تدل على الاسلام ولا تردوا عليـــه بانك مؤمناً أو لست مؤمناً ، واذا اردتم عرض الدنيا اي الأموال التي تكون لكم في الدنيا وهي عرض زائل سريع الزوال (فعنـد الله مغانم كثيرة) اي ان الله هو مسبب الاسباب وهو رازق العباد وهو الذي يدلكم على ماتغنمون منه الأموال ، فلا تأخذوا بما لا يرضى به الله ونهاكم عنه ولا تطمعوا بالمال بسبب قتل من أظهر لكم الاسلام بذكر الشهادة او بالتحية الاسلامية فان الله عنده مغانم الآخرة بالاضافة إلى مغانم الدنيا وهي كثيرة دائمة ، ومغانم الدنيا عرض زائل فلا ترغبوا بالزائل وتزهدوا بالدائم ، بل ينبغي للعاقل ان يرغب بالدائم الكثير ويزهد بالزائل القليل

ثم ان الله عز وجل خاطب القوم الذين لم يثقوا بقول من أدى الشهادة أو التحية الاسلامية ولم يجعلوها دالة على اسلامه فقال لهم انكم كنتم مثلهم فى اول امركم وقد قبلت منكم هذه العلامة الاسلامية وقد حقنتم بها دمكم وحفظتم بها اموالكم فلماذا لم تعاملوا هذا الرجل كما عاملكم من كان قبلكم مسلما فقال تعالى : (كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم) أي ان هذا الذي قتلتموه كما كان مستخفياً من قومه خوفاً على نفسه كذلك كنتم انتم مستخفين بدينكم من قومكم خوفاً على انفسكم او كما انكم كنتم كفاراً ، فهداكم الله كذلك كان هذا الذى قتلتموه كافراً فهداه الله ، او كما انكم كنتم في ابتداء اسلامكم اذلاء واحاداً اذا سار رجل منكم خاف ان يختطف كذلك صار هذا الرجل فلا ينبغي للمسلم ان يقتله ويأخذ أمواله فانما كان خوفكم وخوفه من الكافرين لا من المسلمين فانعكس الأمر وصار المرء المسلم يحذر من المسلمين وان حياهم بتحية الاسلام واعترف بالشهادة لله بالوحدانية وللنبي بالرسالة

فلا يليق بكم يا ايها الذين آمنوا ان تقولوا لمن اظهر الاسلام لست مؤمناً بل تبينوا حتى ينكشف لكم الأمر ، فقد كرر الامر بالتبين مرتين مرة في اول الآية ليكون عملنا على ذلك ومرة في آخر الآية بعد ما بين لنا انا كنا كذلك في بدء اسلامنا خائفين مستخفين اذلاء ، ثم قال : (فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيراً) اي منّ عليكم باظهار دينه بعد ما كنتم مستخفين فيه متكتمين في ايمانكم واعزاز اهله بعد ما كانوا اذلاء خائفين من أهل الشرك ، وقيل معنى منّ عليكم أى تاب عليكم بعد ما فعلتم هذه الفعلة وهي قتل من اظهر لكم الاسلام فتبينوا بعد هذا ولا تعودوا لمثلها .

قال في مجمع البيان فانه قد قيل في سبب النزول انها نزلت في اسامة بن زيد واصحابه بعثهم النبي في سرية فلقوا رجلا قد انحاز بغنم له الى جبل وكان قد اسلم فقال لهم السلام عليكم لا إله إلا الله محمد رسول الله فبدر إليه اسامة فقتله واستاقوا غنمه عن السدى ، وروي عن ابن عباس وقتادة انها لما نزلت الآية حلف اسامة ان لا يقتل رجلا قال لا إله إلا الله وبهذا اعتذر إلى علي لما تخلف عنه وان كان عذره غير مقبول لانه قد دل الدليل على وجوب طاعة الامام في محاربة من حاربه من البغاة ولا سيما وقد سمع النبي (ص) يقول حربك ياعلي حربي وسلمك سلمي ، وقيل نزلت في محلم بن جثامة الليثي وقد بعثه النبي (ص) في سرية فلقيه عامر بن الاضبط الاشجعي فحياه بتحية الاسلام وكان بينهما احنة فرماه بسهم فقتله فلما جاء الى النبي (ص) جلس بين يديه وسأله ان يستغفر له فقال (ص) لاغفر الله لك فانصرف باكياً فما مضت عليه سبعة أيام حتى هلك فدفن فلفظته الارض فقال النبي لما اخبر به ان الارض تقبل من هو شر من محلم صاحبكم ولكن

الله اراد ان يعظم من حرمتكم ثم طرحوه بين صدفي جبل والقوا عليه الحجارة فنزلت الآية . عن الواقدي ومحمد بن اسحق بن يسار رواية عن ابن عمر وابن مسعود وابي حدود ، وقيل كان صاحب السرية المقداد عن سعيد بن جبير ، وقيل ابو الدرداء عن ابن زيد انتهي ماقي المجمع

هذا كله بالنسبة الى قتل النفس واخذ مال المقتول سواء أكان في ذلك الزمان أم في زماننا هذا ، فان النبي (ص) قال : (من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله حقن ماله ودمه وعرضه) فكل من قالها يكون محرم الدم والمال . أما بالنسبة إلى بقية الأحكام التي تترتب على الاسلام فلا يمكن الحكم بها إلا بعد ثبوت كونه مؤمناً حقيقياً فان الله قد ذكر في آيات كثيرة ان من اتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين فانه لا يعد من المؤمنين ، وقد كان في ذلك الزمان جماعة كثيرة ممن اظهروا الاسلام يتخذون اليهود والنصارى اولياء من دون المؤمنين فسماهم الله منافقين وعرّف النبي (ص) فكان يحذرهم ، وما كان يظهر عليهم شيء في الخارج ولا يعرفهم أحد غير النبي ومن أخبره النبي بهم ، أما في زماننا هذا فان جماعات المسلمين قد تفرقوا فرقاً كثيرة وصاروا احزاباً وكل حزب يدعو إلى مبدأ الحادي بصريح القول بلا خوف ولا حياء وإذا اجتمع مع المؤمنين يدعي انه منهم فهذا وان كان هو بذاته لا يعمل بمضمون الآية لانا رأيناهم لما تمكنوا من بعض الأمر صاروا يقتلون أهل كلمة لا إله إلا الله بالجملة بل جعلوا يقتلون كل من لم يدخل في حزبهم ولم ينتم اليهم ويستحلون اموالهم واعراضهم ، ولكن المؤمن المطيع لله وللرسول وان لم يعتبر هؤلاء القوم من المسلمين ولكن لا يقدم على قتلهم ولا يستحل أموالهم لانهم يقولون لا إله إلا الله .

ثم قال تعالى فى آخر الآية : (ان الله كان بما تعملون خبيراً)

يعلم ما انطوت عليه قلوبكم من خير او شر ، فان في هذه الجملة وعد للمطيعين ووعيد للعاصين ، فان الله خبير بما ينوي العبد قبل ان يتكلم به أو يفعله نسأله تعالى حسن العاقبة .

قوله تعالى : (انا انزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما) (١) .

الكتاب المنزل على النبي (ص) هو القرآن الكريم ، والقرآن فيه علم ما كان وما يكون وحكم ما كان وما يكون الى يوم القيامة ، وان الله يقول لرسوله انا انزلنا إليك هذا القرآن الذي فيه حكم كل شيء وكل خبر من اخباره حق وكل حكم من احكامه حق ، وبعد ان علمك الله تأويل هذا الكتاب وتفسيره فصرت ترى الاحكام الحقة الحقيقية كلها رأي العين كانها مصورة مجسمة لك كل ذلك لاجل ان تحكم بين الناس فيما يقع بينهم من التخاصم والتنازع على الامور الدنيوية ، ولكي تعلمهم من أحكام دينهم التي يحتاجونها لآخرتهم ، فان البشر لابد لهم من حاكم يحكم بينهم بالعدل ، وان العدل الحقيقي لا يعرف إلا من قبل الله تعالى وقد بينه الله لك يا ايها الرسول في مضامين هذا الكتاب ، فاللازم عليك أن يكون حكمك بين الناس مطابقاً لاحكام القرآن حرفياً فان الانحراف عنه قد يوقع الحاكم في الزلل فيكون مساعداً للخائن من المتخاصمين فيحيف على صاحب الحق فيغدر حقه ، فان النبي وان كان منزهاً عن الانحراف ولكن الله ذكر له هذا الامر ليكون قانوناً كلياً لكل من يجلس على كرسي القضاء فان الله يخبره وينذره بلزوم مطابقة حكمه للقرآن واخذ احكامه من القرآن ، فالقاضي الذي يقضي بين الناس يلزمه معرفة ما في القرآن من الاحكام ومعرفة الحلال والحرام منها

---

(١) النساء آية ١٠٥ .

ومعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص وإلا فليس له حق القضاء ويلزمه بعد معرفة الأحكام ان يكون عادلاً مخالفاً لهواه حتى لا يميل الى احد المتخاصمين ولو كان من احب الناس إليه واعزهم عليه .

ولقد ذكروا في سبب نزول الآيه كما فى التبيان انها نزلت فى بني ابيرق كانوا ثلاثة اخوة بشر وبشير ومبشر ، وكان بشر يكنى أبا طعمة فنقبوا على عم قتادة بن النعمان واخذوا له طعاما وسيفاً ودرعا فشكى ذلك إلى ابن اخيه قتادة وكان قتادة بدرياً فجاء الى رسول الله (ص) فذكر له القصة وكان معهم في الدار رجل يقال له لبيد بن سهل وكان فقيراً شجاعاً مؤمناً فقال بنو ابيرق لقتادة هذا عمل لبيد بن سهل فبلغ لبيداً ذلك فاخذ سيفه وخرج اليهم وقال يا بني ابيرق اترمونني بالسرق وانتم اولى به مني وانتم المنافقون تهجون رسول الله (ص) وتنسبون الى قريش لتبيننن ذلك او لاضعن سيفى فيكم ، فداروه وقالوا ارجع رحمك الله فانت بريء من ذلك ، وبلغهم ان قتادة مضى الى رسول الله (ص) فمشوا الى رجل من رهطهم يقال له اسير بن عروة وكان منطقيا لسناً فاخبروه فمشى اسير الى رسول الله (ص) فى جماعة فقال يارسول الله ان قتادة بن النعمان رمى جماعة من اهل الحسب منا بالسرق واتهمهم بما ليس فيهم ، وجاء قتادة الى النبي (ص) فاقبل عليه النبي (ص) وقال عمدت الى اهل بيت حسب ونسب رميتهم بالسرق وعاتبه ، فاغتم قتادة ورجع إلى عمه فقال ليتني مت ولم اكن كلمت رسول الله (ص) فقد قال لي ما كرهت ، فقال عمه الله المستعان فنزلت هذه الآية (ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئاً) يعني لبيد بن سهل حين رماه بني ابيرق بالسرق (فقد احتمل بهتانا واثما مبينا) الى قوله (وكان فضل الله عليك عظيما) فبلغ ذلك بنو ابيرق فخرجوا من المدينة ولحقوا

بمكة وارتدوا فلم يزالوا بمكة مع قريش فلما فتح النبي مكة هربوا إلى الشام فانزل الله فيهم : (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى) إلى آخر الآيات ، ولما مضى إلى مكة نزل على سلامة بنت سعد بن شهيد امرأة من الأنصار كانت ناكحا في بنى عبد الدار بمكة فهجاها حسان فقال :

وقد انزلته بنت سعد واصبحت ينازعها جلد استها وتنازعه
ظننتم بان يخفى الذي قد صنعتم وفينا نبي عنده الوحى واضعه

فحملت رحله على رأسها والقته بالابطح وقالت ما كنت تأتيني بخير اهديت الي شعر حسان ونزل فيه قوله (ومن يشاقق الرسول) هذا قول مجاهد وقتادة بن النعمان وابن زيد وعكرمة إلا ان قتادة وابن زيد وعكرمة قالوا ان بنى ابيرق طرحوا ذلك على يهودى يقال له زيد ابن السمين فجاء اليهودى الى رسول الله ، وبمثله قال ابن عباس . وقال ابن جريج هذه الآيات كلها نزلت في ابي طعمة بن ابي ابيرق الى قوله (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وقال رمى بالدرع في دار ابي مليك بن عبد الله الخزرجي فلما نزل القرآن لحق بقريش انتهى ما في التبيان .

وبعد ما عرفنا سبب نزول الآيات تبين من اقوال المفسرين ان القضية التي كانت سبباً لنزول الآيات هي قضية خيانة ممن سمى نفسه مسلماً ثم اتهم شخصا بريئاً بالخيانة التي ارتكبها ، فان اقوالهم وان اختلفت إلا انهم اتفقوا على اصل القضية .

ثم ان الله تعالى من رحمته لعباده ورأفته بهم يريد ان يصل كل ذي حق الى حقه وان لا يظلم احد من العباد وان كان كافرا ، وقد امر ان يكون الحكام بين الناس من ذوي العلم والعدالة فذكر لنا في

آية ٥٨ من هذه السورة اشتراط العدالة وهي قوله : (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) وحيث ان الحكم بالعدل يشتبه على البشر ولا يمكن معرفته اوضحه لنا فى هذه الآية بقوله (انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله) فيكون الشرط في كل من يقضي بين الناس ان يكون عالماً باحكام القرآن تفصيلا .

ويشترط ايضا في القاضي ان لا يجزم ولا يعزم على شيء ولا يهم بشيء إلا بعد ان يعرف المحق والمبطل من المتخاصمين فانه قد ذكر ان النبي عاتب قتادة على نسبة السرق الى ابن ابيرق حيث ان قومه برأوه وبعضهم ذكر أنه همّ ان يحكم على اليهودى المتهم وحيث ان قتادة او اليهودي كانا بريئين مما نسب اليهما فان الله امر النبي (ص) بالاستغفار ووصفه بكونه مخاصما عن الخائن وهو لم يصدر منه إلا عتابا لقتادة او انه هم بالحكم ، فكيف بمن يعرف المحق والمبطل حق المعرفة ويميز بينهما وهو بصفته قاضياً ومع ذلك يريد أن يسلب حق المحق ويجعله للمبطل فكل من يريد ان يسلب شيئاً ليس له من صاحبه الحقيقي أو شيئاً قد سلبه من اهله وادعوا به ليستردوه وامتنع هذا الغاصب السالب من تمكين اهله منه فهو خائن ، وكل آمر أو مأمور أو موظف أو قاضٍ أو محام يساعد هذا الغاصب السالب على ظلمه فهو ممن تنطبق عليه الآية وكل محام يعلم بان هذا غاصب ويتوكل عنه ويدافع في المحاكم عنه فهو والغاصب سواء في الاثم بل قد يكون الاثم كله عليه . وارجو من كل من يساعد غاصب حقوق الناس ان يتأمل في قوله تعالى : (ولا تكن للخائنين خصيما) (واستغفر الله) . مع ان النبي قد جاءه جماعة من عشيرة الخائن فزكوه ومدحوه وقالوا انه شريف حسيب ولم يفعل النبي

إلا انه همّ أن يحكم على اليهودي للمسلم المزكى من جماعة المسلمين وقد امره الله بالاستغفار ، فكيف بك ايها المؤمن اذا جعلت حكما بين اثنين وعرفت المحق وعرفت الغاصب السالب ولكن الاول كان بعيداً عنك والثاني كان صديقاً لك أو ان الاول لم يقل لك شيئاً والثاني أسرّ في اذنك شيئاً وهذا السر عند الله ظاهر جلي له صوت جهوري وانت تظن انه خفي وهو اجلى من الشمس وسيكون مكشوفاً جليا يوم القيامة يعلن به على رؤس الاشهاد (ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله) . فتترك المحق وتحكم للخائن المبطل .

يقول امير المؤمنين (ع) في ذم القاضي الذي يقدم على القضاء بغير علم (فهو خائض عشوات ركاب شبهات خباط جهالات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ، ولا يعض في العلم بضرس قاطع فيغنم يذري الروايات ذرو الريح الهشيم . تبكي منه المواريث وتصرخ منه الدماء ، ويستحل بقضائه الفرج الحرام ويحرم به الحلال) .

قوله تعالى : (ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما) (١) .

ان الله عز وجل وجه النهى في هذه الآية لكل فرد من افراد العباد بقوله (ولا تجادل) ، اي ايها العبد المخلوق لله اذا كنت تريد الراحة لنفسك ولسائر الخلق ولكل ذكر وانثى ولكل صغير وكبير ولكل حر ومملوك ولكل مسلم ومعاهد فلا تجادل عن الذي يخون الناس في شيء من الاشياء ، فان الخائن اذا رأى الناس كلهم ضده وانهم غير راضين بعمله يقلع عن الخيانة لانه يريد ان يعيش مع الناس وبالخيانة يبتعد الناس عنه فيضطر الى تركها ، فانتم ايها العباد ايها البشر لا تجادلوا

---

(١) النساء آية ١٠٧ .

عنه لا تساعدوه ، انت ايها القاضي لا تجادل عنه ، وانت ايها الحاكم لا تداخي له ، وانت ايها المحامي لا تتوكل عنه .

آية فيها شدة وفيها صرامة لان المجادلة عن الخائن تشجعه على خيانته ، والحال ان الخيانة فساد في الارض ، وانتم ايها البشر لكم عقول تميز الحسن من القبيح وتعرفون ان الخيانة قبيحة ، الخيانة مفسدة في الارض ، الخيانة وان لم تكن معك فانها تضرك فان من خان غيرك اذا سكت عنه او جادلت عنه يخونك غدا ويجادل عنه شخص آخر فلا تقدر على استرداد حقك .

لمن يخون الخائن ؟

الخائن هو الذي يتعدى على مال غيره فيحوزه لنفسه ، او يتعدى على منصب غيره فيعزله ويجلس في مجلسه ، او يتعدى على عرض غيره فيتجاوز عليه ، فيقال فلان خان فلان ، وقد وصف الله الخائن لغيره بكونه خائناً لنفسه فقال (ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم) ، فكيف تتحقق خيانة المرء لنفسه هل يسرق مال نفسه لنفسه او يغتصب منصب نفسه لنفسه ؟ ! نعم انه يخون نفسه ويتحقق ذلك ماله عن نفسه او بسلب جاهه او منصبه او شرفه او غير ذلك ، فانه اذا خان غيره فسرق منه شيئاً من المتاع او سلبه منصبه او خانه في شيء آخر فانه سوف ينتقم منه ويقتص منه اما في الدنيا او في الآخرة او فيهما معا ، فانه اي الخائن قد خان نفسه اي سلب من نفسه شرفها ومروءتها ودينها وامانتها وسلب من نفسه عزها وسلب من نفسه سرورها وهناءها وراحتها وسلب نعيمها في الآخرة وجلب لنفسه العذاب والعقاب وسوء

الحساب ، ألا ترون بني ابيرق كيف سببوا على انفسهم فسلبوا راحتها وخرجوا فارين من دار الاسلام الى دار الشرك وصارت عاقبة امرهم ان ارتدوا مشركين ، ولما فتح النبي مكة فروا الى الشام فلم يقر لهم قرار في الدنيا وقرارهم في الآخرة النار ، واعظم كلمة قالها الله هي الجملة الاخيرة من الآية وهي قوله : (ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما) الخوان هو الذي يخون الناس بل يخون نفسه ، فان الله لا يحبه فاذا كان الله لا يحبه كيف تحبه انت ايها المؤمن وتجادل وكيف تجيب نفسك اذا سألتك لماذا تحب من لا يحبه الله ، فاذا قلت لا احبه فكيف تجادل عنه ، واذا قلت احبه فقد احببت من لا يحب الله فتكون انت مع الله ضدان لانك تحب من يكره الله هذا هو الخوان . واما الاثيم فهو الذي يخون ويرمي غيره بالخيانة ، هو الذي يرتكب الجريمة ويتهم غيره بارتكابها كما في قضية بني الابيرق فان الآيات كلها تتعلق بهذه القضية

نــداء لاخي المحامي :

ان هذه الآية تنطبق عليك اكثر مما تنطبق على غيرك وذلك اذا توكلت يوماً ما عن شخص وانت تعلم انه غير محق فاعلم قبل ذلك انت دخلت كلية الحقوق وطويت مراحلها الخمس وتحملت المشقات العظيمة وبعد ان نجحت وحصلت على الشهادة فلا تكن ممن يخون نفسه ، ولا تكن محبا لمن لا يحبه الله ، فانك قد حصلت على شهادة في الدنيا فاجتهد ان تحصل على شهادة في العقبي ، فان الحقوقي ينبغي ان يلاحظ جميع الحقوق ، حقوقه في الاولى وحقوقه في الاخرى فلا تضيع الاخرى بالحصول على الاولى وقد تضيع الاولى ايضا فتكون ممن خسر الدنيا والآخرة

(ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما) .

قال الفخر الرازي في تفسيره الكبير ج١١ ص٣٤ ثم قال تعالى : (ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما) والمراد بالذين يختانون انفسهم طعمة ومن عاونه من قومه ممن علم كونه سارقاً . والاختيان كالخيانة يقال خانه واختانه ، وذكرنا ذلك عند قوله تعالى : (علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم) وانما قال تعالى لطعمة ولمن ذب عنه انهم يختانون انفسهم لان من اقدم على المعصية فقد حرم نفسه الثواب واوصلها الى العقاب فكان ذلك منه خيانة مع نفسه ولهذا المعنى يقال لمن ظلم غيره انه ظلم نفسه .

واعلم ان في الآية تهديداً شديداً وذلك لان النبي عليه الصلاة والسلام لما مال طبعه قليلا الى جانب طعمة وكان في علم الله ان طعمة كان فاسقاً فالله تعالى عاتب رسوله على ذلك القدر من اعانة المذنب ، فكيف حال من يعلم من الظالم كونه ظالماً ثم يعينه على ذلك الظلم بل يحمله عليه ويرغبه فيه أشد الترغيب انتهى .

تفسير المراغي ج٥ ص١٤٨ الايضاح .

(انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله) اي انا انزلنا اليك هذا القرآن بتحقيق الحق وبيانه لاجل ان تحكم بين الناس بما اعلمك الله به من الاحكام .

(ولا تكن للخائنين خصيما) اي لا تكن لمن خان خصيما اي مخاصما ومدافعاً تدافع عنه من طالبه بحقه الذي خان فيه .

وخلاصة ذلك ـ ان عليك ألا تتهاون في تحري الحق اغتراراً بلحن الخائنين وقوة جدلهم في الخصومة لئلا تكون خصيما لهم وتقع في ورطة

الدفاع عنهم ، ويؤيد هذا حديث ام سلمة (انما انا بشر وانكم تختصمون الي ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فاقضي بنحو ما اسمع فمن قضيت له من حق اخيه شيئاً فلا يأخذه فانما اقطع له قطعة من النار) . (واستغفر الله) مما يعرض لك من شؤون البشر واحوالهم بالميل الى من تراه ألحن بحجته او الركون الى مسلم لاجل اسلامه تحسيناً للظن به ، فهذا ونحوه صورته صورة من اتى ذنبا يوجب الاستغفار وان لم يكن متعمداً للزيغ عن العدل والتحيز للخصم . . وفي هذا من زيادة الحرص على الحق والتشديد فيه ما لا يخفى . . حتى كأن مجرد الالتفات الى قول المخادع يجب الاحتراس منه .

كما ان فيه ايماء الى ان الاعتقاد الشخصي والميل الفطري والديني لا ينبغي ان يظهر لهما اثر في مجلس القضاء ، والى ان القاضي لا يساعد من ظن انه صاحب الحق بل عليه ان يساوي بين المتخاصمين في كل شيء

والنبي صلى الله عليه وسلم لم يحكم في هذه القضية قبل نزول الآيات ولم يعمل بغير ما يعتقد انه تأييد للمحق . . لكنه احسن الظن في امر بيّن له علام الغيوب حقيقة الواقع فيه وما ينبغي له ان يعامل به ذويه ثم رغبهم في المغفرة فقال :

(ان الله كان غفورا رحيما) اى انه تعالى مبالغ في المغفرة والرحمة لمن استغفره ، (ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم) هذا الخطاب وجه الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو اعدل الناس واكملهم مبالغة في التحذير من هذه الخلة المعهودة في كثير من الحكام وسمى خيانة غيرهم خيانة لانفسهم لان ضررها عائد اليهم ، والذين يختانون هم هـذا السارق ومن عاونه لانه شريك له في الاثم والخيانة ولهم نظراء في كل زمان ومكان .

وخلاصة المعنى ـ لا تدافع عن هؤلاء الخونة ولا تساعدهم عند التخاصم (ان الله لا يحب من كان خواناً اثيما) المراد بعدم الحب البغض والسخط ، اى ان الله يبغض من اعتاد الخيانة والفت نفسه اجتراح السيئات وضربت عليها ولم يعد للعقاب الالهي الرهبة والخشية التي ينبغي ان يفكر مثله فيها وانما يحب الله اهل الأمانة والاستقامة انتهى .

في ظلال القرآن سيد قطب ج٥ ط٢ ص٦٨ .

(انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما) من آية ١٠٥ ـ ١٢٦ قال بعدها :

كان الدرس الماضي درس الهجرة في سبيل الله ودرس الجهاد بكل ما فيه من تكاليف ومشقات وبكل مايستتبعه من عداء اقوام واتقاء اقوام ولقد سبق ان قلنا فى اوائل هذه السورة ان التكافل الانسانى هو الذي يلون جوها كله حتى حين يتحدث السياق عن القتال والجهاد ، فهو قتال لاقامة العدل ورفع الظلم عن الضعاف الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا

ولقد سبق الحديث عن الطاعة والنظام والحرب والقتال توجيه قوى الى الامانة والعدل . (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) .

فالآن بعد انتهاء الحديث عن الهجرة فى سبيل الله والقتال وما يستتبعه من عداوات ومن خصومات يعود السياق ليتحدث عن الحكم بين الناس وليذكر بالعدل الذي لا يؤثر فيه عداء ولا اختلاف عقيدة ، ولينهى عن الوقوف الى جانب الخائنين الذين يختانون انفسهم مشيراً بذلك الى حادثة وقعت في عهد الرسول (ص) واتهم فيها يهودي اتهاماً ظالماً فجاءت الآيات في صدر هذا الدرس لتبرئته ـ على ما سنفصل فيما بعد ـ محافظة على ذلك المبدأ الاساسي فى الاسلام مبدأ العدل المطلق

لجميع الناس .

ومن ثم دعوة الى طاعة الرسول في احكامه وتحذير من مشاقته التي تؤدي الى اتباع سبيل غير سبيل المؤمنين والى الاشراك بالله والركون الى الشيطان الذي توعد باضلال فريق من عباد الله بالأماني والوعود ، التي تخدعهم عن الجزاء الذي ينال المحسن وينال المسيء .

وفى نهاية الدرس تجيء القاعدة الاسلامية فى العمل والجزاء ، ان صاحب السوء يجزى به ، وصاحب الاحسان ، ولا محاباة في جزاء ولا تبديل لسنة الله التي لا تتبع اماني احد ولا دعاواه .

ثم تمجيد للاسلام الخالص اسلام الوجه كله لله مع الاحسان في العمل وهي ملة ابراهيم وملة سائر المسلمين وهي الاسلام المطلق لله الذي له ما فى السماوات والارض بلا شريك . (انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما) روي ان هذا القول نزل في رجل سرق درعاً من بيت جاره فلما خاف ان تظهر عليه رمى بها في دار يهودى . فلما وجدت الدرع انكر اليهودى ان يكون اخذها ، وجاء بشهود من اليهود على ان سارقها رماها بداره تخلصا منها ، فاعان قوم سارقها على اليهودى ، وجاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقنعونه بان يحاج عن صاحبهم ويجادل امام اتهام اليهودى له ، فمال الرسول الى قولهم ـ لان ظاهر الأمر يؤيدهم ـ فاطلعه الله على جلية الأمر وتدبير المدبرين ، ونهاه عن مخاصمة اليهودى ، وأمره بالاستغفار مما كان منه من ميل . ومنّ عليه ان هداه الى الحق ، وابطل اضلال المضلين .

وهكذا نرى ان غيرة الله على الحق والعدل المطلقين من كل ميل المنزهين من كل شائبة قد اقتضت ايراد اثنتى عشرة آية في تلك الحادثة

الفردية . ذلك انها نموذج لكل قضية يمكن ان يعترض طريق العدالة المطلقة فيها اختلاف العقيدة وتكاتف بعض النـاس لهذا السبب على اخفاء الحقيقة .

(انا انزلنا اليك الكتاب بالحق) فهو حق ، وتنزيله حق ، وقد جاء ليحق الحق ، جاء لتحكم به بين الناس وقد اطلعك الله وعلمك كيف تحكم ، فاحكم على حسب ما اراك الله (ولا تكن للخائنين خصيما) تجادل عنهم وتدفع ، وقد خانوا امانة الله ألا يعتدوا على الناس وخانوا امانتك ان يصدقوك ولا يكذبوك وخانوا انفسهم فاوردوها طريق المعصية وطريق الخيانة .

(واستغفر الله ان الله كان غفوراً رحيما) .

استغفره مما هممت به من ميل الى تصديق الخائن وتكذيب البرىء قبل التأكد الكامل والتثبت من حقيقة دعوى الفريقين . (ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خواناً اثيما) اننا نحس في التعبير صرامة ، يفوح منها الغضب للحق والغيرة على العدل تبدو هذه الصرامة في صيغة النهى ، (لا تجادل عن الذين يختانون انفسهم) ونلمحه في وصف الخائنين بانهم (يختانون انفسهم) وفى تعليل ذلك النهى : (ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما) . وهم خـانوا سواهم في ظاهر الأمر ، ولكنهم في الواقع يختانون انفسهم ـ ولفظ يختان أقوى من يخون في التعبير ـ يختانونها مرتين . الاولى حين يخونون اخوانهم وهم منهم فكانما خانوا انفسهم . والثاني حين يرتكبون الاثم فيعرضون انفسهم للجزاء في الدنيا والآخرة ، وهي خيانة للنفس من غير شك ذلك فضلا على تلويث هذه النفس بالخيانة وهو خيانة لها وتحقير والله لا يحب الخوان الاثيم وللتعبير بعدم الحب هنا قيمته ، لان المؤامرة

ضد اليهودي والجدل عن السارق من المسلمين كان منشؤهما البغض والحب فالله يعلن انه لا يحب الخوان الاثيم ، فلا يجوز ان يحبه احد ، ولا ان يجادل عنه احد ، والله قد كرهه واجتواه انتهى محل الحاجة .

وبعد التأمل في الآية الشريفة والنظر في كلمات المفسرين نستفيد منها الامور التالية :

الاول : ان انزال الكتاب الى النبي (ص) لاجل الحكم بين الناس

الثاني : ان الكتاب فيه كل حكم مما يحدث ويتجدد من قضايا التخاصم والتنازع ولا تشذ عنه قضية ابداً .

الثالث : ان الله علم النبي تفسير القرآن باجمعه وكل ما فيه من دقائق الامور حتى صار مستحضراً لجميع معانيه فهو يرجع كل قضية تحدث لاحد من امته الى قانون القرآن .

الرابع : ان الله يريد الرجوع الى حكم القرآن في كل قضية من القضايا ولا يرضى بالتخلف عن القرآن ولو بمقدار ان يميل الحاكم او يحدث نفسه بحكم خلاف ذلك وان لم يحكم به ، وهذا لا يتمكن منه كل واحد ، وان الذي يمكنه ذلك من كانت احكام القرآن كلها متجلية له بحيث يراها كالشمس في رابعة النهار .

الخامس : ان هذه الآيات نزلت كلها في قضية درع سرقت ورمي بالسرق شخص بريء منها فكيف الحال بمن يسرق شيئاً اعظم من الدرع بحيث يتضرر بذلك جماعة من المسلمين او يتضرر به عموم المسلمين ، وذلك كمن يزيد شيئاً في الدين او ينقص شيئاً منه بحيث يعمل به عموم المسلمين .

السادس : ان المكلف بالحكم بين الناس هو النبي (ص) في ايام وجوده بينهم لان الله اراه واوضح له علوم القرآن . اما بعد ارتحال

النبي (ص) فالذي يحكم بين الناس انما هو من تكون عنده علوم القرآن ويلزم على كل مكلف عاقل ان يفحص عنه ويعرفه ويجتهد في معرفته ، وقد تقدم في الآية ٧ من سورة آل عمران في قوله تعالى : (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) بيانه ، فقد علمنا ان في امة محمد رجالاً عندهم علم القرآن ويجب علينا معرفتهم .

السابع . اذا ادعى مدع انه هو الحاكم بعد النبي (ص) بين الناس واعانه وساعده على ذلك جماعة من قومه ومن غيرهم فجلس في مجلس النبي وجعل يحكم بين الناس بما يوافق القرآن او لا يوافقه لانه ليس عنده علم القرآن فهذا اعظم ممن سرق درعا بمراتب ليس لها حصر . نعم اذا كان عنده علم القرآن فهو اهل للحكم وقد جعله الله لذلك اهلاً ، فيلزم على المسلم ان يحقق في كل من تولى الحكم ويميز بين العالم وغيره ، فان الامور كلها والدنيا باسرها مرتبطة بالعلم ، فلا تغفل ولا تجهل رتبة العلم .

قوله تعالى : (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً) (١) ان الذي سرق الدرع هو ابن ابيرق وان الذين ساعدوه على ستر هذه السرقة هم جماعة من قومه حيث جاءوا الى النبي (ص) وقالوا له ان نسبة السرق الى طعمة تهمة كاذبة وانه بريء منها ، وان الله قد وصفهم بهذه الآية وصفا يشنعهم به ويذمهم على عملهم هذا ، ويبقى عليهم عاره مادام القرآن وما دامت الدنيا وما دام من البشر من يقرأ القرآن ، وهذا الوصف يكشف عن عدم ايمانهم بالله لانه قال : (يستخفون من الناس) حيث انهم لما ارادوا ان يستروا فعلتهم الشنيعة عن الناس رموا بالدرع

(١) النساء آية ١٠٨ .

في دار غيرهم ونسبوا السرق اليه حتى لا يشتهروا بين الناس بالسرقة ، فالله يقول فى التشنيع عليهم ان هؤلاء القوم يريدون ان يستتروا من الناس مع الناس لا يقدرون على شيء من تعذيبهم فى الدنيا كقطع الرزق عنهم او تعذيبهم في الآخرة ولا يستخفون من الله وهو معهم عالم باحوالهم واقوالهم وافعالهم يعلم السر واخفى ويعلم وساوس الصدور ويعلم خائنة الاعين فكيف لا يستخفون منه ، والاستخفاء منه إنما يكون بترك هذه الاعمال القبيحة . هذا كله فى سارق الدرع فكيف بمن يسرق الاموال الكثيرة ويضر بجماعة من المسلمين ، او كيف بمن يزيد في الدين شيئاً او ينقص منه شيئاً ويريد ان يحمل عليه عموم المسلمين ، او كيف بمن يدعي انه هو العالم بعلوم القرآن وان الحكم بين الناس هو وظيفته الخاصة به من الله بحيث جعلها رسول الله له بامر من الله ، وهو ليس كذلك ويساعده على ذلك جماعة .

قال فى ظلال القرآن ج٥ ص٧١ .

ويعقب الوصف بالخيانة والاثم بيان منفر لسلوك هذا الفريق من الناس انهم (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله) فيجبنون عن مواجهة الناس بخيانتهم واثمهم ولا يخجلون من الله (وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول) وهي صورة زرية من جانب وداعية الى السخرية من جانب آخر زرية بما فيها من ضعف والتواء وخوف من الناس ، وداعية الى السخرية بما فيها من غفلة عن رؤية الله لهم وهم يبيتون ما يبيتون من خيانة ومؤامرة . (وكان الله بما يعملون محيطا) فالاحاطة هنا ترسم صورة للعلم المطلق والقدرة المطلقة ، فكل ما يعملون محوط بعلم الله وقدرته وهم من الغفلة بحيث يدبرون في الظلام ويحسبون انهم في نجوة من العيون !

فاذا كان هذا شأنهم وكان الله مطلعا على خياناتهم ومؤامراتهم فما جدوى ان يجادل عنهم فريق من المسلمين في هذه الدنيا .

تفسير المراغي ج٥ ص١٤٩ .

ثم بين احوال الخائنين ونعى عليهم افعالهم فقال : (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون مالا يرضى من القول) أي ان شأن هؤلاء الخوانين انهم يستترون من الناس عند اجتراحهم الآثام أما حياء واما خوفاً من ضررهم ولا يستترون من الله ولا يستحيون منه بتركها لضعف ايمانهم إذ الايمان يمنع من الاصرار وتكرار الذنب ، ولا تقع الخيانة من صاحبه إلا عن غفلة او جهالة عارضة لا تدوم ، فمن يعلم ان الله يراه في حنادس الظلمات لابد ان يترك الذنب والخيانة حياء منه تعالى وخوفاً من عقابه ، وهو تعالى شاهدهم حين يدبرون ليلا ما لا يرضى من القول تبرئة لانفسهم ورمي غيرهم بجريمتهم ثم توعدهم على عظيم جرمهم فقال : (وكان الله بما يعملون محيطا) اى حافظ لاعمالهم لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض فلا سبيل الى نجاتهم من عقابه انتهى .

قوله تعالى : (ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا) (١) .

هذه الآية من متممات قصة الخائن ، ومن يساعد الخائن فان الله تعالى يوجه سؤالاً توبيخيا انكاريا الكل من يساعد خائنا في الدنيا مهما كانت الخيانة ومن اى نوع كانت المساعدة ، وقبل القاء السؤال على المساعدين يقدم هاء التنبيه بقوله (ها) وها التنبيه تستعمل للمرء الغافل لكي يتنبه ، فكأن الاتيان بها هنا اشارة الى ان هؤلاء المساعدين

(١) النساء آية ١٠٩ .

للخائن في حالة سبات وفي غفلة عن الدين واحكامه ، وفي غفلة عن الحلال والحرام ، وفي غفلة عن القرآن ، وفي غفلة عن الله ورسوله فينبغي لهم ان يتنبهوا وأن يلتفتوا وان يستيقضوا من سباتهم لكي يعرفوا ويفهموا ما يقول الله لهم ، ثم بعد ما نبههم وجه اليهم السؤال وهو انكم ايها المساعدون للخائنين المجادلون عنهم في الحياة الدنيا تريدون ان تستروا اعمالهم القبيحة عن الناس وهي مسجلة في صحائف اعمالهم والله عالم بها ، فلو انكم نجحتم في جدالكم عنهم وتمكنتم من سترها فمن يتمكن أن يجادل الله عنهم يوم القيامة ، ولا يخفى ان سارق الدرع كان واحداً وهو ابو طعمة بن ابيرق ، والذين ارادوا مساعدته والجدال عنه واخفاء فعلته الشنيعة هم قومه واقرباؤه ، وفي هذه الآية جعلهم الله جمعاً فقال (هؤلاء انتم جادلتم عنهم) وما ذاك إلا لاجل كثرة من يرتكب الخيانة وليس منحصراً في أبي طعمة ، فيلزم على عموم المسلمين أن لا يدافعوا عن خائن ولا يساعدوه ولا يستروا عليه خيانته وان كان قريباً او صديقاً وكلما كانت الخيانة اعظم كانت المساعدة عليها اعظم جرماً واشد عقاباً

ثم ان المؤمن يلزمه ان يعلم ان الخيانة التي يبغضها الله انما يعلمها هو قبل كل احد وان القاضي قد لا يعلمها وقد يشتبه عليه الأمر كما روي عن النبي (ص) على ما ذكره المراغي (انما انا بشر وانكم تختصمون إلي ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فاقضي بنحو ما اسمع ، فمن قضيت له من حق اخيه شيئاً فلا يأخذه فانما اقطع له قطعة من النار) فاذا كان يعلم بنفسه انه خائن فلا يحل له اخذ ما حكم له به وان حكم له حاكم فانه خائن فى نفسه والله يعلمه وملائكته

فكل من تحققت منه الخيانة لابد وان يعاقب عليها في الآخرة وان شهد قومه انه من المؤمنين المتقين الأخيار وحكم له القاضي انه بريء

منها إلا اذا تاب ورد الحق لاهله في الدنيا ، وقد تفضل الله على عباده انه يقبل توبتهم وبين لهم ذلك بقوله :

(ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما) (١) .

ان الله عز وجل يرشد عباده الى ما ينفعهم ويخلصهم من عقاب المعاصي ، فان كل عمل سيء قد نهى الله عنه لابد ان يستحق فاعله العقاب على فعله ، وقد نبهنا الله وعرفنا ان من فعل شيئاً من المعاصي سواءاً أكان هذا الفعل مضراً بالغير أم مضراً بنفس الفاعل وحده فلا ينبغي لهذا الفاعل أن يبقى مصراً على عصيانه ان كان عاقلا عارفاً بقدرة الله ، فان الله قد جعل لنا طريقاً الى التخلص من عقاب هذا الفعل وشرح لنا باباً وسماه باب التوبة ، فالانسان ما دام في الدنيا يتمكن من تخليص نفسه من عقاب سيئاته وذلك بالتوبة الى الله عز وجل والانابة اليه والندم على فعله السيء ورد ما اخذه من الناس اليهم فان الله قد وعد عباده التائبين ان يغفر لهم ذنوبهم ويمحو سيئاتهم ، ثم ان السيئة التي يرتكبها العبد تارة تخص نفسه وحدها فيمكن التوبة منها ، وتارة اخرى تكون مضرة بغيره واحدا كان ذلك الغير او متعدداً محصوراً يعرفهم باعيانهم ويمكنه التخلص من تبعتهم بحيث يرد اليهم اموالهم ومرة ثالثة تكون السيئة التي يرتكبها العبد هي بدعة يبتدعها فاذا تاب منها قبل ان تشيع ويعمل بها احد فهذا ايضا يمكن قبول توبته ، واما اذا شاعت البدعة وعمل بها خلق كثير فيكون قبول توبته موقوفاً على ارجاع كل من عمل بالبدعة عن تلك البدعة ورفضها ، فان امتنع احد عن الرجوع عنها فان صاحب البدعة مأثوم ، وهو شريك من عمل بها

(١) النساء آية ١١٠ .

في الاثم ، فلابد في قبول توبته من ارجاع كل احد عنها ، اما اذا مات احد العاملين بالبدعة معتقداً بها فلا مجال للخلاص من اثمه ولا يمكن توبة المبتدع ، فهذه الانواع والأقسام ينبغي لكل من عمل بواحد منها ان يلاحظ هل يمكن التوبة منه او لا يمكن ؟ لان اصل القضية التي نزلت فيها الآيات هو الميل اليسير عن العمل بالقرآن المنزل وهو اتهام اليهودي بالدرع المسروق ، فكل حكم من الأحكام التي يكون القضاء فيه خلاف الحق يكون المسبب له مؤاخذاً ومأثوماً ومستحقاً للعقاب الشديد ما لم تتحقق منه توبة واستغفار ، اما اذا كانت السيئة هي منع العالم باحكام القرآن عن الحكم بين الناس فهذا من اعظم الامور واكبر الكبائر كما منع كفار قريش رسول الله في اول بعثته من الحكم وهكذا يكون بالنسبة الى غير النبي من أهل العلم بالقرآن ، فان الآيات كلها انما تفيد هذا المعنى : (انا انزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما) وان ابا طعمة وقومه انما صاروا سبباً لتغيير حكم واحد وهو اتهام غير السارق بالسرقة وثم انكشف السارق ، فما ظنك ايها المسلم بمن منع القاضي الحاكم عن الحكم بما انزل الله وجعل غيره في مجلسه فحكم بخلاف ما انزل الله وغيّر الاحكام كلها فالتفت ايها المسلم ولا يفوتك الحق والحقيقة ، فيلزم كل من عمل سوءاً بغير التفات وبغير حساب او ظلم نفسه ان يستغفر الله ويتوب إليه ويرجع إلى الصواب قبل ان يفوته ذلك فلا يمكنه التدارك .

الجهل هو الداء الأكبر :

ان الذي يغصب مال غيره او يغصب منصبه يظن بجهله انه جلب

لنفسه مالا او جاها او منصباً او رياسة ولكنه ما جلب لفسه إلا وبالا ونكالا وعذاباً وقد عرفنا الله بذلك في قوله تعالى .

(ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما) (١)

الكسب هو جلب النفع الى النفس وان هذا الذي يستولي على مال غيره بالسرق او بالقوة والسيطرة وكذا من يستولي على منصب الغير فيعزله ويجلس مجلسه فانه يرى انه قد كسب نفعا لنفسه وان الله يخبره بالحقيقة والواقع ويقول له انك كسبت إثما على نفسك ولم تكسب نفعا لها وانما اوقعك بذلك جهلك وعدم معرفتك بالعواقب فان الشيء الذي تكسبه لنفسك ويعود نفعه اليك هو ما تحصله بشغلك وكد يمينك ، والمنصب الذي يليق ان تشغله وتجلس على كرسيه هو ما يكون من الله ومن الرسول بحيث لا تعاقب عليه في الآخرة ، اما المال المأخوذ من الغير سرقة أو نهباً او اغتصاباً فانك محاسب عليه ومعاقب وسوف يسترد منك في الدنيا او يؤخذ عوضه من اعمالك الحسنة في الآخرة ، وأما المنصب الذي تأخذه من غيرك فسوف تحاسب على كل حكم تصدره فيه وتعاقب أيضا على كل حكم واقعي صرت سبباً في تعطيله وانت تظن انك كسبت لنفسك نفعاً ولكنك لو شعرت بالحقيقة لعرفت ان هذا ليس لك ولنفعك بل هو وبال عليك وعقاب في الدنيا والآخرة .

ولا تظن ان عملك الذي عملته يخفى على الله إن كنت مسلماً ، فان المسلم يعترف بان الله يعلم كل شيء ويعلم ما كان وما يكون ، وان كنت ايها السامع للقرآن غير مسلم فاعلم من الآن قوله تعالى : (وكان الله عليما حكيما) ، فانه تعالى يعلم جميع افعال العباد ويعلم نياتهم التي حملتهم على اغتصاب حق الناس من مال او منصب او قضاء

---

(١) النساء آية ١١١ .

او حكم وهو حكيم بكيفية عقابهم لا يزيد شيئاً على ما يستحقونه من العقاب ، فهذا المتجاوز لحدود الله الغاصب لحقوق الناس لا يضر إلا نفسه ولا يجلب الوزر والويل والثبور الا لنفسه فلا يحملها اكثر من طاقتها .

قوله تعالى : (ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً واثما مبينا) (١) .

هذا وعيد من الله شديد لا يحتمله بشر ولا يقدم عليـــه موحد معترف بقدرة الله ، فان الله العزيز الحكيم يصف هذا الفعل وهو فعل الخطيئة والاثم مهما فسرت الخطيئة ومهما فسر الاثم فان المقصود بهما شيء لا يرضى به الله ونهى عباده عنه ، فيقول عز وجل ان الذي يفعل شيئا منهياً عنه اذا اتى به ثم اتهم شخصا بريئاً وقال فلان فعل هذا الشيء فان المرتكب لهذه الجريمة قد احتمل بهتاناً اي تحتمل على ظهره بهتاناً وسجل على نفسه فى صحيفة اعماله بهتانا وكذا سجل على نفسه اثما مبينا ، أي إثماً بيّنا ظاهراً مكشوفا يراه كل احد ولا يخفى على احد من الناس ، فلابد ان يكون هذا الاثم البين الظاهر كبيرا كالجبل بحيث ينظره كل احد ، وهناك علامة وامارة تدل على ان فاعل هذا الاثم هو فلان بن فلان ، ثم يؤخذ هذا الاثم المبين الظاهر المكشوف ويؤخذ فاعله ومرتكبه معه ويلقى في النار .

هذا كله بالنسبة الى اثم واحد فما ظنك ايها العبد المجرم المرتكب لآثام كثيرة وقد رميت بكل اثم منها رجلا بريئاً فانك تجيء يوم القيامة فتجسم لك هذه الآثام كالجبال الرواسي وانت واحد وهي كثيرة لا تعد ولا تحصى ، ولكن الله القدير العزيز قد احصاها عليك فمن يخلصك

---

(١) النساء آية ١١٢ .

منها فتذكر هنا قوله تعالى : (ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة) .

قوله تعالى : (ولو لا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون إلا انفسهم وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) (١)

ان قوم ابى طعمة بن ابيرق قد هموا واتفقوا على ان يفعلوا شيئاً واحداً يسترون به على ابي طعمة حتى لا يفتضح بالسرق فاجتمعوا كلهم واتوا النبي (ص) وشهدوا عنده بان ابا طعمة رجل عفيف وليس ممن يتهم بالسرق وطلبوا من النبي ان يبرئه وينزهه من هذه التهمة على رؤس الاشهاد وان يحكم على اليهودي بالسرق ، ولو ان قاضيا غير النبي شهد عنده جماعة بعدد قوم ابي طعمة فحكم القاضي ببراءته ما كان عليه بأس وما كان مأثوما ، اما النبي (ص) فقد عرفه الله بكذب هؤلاء القوم وان شهادتهم مزورة كاذبة فلم يحكم النبي ببراءة ابى طعمة .

وفي هذه الآية يذكر الله فضله على النبي حيث عرفه بطلان شهادة القوم ويقول له لو لا فضل الله عليك لهم القوم أن يضلوك ، اي يخدعوك فتحكم ببراءة الخائن وخيانة البريء وهي حكومة جزئية تتعلق بسرقة درع ، فكيف بمن تجري على يديه وبواسطة حكمه مثل هذه القضية في كل يوم مرات عديدة ، وكيف بمن يعرف الخائن ومع ذلك يحكم ببراءته ويعرف البريء ويحكم بخيانته ، وكيف بمن سمى نفسه خليفة رسول الله أو أمير المؤمنين واصدر احكاماً مخالفة للقرآن خلافاً ظاهراً بينا ونرى جماعة من المسلمين يسمونه أمير المؤمنين وان الله قد انزل على نبيه ثلاثة عشر آية كلها تتعلق بابي طعمة وسرقه درعا ورمي شخص بريء

(١) النساء آية ١١٣ .

بهذه السرقة وذكر فضله على النبي حيث لم يحكم بهذا الامر الباطل ، وبين في هذه الآيات ان الشرط في القاضي والحاكم أن يكون عارفاً بتأويل القرآن وان يكون حكمه وقضاؤه مطابقاً لاحكام القرآن حتى لا يخطأ فى قضية واحدة . وبعد هذا هل يتمكن احد ان يقول ان الجاهل باحكام القرآن تصح خلافته وامارته وقضاؤه وحكمه حتى فيما خالف القرآن

يقول الاستاذ المراغي في تفسير هذه الآية ج٥ ص١٥١ والخلاصة انه لو لا فضل الله عليك بالنبوة والتأييد بالعصمة ورحمته لك ببيان حقيقة الواقع لهمت طائفة منهم ان يضلوك عن الحكم العادل المنطبق على حقيقة القضية في نفسها ، ولكنهم قبل ان يطمعوا في ذلك ويهموا به جاءك الوحي ببيان الحق واقامة اركان العدل والمساواة فيه بين جميع الخلق انتهى .

تفسير الرازي ج١١ ص٣٩ ثم قال تعالى : (ولو لا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك) ، والمعنى ولو لا ان الله خصك بالفضل وهو النبوة وبالرحمة وهي العصمة لهمت طائفة منهم ان يضلوك وذلك لان قوم طعمة كانوا قد عرفوا انه سارق ، ثم سألوا النبي عليه السلام ان يدفع ويجادل عنه ويبرئه عن السرقة وينسب تلك السرقة الى اليهودي . ومعنى يضلوك اي يلقوك في الحكم الباطل الخطأ انتهى .

قوله تعالى : (وما يضلون الا انفسم وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) .

الضلال هو الوقوع في الباطل أما عن عمد واما عن غير عمد ، فان كان عن غير عمد يسمى خطأ وهذا اما ان يكون بتضليل الغير له بان يبرهن له ويستدل على كون الحكم هو كذا او الموضوع هو كذا

او الفاعل للشيء هو فلان كما اراد قوم طعمة أن يخدعوا النبي ليحكم ببراءة ابي طعمة ، واما ان كان الوقوع بالباطل عن عمد فان فاعل ذلك يكون هو قد اضل نفسه بارادته واختياره فيكون معنى الآية المذكورة هو ان الطائفة المذكورة وهم قوم طعمة هموا اي عزموا ان يضلوك اي يحملوك على حكم خلاف الحق بمعنى انهم ارادوا ان يوقعوك في الباطل عن طريق الكذب والزور والخداع ولكنهم قد اضلوا انفسهم لانهم اوقعوا انفسهم في الباطل باختيارهم ، إذ ان الكذب محرم وقد كذبوا وشهادة الزور محرمة وقد شهدوا زورا والخداع محرم وارادوا ان يخدعوا النبي صلى عليه وآله والسرقة محرمة وقد سرقوا فهم قد اوقعوا انفسهم في هذه المحرمات فلذا اخبر الله عنهم بقوله : (وما يضلون الا انفسهم) وقد تبين من الآية الشريفة ان كل من اراد ان يحصل على حكم شرعي من احد القضاة أو من احد الحكام بمقدمات غير شرعية من كذب وزور وبهتان وخداع فانه قد اضل نفسه واوقعها فى الباطل باختياره وارادته وكل من ساعده على ذلك فهو شريكه في الاثم . واما قوله تعالى : (وما يضرونك من شيء) فانه يعرفنا ان القاضي والحاكم اذا كان متبعا لاحكام القرآن ولم يخش احدا في حكمه وقضائه ولا يميل الى الهوى فانه لا يضره المتخاصمان ولا احدهما اذا كذب واحتال وخادع فانه يضر نفسه كما تقدم عن النبي (ص) حيث قال ربما يكون احدكم ألحن بحجته وهو على خلاف الحق فيأخذ مال اخيه فانه يأخذ قطعة من نار .

وأما قوله تعالى : (وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم) .

الاشارة في هذه الجملة الى ان القاضي الذي لا يضره اضلال المضلين وكذب الكاذبين ومكر الماكرين هو الذي يكون قضاؤه وحكمه

مطابقاً للقرآن والحكمة وهي السنة او اسرار الاحكام وان يكون حكمه بالعلم الذي يتعلمه من ثقاة الرجال حتى يصل الى النبي حيث ان اخذه عن الله ، فهذا هو الذي لا يضره شيء ، اما اذا كان يقضي بنظره أو بالقياس فهو ممن قد اضل نفسه واضر بها ، فالقضاء يلزم ان يكون على طبق القرآن والسنة ، وكل مسألة لا يتمكن القاضي ان يستند فيها على القرآن والسنة ينبغي له التوقف فيها وعدم الحكم .

قوله تعالى : (وكان فضل الله عليك عظيما) .

ايها القاضي وايها الحاكم هل عرفت عظمة فضل الله عليك في الزامك القضاء على موجب الكتاب والسنة إذ لو اوكل القضاء إلى رأيك ونظرك من غير رجوع الى الكتاب والسنة لكثر وقوعك في الضلال والخطأ ولكثر منك تحريم الحلال وتحليل الحرام ولكن لما الزمك الله بالرجوع الى الكتاب والسنة واتباع ماتعلمته من العلم الذي ينتهي الى علم النبي المأخوذ عن الله عز وجل لا يقع حينئذ الخطأ إلا نادرا . فكل من نصب نفسه للقضاء من غير علم بالكتاب والسنة فهو مغتصب لهذا المنصب وهو من الخائنين وكل من ساعده واعانه على ذلك فهو شريكه في الاثم وقد عرفه الله واعلمه انه لا يضل إلا نفسه ولا يضر إلا نفسه .

قوله تعالى : (لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة أو معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجراً عظيما) (١) .

ان قوم طعمة اجتمعوا وقرروا بينهم أن يأتوا رسول الله ويشهدوا عنده بتزكية صاحبهم السارق قد تكتموا في هذا الاجتماع طبعا ، وهكذا كل من اراد ان يقوم بعمل سيء قبيح مناف للعرف مخالف للشرع فانه

---

(١) النساء آية ١١٤ .

يتكتم ويخفي ذلك عن الناس ، وقد اخبر الله عن نجوى اغلب الناس انها لاخير فيها ، وان الامور التي فيها خير ونفع لا يتكتمون فيها هذا هو ما انطبع عليه الناس قبل الاسلام وقد بقي على هذه الطبيعة من لم يستقر الاسلام في قلبه فانهم يتناجون في امور فيها فساد وضرر على الناس وعلى انفسهم ولكنهم يظنون ان فيها نفع لهم وقد عرفهم الله في آية (١١١) المتقدمة .

ان هذه الامور هي عليهم وليست لهم ، وقد ذكر الله في القرآن المنزل على النبي (ص) ان المسلم لا يحل له ان يتناجى فيما يضر به الناس بل ينبغي له ان يتناجى في امور فيها نفع للناس ، وقد ذكر من هذه ثلاثة اشياء في هذه الآية كما في قوله تعالى : (إلا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس) .

فهذه الامور الثلاثة يحب الله النجوى فيها ، اما من يجتمعون ويتناجون في اتيان محرم او ترك واجب فان هذا مما لا خير فيه بل فيه الشر والضرر على الناس ، واكثر منه وهو الضرر على نفس الفاعل .

اما الامور الثلاثة التي يحب الله النجوى فيها فهي :

الاول الصدقة فان الله يحب التكتم فيها وذلك لما في التكتم من التخلص من الرياء والاحسان الى المتصدق عليه ، فانه اذا اطلع عليه احد يتألم لذلك ، ولعل بعض الاشخاص يردها ولا يقبلها وهو في غاية الحاجة اليها وقد قال تعالى : (وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) سفينة البحار باب صدق .

فعن بعض اهل المدينة قال ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين (ع) وكان في المدينة كذا وكذا بيتا يأتيهم رزقهم وما يحتاجون اليه لا يدرون من أين يأتيهم ، فلما مات زين العابدين (ع) فقدوا

ذلك فصرخوا صرخة واحدة .

وفيه ايضا عن ابي جعفر قال البر وصدقة السر ينفيان الفقر ويزيدان في العمر ويدفعان عن سبعين ميتة سوء .

واما الامر بالمعروف فالاسرار فيه اولى من الاعلان لان الذي يؤمر به يطلع عليه السامع انه مقصر فى المعروف وتارك له ، وهذا قد يحمله على الاصرار عليه ، أما اذا أسر به الأمر فلعله يكون انفع واكثر اثرا .

واما الاصلاح بين الناس فان المصلح يحتاج ان ينفرد مع كل واحد من المتقاطعين ويتكلم مع كل منهما بانفراد ، ولعل المقام يحتاج الى الكلام مع احدهما غير الكلام مع الآخر ، ولا ريب ان الاسرار به خير إذ مع وجود الناس فانه لا يتم الامر لان الناس لا يسكتون ولا تتفق آراؤهم وقد يتكلمون بكلمة تكون سبباً في شدة المتخاصمين ، اما مع الاسرار فغالباً ينجح المصلح اذا كان من اهل المعرفة .

فالآية الشريفة تقول من فعل هذه الامور الثلاثة او بعضها طالبا بفعله رضا الله وتكون نيته خالصة لوجه الله ، فان الله يقول : (فسوف نؤتيه اجراً عظيما) .

ولا يخفى ان الله العلي العظيم الذي يكون كل شيء عنده حقيراً فاذا وصف شيئاً بالعظمة فان العبد الحقير الضعيف لا يمكن ان يتصور هذا الشيء الذي عبّر الله عنه بالعظيم ، فلا ينبغى للانسان المحتاج في يوم الجزاء الى الحسنة الواحدة ان يفوّت هذا الاجر العظيم ، فاغتنم وعد الله فانه فرصة ثمينة .

قوله تعالى : (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوّله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) (١)

---

(١) النساء آية ١١٥ .

ان الآية الاولى من الآيات التي تتعلق بقصة بني ابيرق آية محكمة عامة ليس فيها تخصيص ، مطلقة ليس فيها تقييد . تفيدنا ان الكتاب انما انزل لاجل الحكم بين الناس بما فيه من علم وحكمة وانه لا يجوز لاحد ان يكون حاكما بين الناس الا ان يكون جامعا لعلوم القرآن كالنبي أو وصيه الذي اودع عنده العلوم ، وهذه الآية ايضا محكمة عامة ليس فيها تخصيص مطلقة ليس فيها تقييد تخبرنا ان الذي يخالف النبي (ص) فى اي حكم وفي اي فعل وفي اي قول فان المشاقة هي المخالفة وهي تتحقق فى المخالفة بشيء من الاشياء فاذا دل دليل وثبت عند شخص صدق النبي (ص) في دعوى النبوة بحيث يحكم العقل ان هذا الشيء الذي فعله النبي او اخبر به لا يكون الا من قبل الله وليس له طريق آخر ثم بعد ذلك يخالف هذا الشخص النبي فى بعض الامور ويتبع طريقاً آخر غير الطريق الذي يعينه النبي فان النبي قد جاءنا بشريعة كاملة وجعل لكل مسألة حكما مستنبطاً من القرآن وكل من يعمل باوامر النبي في جميع مسائله يسمى مؤمنا وهؤلاء المؤمنون سبيلهم وطريقهم واحد لا تعدد فيه ولا عوج فيه ولا التواء فيه ولا ظلمة فيه وهذا الطريق مستقيم سمح لا يضل فيه من سلكه ولا يتيه من سار فيه فالذي يخالف النبي فى حكم من الاحكام وان كان جزئيا فلابد ان يكون بسبب انحرافه عن الطريق الذي عينه النبي للمؤمنين فيكون في انحرافه هذا قد اتبع غير سبيل المؤمنين فاما ان يلتفت الى نفسه انه قد انحرف فيرجع الى الطريق ويتوب الى الله ويستغفر لذنبه فقد ذكر الله في آية ١١٠ انه يقبل التوبة من المذنب اذا استغفر ، واما اذا بقي مصرا على انحرافه فان الله يقول (نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) اي لا نعامله معاملة المؤمنين السائرين في الطريق الذي يسير فيه الرسول واصحابه المطيعين له وانما

نعامله معاملة المتبع المتولي لما تولاه سواء تولى حجراً ام شجراً أم بشراً أو غير ذلك فان الامر المتيقن خروجه عن طريق المؤمنين ، اما ما هو الذى تولاه فهو الطاغوت لانه هو الذي جعل مقابلا لسبيل الله في آيات عديدة ، واما العاقبة الاخيرة فهي جهنم كما اخبر الله بقوله : (ونصله جهنم وساءت مصيراً) .

تفسير الرازي ج١١ ص٤٢ قوله تعالى : (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) .

اعلم ان تعلق هذه الآية بما قبلها هو ما روي ان طعمة بن ابيرق لما رأى ان الله تعالى هتك ستره وبرّأ اليهود عن تهمة السرقة ارتد وذهب الى مكة ونقب جدار انسان لاجل السرقة فتهدم الجدار عليه ومات فنزلت هذه الآية ، اما الشقاق والمشاقة فقد ذكرنا فى سورة البقرة انه عبارة عن كون كل واحد منهما في شق آخر من الامر ، او عن كون كل واحد منهما فاعلا فعلا يقتضي لحوق مشقة بصاحبه ، وقوله : (من بعد ما تبين له الهدى) اي من بعد ما ظهر له بالدليل صحة دين الاسلام .

قال الزجاج لان طعمة هذا كان قد تبين له بما اوحى الله تعالى من امره واظهر من سرقته ما دله ذلك على صحة نبوة محمد (ص) فعادى الرسول واظهر الشقاق وارتد عن دين الاسلام فكان ذلك اظهار الشقاق بعد ما تبين له الهدى .

قوله تعالى : (ويتبع غير سبيل المؤمنين) يعني غير دين الموحدين وذلك لان طعمة ترك دين الاسلام واتبع دين عبادة الاوثان .

ثم قال : (نوله ما تولى) اي نتركه وما اختار لنفسه ونكله الى

ماتوكل عليه ، قال بعضهم هذا منسوخ بآية السيف لا سيما في حق المرتد

ثم قال : (ونصله جهنم) يعني نلزمه جهنم ، واصله الصلاء وهو لزوم النار وقت الاستدفاء (وساءت مصيرا) انتصب مصيرا على التمييز كقولك فلان طاب نفسا وتصبب عرقاً وفي الآية مسائل :

(المسألة الاولى) روي ان الشافعي رضى الله عنه سئل عن آية في كتاب الله تعالى تدل على ان الاجماع حجة فقرأ القرآن ثلثمائة مرة حتى وجد هذه الآية ، وتقرير الاستدلال ان اتباع غير سبيل المؤمنين حرام فوجب ان يكون اتباع سبيل المؤمنين واجبا .

بيان المقدمة الاولى انه تعالى الحق الوعيد بمن يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين ، ومشاقة الرسول وحدها موجبة لهذا الوعيد ، فلو لم يكن اتباع غير سبيل المؤمنين موجباً له لكان ذلك ضماً لما لا اثر له في الوعيد الى ما هو مستقل باقتضاء ذلك الوعيد وانه غير جائز ، فثبت ان اتباع غير سبيل المؤمنين حرام واذا ثبت هذا لزم ان يكون اتباع سبيلهم واجبا وذلك لان عدم اتباع سبيل المؤمنين يصدق عليه انه اتباع لغير سبيل المؤمنين ، فاذا كان اتباع غير سبيل المؤمنين حرام لزم ان يكون عدم اتباع سبيل المؤمنين حراماً واذا كان عدم اتباعهم حراماً كان اتباعهم واجبا لانه لا خروج عن طرفي النقيض .

فان قيل لا نسلم ان عدم اتباع سبيل المؤمنين يصدق عليه انه اتباع لغير سبيل المؤمنين فانه لا يمتنع ان لا يتبع لا سبيل المؤمنين ولا غير سبيل المؤمنين .

واجيب عن هذا السؤال بان المتابعة عبارة عن الاتيان بمثل مافعل الغير فاذا كان من شأن غير المؤمنين ان لا يتبعوا سبيل المؤمنين فكل من لم يتبع سبيل المؤمنين فقد اتى بمثل فعل غير المؤمنين فوجب كونه

متبعا لهم .

ولقائل ان يقول الاتباع ليس عبارة عن الاتيان بمثل فعل الغير والا لزم ان يقال الانبياء والملائكة متبعون لآحاد الخلق من حيث انهم يوحدون الله كما ان كل واحد من آحاد الامة يوحد الله ومعلوم ان ذلك لا يقال بل الاتباع عبارة عن الاتيان بمثل فعل الغير لاجل انه فعل ذلك الغير واذا كان كذلك فمن ترك متابعة سبيل المؤمنين لاجل انه ماوجد على وجوب متابعتهم دليلا فلا جرم لم يتبعهم فهذا الشخص لا يكون متبعا لغير سبيل المؤمنين فهذا سؤال قوي على هذا الدليل وفيه ابحاث اخر دقيقة ذكرناها في كتاب المحصول في علم الاصول والله اعلم

(المسألة الثانية) دلت هذه الآية على وجوب عصمة محمد (ص) عن جميع الذنوب والدليل عليه انه لو صدر عنه ذنب لجاز منعه وكل من منع غيره عن فعل يفعله كان مشاققاً له ، لان كل واحد منهما يكون في شق غير الشق الذي يكون الآخر فيه . فثبت انه لو صدر الذنب عن الرسول لوجبت مشاقته ، لكن مشاقته محرمة بهذه الآية فوجب ان لا يصدر الذنب عنه .

(المسألة الثالثة) دلت هذه الاية على انه يجب الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وآله في افعاله اذ لو كان فعل الامة غير فعل الرسول لزم كون كل واحد منهما في شق آخر من العمل فتحصل المشاقة لكن المشاقة محرمة فيلزم وجوب الاقتداء به في افعاله انتهى كلام الفخر الرازي

وبعد ان يقرأ المسلم هذه الاية ويعرف معناها يثبت عنده ان الواجب عليه ان يتبع سبيل المؤمنين وحيث ان اتباع سبيل المؤمنين موقوف على معرفته ، ومعرفته موقوفة على معرفة المؤمنين انفسهم فلا تحصل المعرفة اي معرفة سبيل المؤمنين الا باخذه من النبي (ص) ،

وهذا انما يحصل لمن كان موجوداً في زمن النبي (ص) ، اما غيرهم فلا يعرفون ذلك إلا بمعرفة المؤمنين فرداً فردا ، وهذا ايضا لا يمكن تحصيله إلا بان يعرف امير المؤمنين فيأخذ السبيل والطريق بتعليمه ودلالته وقد تقدم فى كتابنا هذا الاحاديث الصحيحة الواردة عن النبي (ص) القائلة بان علياً أمير المؤمنين ، واحببت هنا تنبيه القارىء اليها وهو أعرف بتكليفه وابصر بنفسه .

تنبيـــه لعموم المسلمين :

ايها الملوك ايها الرؤساء ايها المسيطرون على الامم الاسلامية ، ايها الشعوب الاسلامية اذا قرأتم الآية الشريفة : (ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين ، نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) عرفتم ان كل من ترك واجبا من الواجبات وكل من فعل محرما من المحرمات فقد شاقق الرسول واتبع غير سبيل المؤمنين وذلك بعد ما تبين له الهدى ، فانكم كلكم معتقدون بنبوة محمد وصدقه وصحة دين الاسلام ومع كل هذا نرى في جميع البلاد الاسلامية ان الخمور تباع علانية والربا يؤكل ويتعامل به علانية في جميع البنوك والمصارف ، والقمار يلعب به في النوادي والمقاهي علانية ، والسفور من النساء المسلمات وتبرج الجاهلية مباح من جميع الحكومات الاسلامية . فهل هذه الامور وهل فعلها مشاقة للرسول او متابعة له وموافقة لطريقه وهل هي اتباع لسبيل المؤمنين او لغير سبيل المؤمنين ؟ ! ! .

اني احرر هذه الكلمات في نهاية صفر وغرة ربيع الاول سنة ١٣٨٧ وان كنتم لا تعرفون التاريخ الهجري الاسلامي فاقول لكم اني احرر

هذه السطور في يوم ١٠ / ٦ / ١٩٦٧ وهو اليوم الذي تغلب فيه اليهود على الحكومات الاسلامية بمساعدة امريكا وبريطانيا ودخلوا في اراضي سوريا واحتلوا قسما من الاردن وقتلوا جماعة من المسلمين وشردوا العوائل وقتلوا الصبيان والشيوخ ودمروا واحرقوا وهدموا .

ايها المسلمون اكتبوا هذا التاريخ في صدوركم ، اكتبوه بدماء شهدائكم حتى لا تنسوه ولا تغفلوه اكتبوه حتى تأخذوا ثاركم .

اني اسمع جماعة من المسلمين يعتبون على الله وعلى رسوله ويقولون لماذا لم يأخذ الله بأيدي المسلمين ولماذا لم ينصرهم على اعدائهم الكافرين .

ايها المسلمون ايها الرؤساء اتدرون لماذا لم ينصركم الله ؟ انا اخبركم بذلك ان الله يقول : (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) .

ان الله يقول (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى) ، انكم خالفتم الرسول بفتح حوانيت الخمور وتعاطي الربا في المصارف ولعب القمار في النوادى ، ومخالفة القرآن في القصاص بالقتل وفي قطع يد السارق وفي جلد الزاني ففقدتم الشرط الموجب لنصرة الله : (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) ولهذا لم نحظ بنصرة الله ، ولهذا استولى علينا الأعداء .

ايها المسلمون ان الله يكون معنا اذا رجعنا إليه واذا وفينا له بالشرط واذا تركنا ما نهانا عنه واذا فعلنا ما امرنا به من صلاة وصيام وحج وزكاة ، اذا تركنا المحرمات وفعلنا الواجبات كان الله معنا في جهادنا وفي سائر الاوقات وسوف نقهر اليهود وسوف نطرد المستعمر .

ايها المسلمون اطيعوا الله وتألفوا فيما بينكم .

قوله تعالى : (ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل

سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا) (١) .

ذكروا في سبب نزول هذه الآية انه تفاخر المسلمون واهل الكتاب فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم ، فقال المسلمون نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب وديننا الاسلام فنزلت الآية ، فقال اهل الكتاب نحن وانتم سواء فانزل الله الآية التي بعدها وهي قوله تعالى :

(ومن يعمل من الصالحات من ذكر وانثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) (٢) ففلج المسلمون روي هذا القول عن قتادة والضحاك ، واما المروى عن مجاهد انه لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه ، وقال اهل الكتاب لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى نزلت الآية .

ثم انه وقع الخلاف في كون المخاطب في الآية بقوله : (ليس بامانيكم) من هم ؟ فقال بعض هم عبدة الاوثان يقول الله لهم ليس بامانيكم حيث قالوا ليس بعد الموت من حشر ولا نشر ولا ثواب ولا عقاب ، وقال بعضهم ان المخاطب هم المسلمون وان الله يقول لهم ليس امر الثواب والعقاب بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب حيث قالوا : (لن يدخل الجنة إلا من كان هودا او نصارى) وعلى كل حال فان الخطاب يعم جميع البشر في انه لا يكون الأمر باماني امة او طائفة وانما يكون بارادة الله وحكمته وما يستحقه العبد بحسب عمل الخير او الشر .

وان الذي يستفاد من هذه الآية هو عين ما يستفاد من آية ١١٥ التي فرغنا منها فان الذي تفيدنا به هذه الآية هو ان المرء الذي يعمل السوء

(١) النساء آية ١٢٣ .

(٢) النساء آية ١٢٤ .

لابد وان يجازى به ولا يمكن ان يجد الانسان الذي عمل السوء وليا يدفع عنه عقاب عمله السيء ولا يجد احدا ينصره من دون الله ابداً ، وانما يمكن للانسان عامل السوء ان يتدارك نفسه في دار الدنيا اذا تاب ورجع الى الله وخرج عن حقوق العباد ، اما اذا مات وخرج من الدنيا مصرا على عمله غير نادم على فعله فهذا لابد وان يؤخذ منه حق العباد ولابد ان يعاقب على السوء الذي عمله ، فيكون مفاد هذه الآية عين مفاد تلك الآية وهو ان الذي يتبع غير سبيل المؤمنين بمشاقة الرسول وهذا ايضا يتبع غير سبيل المؤمنين بعمل السوء وكل واحد منهما لابد ان يعاقب ، وقد ذكر الله بيان عقاب ذاك بقوله : (نصله جهنم) وذكر عقاب هذا بقوله (من يعمل سوء يجزبه ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيرا) ويكون مرجعه الى جهنم فليس للعبد إلا ان يتبع سبيل المؤمنين وهو السير في طريق النبي وما وصى به امته من التمسك بعده بالقرآن والعترة التي عندها تأويل القرآن .

مجمع البيان ج٥ ص١١٥ (من يعمل سوء يجزبه) .

اختلف في تأويله على أقوال (احدها) انه يريد بذلك جميع المعاصي صغائرها وكبائرها وان من ارتكب شيئاً منها فان الله سبحانه يجازيه عليها اما في الدنيا واما في الآخرة . عن عائشة وقتادة ومجاهد وروي عن أبي هريرة انه قال لما نزلت هذه الآية بكينا وحزنا وقلنا يا رسول الله ما ابقت هذه الآية من شيء ، فقال اما والذي نفسي بيده انها لكما نزلت ولكن ابشروا وقاربوا وسددوا انه لا تصيب احداً منكم مصيبة إلا كفّر الله بها خطيئته حتى الشوكة يشاكها احدكم في قدمه رواه الواحدي في تفسيره مرفوعاً ، وقال القاضي ابو عاصم القاريء العامري في هذا قطع لتوهم من توهم ان المعصية لا تضر مع الايمان ، كما ان

الطاعة لا تضر مع الكفر انتهى .

هذا هو الظاهر من الآية ان كل عمل سيء نهى الله عنه عباده فان العبد اذا فعله يؤاخذ عليه سواء أكان الفاعل مؤمنا أم كافرا فينبغي للمؤمن التحفظ والتوقي وترك كل شيء من السيئات .

تفسير المراغي ج٥ ص١٦٤ قال بعد ذكر الآيات .

(المعنى الجملي)

بعد أن بين سبحانه في الآيات السالفة ان الشيطان يعدهم ويمنّيهم ويدخل في تلك الاماني ما كان يمنيه أهل الكتاب من الغرور بدينهم إذ كانوا يرون انهم شعب الله الخاص ويقولون انهم ابناء الله واحباؤه ، وان النار لن تمسهم إلا اياما معدودات وقد سرى لهم هذا الغرور من اتكالهم على الشفاعات وزعمهم ان فضلهم على غيرهم من البشر بمن بعث فيهم من الانبياء فهم يدخلون الجنة بكرامتهم لا باعمالهم .

حذرنا في هذه الآيات الكريمات ان نكون مثلهم وكانت هذه الاماني قد دبّت الى المسلمين في عصر النبي (ص) كما دل على ذلك في قوله : (ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل) الآية ،فلضعفاء الايمان من المسلمين في الصدر الاول ولامثالهم في كل زمان انزلت هذه الموعظة ، ولو تدبروها لما كان لهذه الاماني عليهم من سلطان .

اخرج ابن ابي شيبة عن الحسن موقوفاً (ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدّقه العمل) .

وقال الحسن : ان قوما غرتهم المغفرة فخرجوا من الدنيا وهم مملوءون

بالذنوب ولو صدقوا لاحسنوا العمل .

واخرج ابن جرير وابن ابي حاتم عن السدي قال التقا ناس من المسلمين واليهود والنصارى فقال اليهود للمسلمين نحن خير منكم ، ديننا قبل دينكم وكتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن على دين ابراهيم ولن يدخل الجنة إلا من كان هودا ، وقالت النصارى مثل ذلك ، فقال المسلمون كتابنا بعد كتابكم ونبينا بعد نبيكم وقد امرتم ان تتبعونا وتتركوا امركم فنحن خير منكم نحن على دين ابراهيم واسماعيل واسحاق ولن يدخل الجنة إلا من كان على ديننا ، فانزل الله ليس بامانيكم الى آخر الآية فافلج الله حجة المسلمين على من ناواهم من اهل الاديان الاخرى .

(الايضـــاح)

(ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب) اي ليس فضل الدين وشرفه ولا نجاة اهله به ان يقول القائل منهم ان ديني افضل واكمل بل عليه ان يعمل بما يهديه اليه فان الجزاء إنما يكون على العمل لا على التمني والغرور ، فليس امر نجاتكم ولا امر نجاة اهل الكتاب منوطا بالاماني في الدين ، فالاديان لم تشرع للتفاخر والتباهي ولا تحصل فائدتها بالانتساب اليها دون العمل بها ، ثم اكد ذلك وبينه بقوله : (من يعمل سوءً يجز به) اي ان من يعمل سوءاً يلق جزاءه لان الجزاء بحسب سنته تعالى اثر طبيعي للعمل لا يتخلف في اتباع بعض الانبياء وينزل بغيرهم كما يتوهم اصحاب الاماني والظنون .

فعلى الصادق في دينه ان يحاسب نفسه على العمل بما هداه اليه كتابه ورسوله ويجعل ذلك المعيار فى سعادته لا أن يجعل تكأته ان

هذا الكتاب اكمل ولا ان ذلك الرسول افضل روي انه لما نزل قوله : (من يعمل سوءاً يجزبه) راع ذلك ابا بكر واخافه فسأل النبي (ص) قال من ينج مع هذا يارسول الله ؟ فقال له النبي (ص) اما تحزن اما تمرض اما يصيبك البلاء قال بلى يا رسول الله قال هو ذاك ، ثم ذكر رواية أبي هريرة التي ذكرناها ، ثم قال : والاحاديث بهـــذا المعنى كثيرة .

ومن ثم يرى عامة العلماء ان الامراض والاسقام ومصائب الدنيا وهمومها يكفر الله بها الخطايا . ورأى بعضهم ان المصائب لا تكفر إلا اذا اثرت في النفس تأثيراً صالحا وكانت سببا في قوة الايمان وترك السوء والتوبة منه والرغبة في صالح العمل بما تحدثه من العبرة ، وتكون مربية لعقله ونفسه ، اما اذا ضاعفت الذنوب كالمصائب التي تحمل صاحبها على الجزع ومهانة النفس وضعف الايمان الى ذنوب اخـــرى لم يكونوا ليقترفوها لو لا المصيبة فلا تكفر شيئاً من الخطايا بل تزيدها (ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا) اي من يعمل السوء ويستحق العقاب عليه لا يجد له وليا غير الله يتولى امره ويدفع الجزاء عنه ، ولا نصيراً ينصره وينقذه مما يحل به لا من الانبياء الذين تفاخر بهم ولا من غيرهم من المخلوقات التي اتخذها بعض البشر آلهة وارباباً ، فكل تلك الاماني تكون اضغاث احلام وانما يكون المدار في ذلك على الايمان والاعمال كما قال انتهى .

في ظلال القرآن ج٥ ط٢ ص٧٥ قال بعد ذكر الآيات .

ثم يعقب السياق بقاعدة الاسلام الكبرى في العمل والجزاء ، ان ميزان الثواب والعقاب ليس موكولا الى الاماني انه يرجع الى اصل ثابت وسنة لا تتخلف وقانون لا يحابى . قانون يستوي امامه المسلمون واهل

الكتاب ، وسنة تجري على هؤلاء وهؤلاء ولا تقف امام امنية لهؤلاء او هؤلاء ، ان صاحب السوء مجزى بالسوء ، وصاحب الحسنة مجزى بالحسنة ، ولا محاباة فى هذا ولا مماراة .

(ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءاً يجزبه ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً) .

هذا هو القانون الثابت وهذه هي السنة النافذة ، فلا يعلق احد نفسه بالاماني الخادعة وليختر طريقه على هدى وفى وضح النور بلا جدال ولا محال انتهى .

وقد تبين من هذه الآية ان الناس كلهم سواء بالنسبة الى عمل السوء حيث ان الله ذكر ان من يعمل السوء يجزبه فلا فرق في ذلك بين المؤمن الكامل الايمان وبين المؤمن الضعيف الايمان ، ولا بين المنافق والكتابي والمشرك وعبدة الأوثان الكل في ذلك سواء ، فمن كان يؤمن بالله ويعتقد بصدق وعده ووعيده وان مايقوله لا محالة واقع تكون هذه الآية صادة له ومانعة عن فعل السوء ، لان ضرره يعود على نفسه وان كان بحسب الظاهر فيه نفع دنيوي ولكنه بحسب الواقع والحقيقة هو ضرر محض كما تقدم في آية ١١١ قوله تعالى : (ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما) فاذا عمل العبد العمل السيء كتب عليه سيئة اما كبيرة او صغيرة وكل واحدة منهما تختلف كبرا وصغرا ، وقد تكون الكبيرة كالجبال الرواسي ، وقد تكون سنّة سيئة يكون عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة ، وقد تكون هذه السنة السيئة في امر عبادي فتكون سببا لبطلان عبادة كل من عمل بها وهذه بالطبع اعظم مما تكون في غير العبادة فليرحم الانسان نفسه ولا يحرقها لاجل الدنيا الفانية

ثم ان العبد اذا عمل السيئة وسجلت عليه وكتبت في صحيفته ليجازى بها في عالم الاخرى فهل يمكن ان تمحى من الصحيفة ويتخلص منها ولا يؤاخذ عليها في الآخرة ؟

فان الله سبحانه يقول :

(واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) (١) .

فيستفاد من هذه الآية ان السيئة يمكن ان تذهب وتمحى ويتخلص منها ، وان الذي يذهب بها هي الحسنة ولكن الحسنة التي تكون عند الله حسنة لا التي يعدها العبد حسنة ، فالشرط فى الحسنة التي تمحو السيئة وتذهب بها هي المقبولة عند الله . فهل ان كل من يعمل السوء يمكنه ان يعمل الحسنة المقبولة عند الله فتكون ماحية للسيئة سواء أكان العامل مؤمناً كاملا أم ناقصا او منافقاً او مشركا او كافراً او غير ذلك ؟ إن هذا لا يمكن ان يقول به احد فان الله قد بين في الآية التي بعد هذه الآية وهي آية ١٢٤ العبد الذي يقبل عمله ويثيبه عليه .

فقال تعالى : (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) (٢) بعد ان ساوى الله بين جميع العباد في جزاء السيئة بمثلها فرق فى هذه فيمن تقبل منه الحسنة ويثاب عليها فجعل الشرط فيمن تقبل منه الحسنة ان يكون مؤمناً ، اما اذا لم يكن مؤمناً فلا تكون حسناته مقبولة ولا يكون عمله الصالح موجبا له دخول الجنة بل لا يسمى عمله صالحا ما لم يكن مؤمنا .

فكل من يكون مؤمناً ويعمل عملا صالحا تكون حسناته مقبولة

---

(١) سورة هود آية ١١٤ .

(٢) النساء آية ١٢٤ .

وهي التي تمحو السيئات وتذهب بها ، اما من لم يكن مؤمنا فتبقى سيئاته ثابتة فى صحيفته جاثمة على قلبه وسوف يجازى بها في الآخرة .

قال في مجمع البيان وقوله سبحانه : (ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن) وانما قال وهو مؤمن ليبين ان الطاعة لا تنفع من دون الايمان (فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) .

وعد الله تعالى بهذه الآية جميع المكلفين من الرجال والنساء اذا عملوا الاعمال الصالحة اي الطاعات الخالصة وهم مؤمنون موحدون مصدقون نبيه بان يدخلهم الجنة ويثيبهم فيها ولا يبخسهم شيئاً مما يستحقونه من الثواب وان كان مقدار نقير في الصغر ، وقد قابل سبحانه الوعيد العام في الآية التي قبل هذه الآية بالوعد العام في هذه الآية ليقف المؤمن بين الخوف والرجاء انتهى .

تفسير المراغي ج٥ ص١٦٦ (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) اي ومن يعمل كل ما يستطيع عمله من الاعمال التي تصلح بها النفوس فى آدابها واخلاقها واحوالها الاجتماعية سواء أكان العامل ذكراً أم انثى وهو مطمئن القلب بالايمان فاولئك العاملون المؤمنون بالله واليوم الآخر يدخلون الجنة بزكاء انفسهم وطهارة ارواحهم ولا يظلمون من اجور اعمالهم شيئاً ولو حقيراً كالنقير .

وفي هذه الاية وما قبلها من العبرة والموعظة مايهدم صروح الاماني التي يأوى اليها الكسالى وذووا الجهالة من المسلمين الذين يظنون ان الله يحابى من يسمى نفسه مسلما ويفضله على اليهودى والنصراني لاجل هذا اللقب ، فالذين يفخرون بالانتساب اليه وقد نبذوه وراء ظهورهم وحرموا الاهتداء بهديه هم في ضلال مبين انتهى .

ثم بعد ما بين الله للبشر ان كل شيء افتخر به المسلمون او النصارى او اليهود ، وكل شيء علقوا عليه امانيهم فانه شيء واه ضعيف ليس عليه اعتماد وان هذا الافتخار وهذه الامنية لا يترتب عليهما ثواب ولا يدفع بهما عقاب ولا يقربان العبد الى الله ، وان من عمل سوءاً يكن جزاؤه بمثل عمله ، ومن عمل الصالحات فاولئك يدخلون الجنة لان عملهم مقبول عند الله .

وبعد هذا كله بين للناس قانونا كلياً وقاعدة عامة ، وان كل من اتصف بهذه الصفات التي يذكرها الله فهذا المتصف بها هو المقرب عند الله وهو الذي يدخله الله الجنة وهو الذي لا ينقص شيئاً من اعماله الحسنة وكلها تكتب له ، لانه لا يعمل شيئاً يبطل به صالح اعماله ويحبط به حسناته وهي محفوظة له وفي كل يوم تزداد وتكثر وتنمو وتربو والقانون العام هو ما ذكره الله تعالى في قوله .

(ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفاً واتخذ الله ابراهيم خليلا) (١) .

هذا سؤال موجه الى جميع البشر والى جميع اهل الاديان ، موجه الى المسلم والى المؤمن الكامل الايمان والى ضعيف الايمان والى المنافق والى المشرك والى اهل الكتاب بجميع اصنافهم والى عبدة الاوثان والى غيرهم من اصناف الناس هذا سؤال امتحان وسؤال انكار .

اي هل يمكن ان يقول احد او يدعي مدع او يخطر على بال احد ان في عالم الوجود احداً هو احسن دينا ممن اسلم وجهه لله . وتسليم الوجه عبارة عن تسليم سائر البدن الذي في ضمنه القلب حيث ان الوجه مشتمل على الحواس الخمس فلا يسلمه الانسان بالطوع والرغبة

(١) النساء آية ١٢٥ .

والارادة إلا بارشاد من القلب وامر من العقل ، فاذا سلم الوجه لله يكون خاضعا لارادته ممتثلا لامره ونهيه موقفا نفسه لاشارة من مولاه لا يتخلف عنه مقدار ذرة .

فتسليم الوجه عبارة عن الايمان الكامل الذي لا يشوبه شيء بحيث يعتقد ان الله هو الخالق المكوّن لجميع الاشياء والامور كلها بيده وتجري بامره والرزق كثرة وقلة بيده فلا يبيع آخرته بدنياه ، فاذا صحت عقيدته وحسنت نيته تكون جميع افعاله واقواله مطابقة لارادة الله بحيث لا يصدر منه فعل او قول يكون فيه مشاققة للرسول ولا يتعمد في سوء يعمله حتى يجازى به .

ثم مع هذا الدين ومع هذه النية ومع هذا الخضوع ومع هذه الطاعة يكون محسناً ايضاً ، والمحسن من يكون محسناً لنفسه ومحسناً للناس وليعلم المرء ان الانسان كلما كان محسناً لنفسه فلابد ان يكون محسناً للناس لان الاحسان للناس يعود حسنه على نفس الفاعل ، فالانسان العاقل العارف بكيفية جلب الاحسان لنفسه لا يصدر منه فعل مسيئاً لغيره ابدا ، اما الذي لا يعرف كيف يجلب النفع لنفسه ويرى نهب اموال الناس من جملة النفع فقد تقدم ذكره في آية ١١١ في قوله تعالى (ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه) .

اما هذا الذي ذكره الله في هذه الآية وجعله احسن من جميع الكائنات دينا وقد ارشدنا الله ان نكون على مثل هذه الطريقة فهو في كل الأفعال والأقوال يراعي مرضاة الله وارادته ، ولا يخفى ان مرضاة الله تكره وتأبى اذى العباد وظلمهم .

ثم لما كان اكثر الناس بل كلهم لا يعرفون كيفية اسلام الوجه لله التي يرضاها ويقبلها ولا يعرفون ايضا الأشياء الحسنة على الحقيقة ، وان

الكثير من الأمور تشتبه عليهم وهم يريدون ان يتصفوا بهذه الصفة التي ذكرها الله وجعلها احسن الاشياء ولهذا نبهنا الله على الطريقة التي تعرفنا بها في قوله في الجملة الأخيرة من الآية وهي : (واتبع ملة ابراهيم حنيفا)

اعلم ايها الطالب لمرضاة الله ايها الانسان الذي يريد ان يتصف بالصفة التي جعلها الله احسن صفات اهل الأرض واهل السماء احسن صفات الأولين والآخرين ولا يقدر احد ان يقول بوجود دين او شريعة احسن منها . نعم اذا اردت هذا الدين فيلزمك ان تتبع ملة ابراهيم التي اودعها الله بجميع حدودها واحكامها ومسائلها كلية وجزئية عند خاتم الأنبياء وسيدهم وليس هناك احد غيره يعلم هذه الملة والشريعة ، والنبي بينها بجملتها واودعها عند وصيه علي بن أبي طالب واوصى امته ان يتمسكوا بالقرآن وبالعترة ، فالقرآن مشتمل على جميع الأحكام والسنن والعترة عندها علم القرآن باجمعه لا يفوتها منه شيء ، فلا مناص لمن اراد ان يسلم وجهه لله وان يكون من المحسنين الا باتباع ملة ابراهيم وهي انما تتحقق باتباع النبي ومن بعده بالتمسك بالثقلين كتاب الله والعترة النبوية .

تفسير المراغي ج٥ ص١٦٦ (ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن) اي لا احد احسن ممن جعل قلبه خالصا لله وحده فلا يتوجه الى غيره في دعاء ولا رجاء ولا يجعل بينه وبينه حجابا من الوسائط والشفعاء ولا يرى في الوجود إلا هو ، ويعتقد انه سبحانه ربط الأسباب بالمسببات فلا يطلب شيئاً إلا من خزائن رحمته ولا يأتي بيوت هذه الخزائن إلا من مسالكها وهي السنن والأسباب التي سنها فى الخليقة وهو مع هذا الايمان الكامل والتوحيد الخالص محسن للعمل متحلٍ باحسن الأخلاق والفضائل .

وقد عبر عن توجه القلب باسلام الوجه لان الوجه اعظم مظهر لما في النفس من اقبال واعراض وشرور وكآبة وما فيه. هو الذي يدل على ما في السريرة .

(واتبع ملة ابراهيم حنيفا) اي واتبع ابراهيم في حنيفيته التي كان عليها بميله عن الوثنية واهلها وتبريه مما كان عليه ابوه وقومه منها قال تعالى : (واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون)

مجمع البيان ج٥ ص١١٦ ثم بين سبحانه من يستحق الوعد الذى ذكره قبل فقال (ومن احسن دينا) وهو في صورة الاستفهام ، والمراد به التقرير ومعناه من اصوب طريقا واهدى سبيلا ، اى لا احد احسن اعتقادا (ممن اسلم وجهه لله) اى استسلم وجهه .

والمراد بقوله وجهه هنا ذاته ونفسه كما قال تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) والمعنى انقاد لله سبحانه بالطاعة ولنبيه (ص) بالتصديق وقيل معنى اسلم وجهه لله قصده بالعبادة وحده كما اخبر عن ابراهيم عليه السلام انه قال : (وجهت وجهي للذى فطر السماوات والأرض) وقيل معناه اخلص اعماله لله اى اتى بها مخلصا لله فيها (وهو محسن) اى فاعل للفعل الحسن الذي امره الله تعالى ، وقيل معناه وهو محسن فى جميع اقواله وافعاله ، وقيل ان المحسن هنا الموحد ، وروي ان النبي صلى الله عليه وآله سئل عن الاحسان فقال ان تعبد الله تعالى كانك تراه فان لم تكن تراه فهو يراك (واتبع ملة ابراهيم) اي اقتدى بدينه وسيرته وطريقته يعني ما كان عليه ابراهيم ، وامر به بنيه من بعده واوصاهم به من الاقرار بتوحيده وعدله وتنزيهه عما لا يليق به ، ومن ذلك الصلاة الى الكعبة والطواف حولها وسائر المناسك (حنيفا) اي مستقيما

على منهاجه وطريقه ، وقد مر معنى الحنيف في سورة البقرة انتهى .

تفسير الفخر الرازي ج١١ ص٥٦ قوله تعالى : (ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا ولله ما في السماوات وما فى الارض وكان الله بكل شيء محيطا)

اعلم انه تعالى لما شرط حصول النجاة والفوز بالجنة بكون الانسان مؤمناً ، شرح الايمان وبين فضله من وجهين :

(احدهما) انه الدين المشتمل على اظهار كمال العبودية والخضوع والانقياد لله تعالى .

(والثاني) وهو انه الدين الذي كان عليه ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكل واحد من هذين الوجهين سبب مستقل بالترغيب في دين الإسلام .

(اما الوجه الأول) فاعلم ان دين الاسلام مبني على امرين : الاعتقاد والعمل . اما الاعتقاد فاليه الاشارة بقوله : (اسلم وجهه) وذلك لان الاسلام هو الانقياد والخضوع والوجه احسن اعضاء الانسان فالانسان اذا عرف بقلبه ربه واقر بربوبيته ومعبودية نفسه فقد اسلم وجهه لله . واما العمل فاليه الاشارة بقوله : (وهو محسن) ويدخل فيه فعل الحسنات وترك السيئات فتأمل في هذه اللفظة المختصرة واحتوائها على جميع المقاصد والأغراض ، وايضا فقوله تعالى : (اسلم وجهه لله) يفيد الحصر معناه انه اسلم نفسه لله وما اسلم لغير الله ، وهذا تنبيه على ان كمال الايمان لا يحصل إلا عند تفويض جميع الأمور الى الخالق واظهار التبري من الحول والقوة ، وايضا ففيه تنبيه على فساد طريقة من استعان بغير الله فان المشركين كانوا يستعينون بالاصنام ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، والدهرية والطبيعيون يستعينون بالأفلاك والكواكب

والطبايع وغيرها ، واليهود كانوا يقولون في دفع عقاب الآخرة عنهم انهم من اولاد الأنبياء ، والنصارى كانوا يقولون ثالث ثلاثة فجميع الفرق قد استعانوا بغير الله . واما المعتزلة فهم في الحقيقة ما اسلمت وجوههم لله لانهم يرون الطاعة الموجبة لثوابهم من انفسهم والمعصية الموجبة لعقابهم من انفسهم فهم في الحقيقة لا يرجون إلا انفسهم ولا يخافون إلا انفسهم . واما اهل السنة الذين فوضوا التدبير والتكوين والابداع والخلق الى الحق سبحانه وتعالى واعتقدوا انه لا موجد ولا مؤثر إلا الله فهم الذين اسلموا وجوههم لله وعولوا بالكلية على فضل الله وانقطع نظرهم عن كل شيء ما سوى الله .

(واما الوجه الثاني) في بيان فضيلة الاسلام وهو ان محمداً عليه الصلاة والسلام انما دعى الخلق الى دين ابراهيم عليه السلام فلقد اشتهر عند كل الخلق ان ابراهيم عليه السلام ما كان يدعو إلا الى الله تعالى كما قال (اني بريء مما تشركون) ، وما كان يدعو الى عبادة فلك ولا طاعة كوكب ولا سجدة صنم ولا استعانة بطبيعة بل كان دينه الدعوة الى الله والاعراض عن كل ما سوى الله ، ودعوة محمد (ص) قد كان قريبا من شرع ابراهيم (ع) في الختان وفي الأعمال المتعلقة بالكعبة مثل الصلاة اليها والطواف بها والسعي والرمي والوقوف والحلق والكلمات العشر المذكورة في قوله : (واذ ابتلا ابراهيم ربه) ولما ثبت ان شرع محمد (ص) كان قريبا من شرع ابراهيم ، ثم ان شرع ابراهيم مقبول عند الكل وذلك لان العرب لا يفتخرون بشيء كافتخارهم بالانتساب الى ابراهيم ، واما اليهود والنصارى فلا شك في كونهم مفتخرين به واذا ثبت هذا لزم ان يكون شرع محمد (ص) مقبولا عند الكل انتهى .

ثم لما بين الله الدين الذي اختاره وارتضاه وفضله على جميع الأديان

وامرنا بالاتصاف به والتمسك فيه ، ومن جملة هذا الدين الذي اختص به محمد وامته وبين لنا ان من جملة هذا الدين هو اتباع ملة ابراهيم وبعد ذلك قال تعالى : (واتخذ الله ابراهيم خليلا) .

تأمل ايها المسلم بما فضلك الله به ان جعلك من امة محمد ، وتأمل بما فضل به محمداً ان جعل دينه احسن الأديان كلها ، ومن جملة هذا الدين ملة ابراهيم التي كان العمل بها سبباً لاتخاذ الله ابراهيم خليلا فما ظنك بدين محمد الذي يكون بعضه سبباً لصيرورة العامل بـه خليلا لله .

فعليك ايها الراغب فى القرب من الله ، ايها الطالب للدرجات الرفيعة ان تعرف دين محمد بحقيقته وان تعمل به بتمامه وكماله ولا تقصر في المعرفة والعمل حتى تكون من ابرار امة محمد وحتى تكون مع محمد يوم القيامة .

مجمع البيان ج٥ ص١١٦ (واتخذ الله ابراهيم خليلا) اي محبا لا خلل في مودته لكمال خلته ، والمراد بخلته لله انه كان مواليا لاولياء الله ومعادياً لأعداء الله ، والمراد بخلة الله تعالى له نصرته على من اراده بسوء كما انقذه من نار النمرود وجعلها عليه برداً وسلاماً وكان فعله بملك مصر حين راوده عن اهله وجعله اماما للناس وقدوة لهم .

قال الزجاج جائز ان يكون سمي خليل الله بانه الذي احبه الله بان اصطفاه محبة تامة كاملة ، واحب الله هو محبة تامة كاملة ، وقيل سمي خليلا لانه افتقر الى الله وتوكل عليه وانقطع بحوائجه اليه ، وهو اختيار الفراء وابي القاسم البلخي ، وانما خصه الله بهذا الاسم وان كان الخلق كلهم فقراء الى رحمته تشريفاً له بالنسبة اليه من حيث انه فقير اليه لا يرجو لسد خلته بسواه كما خص موسى بانه كليم الله ، وعيسى

بانه روح الله ، ومحمداً بانه حبيب الله ، وقيل انما سمى خليلا لانه سبحانه خصه بما لم يخص به غيره من انزال الوحي عليه وغير ذلك من خصائصه ، وانما خصه من بين سائر الأنبياء بهذا الاسم على المعنيين اللذين ذكرناهما وان كان كل واحد من الأنبياء خليل الله في زمانه لانه سبحانه خصهم بالنبوة ، وقد روي عن النبي (ص) انه قال قد اتخذ الله صاحبكم خليلا يعني نفسه ، وهذا الوجه اختيار ابي علي الجبائي قال وكلما تعبد الله به ابراهيم فقد تعبد به نبينا وزاده اشياء لم يتعبد بها ابراهيم . ومما قيل في وجه خلة ابراهيم ما روي في التفسير ان ابراهيم كان يضيف الضيفان ويطعم المساكين وان الناس اصابها جدب فارتحل ابراهيم الى خليل له بمصر يلتمس منه طعاما لاهله فلم يصب ذلك عنده فلما قرب من اهله بمفازة ذات رمل لينة ملأ غرائره من ذلك الرمل لئلا يغم اهله برجوعه من غير ميرة فحول الله ما في غرائره دقيقا فلما وصل الى اهله دخل البيت ونام استحياء منهم ففتحوا الغرائر وعجنوا من الدقيق وخبزوا وقدموا اليه طعاما طيباً فسألهم من اين خبزوا قالوا من الدقيق الذي جئت به من عند خليلك المصري فقال أما انه من خليلي وليس بمصري فسماه الله سبحانه خليلا رواه علي بن ابراهيم عن ابيه عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن ابي عبد الله (ع) ، ثم بين سبحانه انما اتخذ ابراهيم خليلا لطاعته ومسارعته الى رضاه لا لحاجة منه سبحانه الى خلته فقال : (ولله ما في السماوات وما في الأرض) ملكا وملكا فهو مستغن عن جميع خلقه والخلق محتاجون اليه (وكان الله بكل شيء محيطا) يعني لم يزل سبحانه عالما بجميع مايفعله عباده ، ومعنى المحيط بالشيء انه العالم به من جميع وجوهه انتهى .

تفسير الفخر الرازي ج١١ ص٥٧ ثم قال تعالى : (واتخذ الله

ابراهيم خليلا) وفيه مسائل .

(المسألة الأولى) في تعلق هذه الآية بما قبلها وفيه وجهان : الأول ان ابراهيم عليه السلام لما بلغ في علو الدرجة في الدين ان اتخذه الله خليلا كان جديراً بان يتبع خلقه وطريقته . والثاني انه لما ذكر ملة ابراهيم ووصفه بكونه حنيفا ثم قال عقيبه (واتخذ الله ابراهيم خليلا) اشعر هذا بانه سبحانه انما اتخذه خليلا لانه كان عالماً بذلك الشرع آتياً بتلك التكاليف ومما يؤكد هذا قوله : (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما) وهذا يدل على انه سبحانه انما جعله اماما للخلق لانه اتم تلك الكلمات .

واذا ثبت هذا فنقول لما دلت الآية على ان ابراهيم عليه السلام انما كان بهذا المنصب العالي وهو كونه خليلا لله تعالى بسبب انه كان عاملا بتلك الشريعة كان هذا تنبيها على ان من عمل بهذا الشرع لابد وان يفوز باعظم المناصب في الدين وذلك يفيد الترغيب العظيم في هذا الدين ثم قال بعد اسطر .

(المسألة الثانية) ذكروا في اشتقاق الخليل وجوها : الأول ان خليل الانسان هو الذي يدخل في خلال اموره واسراره والذي دخل حبه في خلال اجزاء قلبه ، ولاشك ان ذلك هو الغاية في المحبة .

قيل لما اطلع الله ابراهيم عليه السلام على الملكوت الأعلى والأسفل ودعا القوم مرة بعد اخرى الى توحيد الله ومنعهم عن عبادة النجم والقمر والشمس ومنعهم عن عبادة الأوثان ثم سلم نفسه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان جعله الله اماما للخلق ورسولاً اليهم وبشره بان الملك والنبوة في ذريته ، فلهذه الاختصاصات سماه خليلا لان محبة الله لعبده عبارة عن ارادته لايصال الخيرات والمنافع اليه .

(الوجه الثاني) في اشتقاق اسم الخليل انـــه الذي يوافقك في خلالك .

أقول روي عن النبي (ص) انه قال : (تخلقوا باخلاق الله) فيشبه ان ابراهيم (ع) لما بلغ في هذا الباب مبلغا لم يبلغه احد ممن تقدم لاجرم خصه الله بهذا التشريف .

(الوجه الثالث) قال صاحب الكشاف ان الخليل هو الذي يسايرك في طريقك من الخل وهو الطريق في الرمل ، وهذا الوجه قريب من الوجه الثاني او يحمل ذلك على شدة طاعته لله وعدم تمرده في ظاهره وباطنه عن حكم الله كما اخبر الله عنه بقوله : (اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين) .

(الوجه الرابع) الخليل هو الذي يسد خللك كما تسد خلله وهذا القول ضعيف لان ابراهيم عليه السلام لما كان خليلا مع الله امتنع ان يقال انه يسد الخلل ومن هاهنا علمنا انه لا يمكن تفسير الخليل بذلك اما المفسرون فقد ذكروا في سبب نزول هذا اللقب وجوها .

الأول انه لما صار الرمل الذي اتى به غلمانه دقيقا قالت امرأته هذا من عند خليلك المصري ، فقال ابراهيم بل هو من خليلي الله .

والثاني : قال شهر بن حوشب هبط ملك فى صورة رجل وذكر اسم الله بصوت رخيم شجي فقال ابراهيم (ع) اذكره مرة اخرى فقال لا اذكره مجانا ، فقال لك مالي كله فذكره الملك بصوت اشجى من الأول فقال اذكره مرة ثالثة ولك اولادي ، فقال الملك ابشر فاني ملك لا احتاج الى مالك وولدك وانما كان المقصود امتحانك فلما بذل المال والأولاد على سماع ذكر الله لاجرم اتخذه الله خليلا .

الثالث : روى طاووس عن ابن عباس ان جبرئيل والملائكة لما

دخلوا على ابراهيم في صورة غلمان حسان الوجوه وظن الخليل انهم أضياف وذبح لهم عجلا سميناً وقربه اليهم وقال كلوا على شرط ان تسموا الله في اوله وتحمدوه في آخـــره فقال جبرائيل انت خليل الله فنزل هذا الوصف .

وأقول فيه عندي وجه آخر وهو ان جوهر الروح اذا كان مضيئاً مشرقاً علوياً قليل التعلق باللذات الجسمانية والأحوال الجسدانية ثم انضاف إلى مثل هذا الجوهر المقدس الشريف اعمال تزيده صقالة عن الكدورات الجسمانية وافكار تزيده استنارة بالمعارف القدسية والجلايا الإلهية صار مثل هذا الانسان متوغلا في عالم القدس والطهارة متبرئاً عن علائق الجسم والحس ، ثم لا يزال هذا الانسان يتزايد فى هذه الأحوال الشريفة الى أن يصير بحيث لا يرى إلا الله ولا يسمع إلا الله ولا يتحرك إلا بالله ولا يسكن إلا بالله ولا يمشي إلا بالله فكان نور جلال الله قد سرى فى جميع قواه الجسمانية وتخلل فيها وغاص في جوهرها وتوغل في ماهيّاتها فمثل هذا الانسان هو الموصوف حقاً بانه خليل لما انه تخللت محبة الله في جميع قواه واليه الاشارة بقول النبي (ص) في دعائه : (اللّهم اجعل فى قلبي نوراً وفي سمعي نوراً وفي بصري نوراً وفي عصبي نوراً) .

تفسير المراغي جـ٥ ص١٦٧ (واتخذ الله ابراهيم خليلا) اي اصطفاه الله لاقامة دينه في بلاد غلبت عليها الوثنية وافسد الشرك عقول اهلها وقد بلغ من الزلفى عند ربه ما صح به ان يسمى خليلا فقد اختصه بكرامة ومنزلة تشبه الخليل لدى خليله ، ومن كانت له هذه المنزلة كان جديراً ان تتبع ملته وتؤتسى طريقته .

والخلاصة انه منّ عليه بسلامة الفطرة وقوة العقل وصفاء الروح وكمال المعرفة وفنائه فى التوحيد انتهى .

قوله تعالى : (ولله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله بكل شيء محيطا) (١) .

هذه الآية الشريفة تنبه العبد الغافل وتعلم المرء الجاهل بان الله سبحانه لم يزل عالماً بجميع ما يفعله العباد من خير أو شر من الأفعال الظاهرة والخفية وما تكون بالجوارح أو من قبيل النيات التي تكون في القلوب فانه محيط بها ، والمحيط بالشيء لا يخفى عليه ذلك الشيء بل يعلم بحقيقته ويعلم دقائقه وجزئياته ، فالعبد الذي يظهر للناس الاسلام وعمله يكون مخالفا لما امر به النبي فان الله عالم به غير خفي عليه وان من اطلع على ما امر به النبي فغيّره وحرّفه وبدّله فان الله عالم به لانه مالك للعبد ومالك لقلب العبد ، والمالك للشيء عالم بحقيقة ذلك الشيء وكل من اظهر للناس انه قد اسلم وجهه لله واتبع ملة ابراهيم وهو مشاقق للنبي في بعض ما امر به فانه مكشوف عند الله غير خفي عليه لان ملة ابراهيم إنما يعرفها النبي بكمالها وتمامها وهو قد اودعها عند من اودع عنده تأويل القرآن وهو الذي جعله عدلاً للقرآن وامر امته بالتمسك بهما ، فمن ادعى انه تابع لملة ابراهيم وانه يعرفها وهو مخالف لمن أمر النبي بالتمسك به فان الله محيط به احاطة تامة يعلم السبب الذي حمله على هذه المخالفة ويعلم غرض العبد من هذه المخالفة .

تفسير الرازي ج١١ ص٦ ثم قال تعالى : (ولله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله بكل شيء محيطا) وفيه مسائل :

(المسألة الاولى) في تعلق هذه الآية بما قبلها وفيه وجوه الأول ان يكون المعنى انه لم يتخذ الله ابراهيم خليلا لاحتياجه اليه في امر من الأمور كما تكون صلة الآدميين ، وكيف يعقل ذلك وله ملك السماوات

---

(١) النساء آية ١٢٦ .

والارض ، ومن كان كذلك فكيف يعقل ان يكون محتاجـا إلى البشر الضعيف ، وانما اتخذه خليلا بمحض الفضل والاحسان والكرم ولانه لما كان مخلصا في العبودية لاجرم خصه الله بهذا التشريف ،

والحاصل انه كونه خليلاً يوهم الجنسية فهو سبحانه ازال وهم المجانسة والمشاكلة بهذا الكلام .

والثاني انه تعالى ذكر من أول السورة إلى هذا الموضع انواعا كثيرة من الأمر والنهي والوعد والوعيد ، فبين هاهنا انه إله المحدثات وموجد الكائنات والممكنات ومن كان كذلك كان ملكا مطاعا ، فوجب على كل عاقل ان يخضع لتكاليفه وان ينقاد لامره ونهيه .

الثالث انه تعالى لماذ كر الوعد والوعيد ولا يمكن الوفاء بهما إلا عند حصول امرين احدهما القدرة التامة المتعلقة بجميع الكائنات والممكنات ، والثاني العلم التام المتعلق بجميع الجزئيات والكليات حتى لا يشتبه عليه المطيع والعاصي والمحسن والمسيء فدل على كمال قدرته بقوله : (ولله ما في السماوات ومافي الأرض) وعلى كمال علمه بقوله : (وكان الله بكل شيء محيطاً) .

الرابع انه سبحانه لما وصف ابراهيم بانه خليله بين انه مع هذه الخلة عبداً له وذلك لانه له ما في السماوات وما فى الارض ويجرى هذا مجرى قوله : (ان كل من في السماوات والارض إلا آتى الرحمن عبداً) ومجرى قوله : (لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون) يعني ان الملائكة مع كمالهم في صفة القدرة والقوة في صفة العلم والحكمة لما لم يستنكفوا عن عبودية الله فكيف يمكن ان يستنكف المسيح مع ضعف بشريته عن عبودية الله كذا هاهنا يعني اذا كان كل من في السماوات والأرض ملكه في تسخيره ونفاذ إلهيته فكيف يعقل ان

يقال ان اتخاذ الله ابراهيم عليه السلام خليلا يخرجه عن عبودية الله وهذه الوجوه كلها حسنة متناسبة .

(المسألة الثانية) انما قال : (ما في السماوات وما في الأرض ولم يقل (من) لانه ذهب مذهب الجنس والذي يعقل اذا ذكر واريد به الجنس ذكر بـ (ما) .

(المسألة الثالثة) قوله تعالى : (وكان الله بكل شيء محيطـاً) فيه وجهان : احدهما المراد منه الاحاطة بالعلم . والثاني : المراد منه الاحاطة بالقدرة كما في قوله تعالى : (واخرى لم تقدروا عليها قداحاط الله بها) قال القائلون بهذا القول وليس لقائل ان يقول لما دل قوله ولله ما في السماوات وما في الارض على كمال القدرة . فلو حملنا قوله وكان الله بكل شيء محيطا على كمال القدرة لزم التكرار وذلك لانا نقول ان قوله : (لله ما فى السماوات وما في الأرض) لا يفيد ظاهره إلا كونه تعالى قادراً مالكا لكل ما في السماوات وما في الأرض ولا يفيد كونه قادراً على ما يكون خارجا عنهما ومغايرا لهما . فلما قال : (وكان الله بكل شيء محيطاً) دل على كونه قادرا على ما لا نهاية له من المقدورات خارجا عن هذه السماوات والأرض على ان سلسلة القضاء والقدر في جميع الكائنات والممكنات انما تنقطع بايجاده وتكوينه وابداعه ، فهذا تقرير هذا القول إلا ان القول الاول احسن لما بينا ان الألهية والوفاء بالوعد والوعيد انما يحصل ويكمل بمجموع القدرة والعلم فلابد من ذكرهما معا . وانما قدم ذكر القدرة على ذكر العلم لما ثبت في علم الاصول ان العلم بالله هو العلم بكونه قادرا ثم بعد العلم بكونه قادرا يعلم كونه عالماً لما ان الفعل بحدوثه يدل على القدرة وبما فيه الأحكام والاتقان يدل على العلم ولاشك ان الاول مقدم على الثاني انتهى .

تفسير المراغي ج٥ ص١٦٧ ثم ذكر ما هو كالعلة لما سبق بقوله (ولله ما في السماوات وما في الارض اي ان كل ما في السماوات والارض ملك له ومن خلقه مهما اختلفت صفات المخلوقات فجميعها مملوكة عابدة خاضعة لامره . (وكان الله بكل شيء محيطا) احاطة قهر وتسخير واحاطة علم وتدبير واحاطة وجود لان هذه الموجودات ليس وجودها من ذاتها ولا هي ابتدعت نفسها بل وجودها مستمدة من ذلك الوجود الأعلى ، فالوجود الالهي هو المحيط بكل موجود فوجب ان يخلص له الخلق ويتوجه اليه العباد . وقد جاءت هذه الآية خاتمة لما تقدم لفوائد: (١) بيان الدليل على انه المستحق وحده لاسلام الوجه له والتوجه اليه في كل حال لانه هو المالك لكل شيء وغيره لا يملك لنفسه شيئاً . (٢) نفي ما يتوهم في اتخاذ الله ابراهيم خليلا من ان هناك شيئاً من المقاربة في حقيقة الذات والصفات . (٣) التذكير بقدرته تعالى على انجاز وعده ووعيده في الآيات التي قبلها إذ من له مافي السماوات والارض خلقا وملكا فهو اكرم من وعد انتهى .

قوله تعالى : (ولله ما في السماوات وما في الارض ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله فان تكفروا فان لله ما في السماوات وما في الارض وكان الله غنياً حميدا) (١) .

ان هذه الآية مذكورة في القرآن الكريم في مواضع عديدة وفي كل موضع تذكر انما هي لاجل مناسبة الآيات التي قبلها او التي بعدها والمعنى واحد في جميع المواضع وهو تنبيه وتذكير للعبد بان جميع مافي السماوات وما في الأرض انما وجد بامر الله وانه تحت تصرفه وفي قبضته فلا يعجزه امر مما في السماوات وفي الأرض ، فكل شيء يرومه العبد المملوك لله ينبغي له ان يطلبه من الله لانه ملك الله ، وكل شيء يصعب

(١) النساء آية ١٣١ .

تحصيله ينبغي له ان يستعين بالله في تحصيله ، وكل شيء يريد ان يفعله العبد ينبغي له ان يحرز رضا الله في هذا الفعل ، فعلى العبد العاقل ان ان يعرف معنى الآية وان يجعل افعاله واقواله مطابقة لمعناها ليكون عبداً مطيعا لله ولا يكون عبداً آبقاً .

واما المقصود من ذكرها في هذا المقام والمناسبة مع الآيات المتقدمة عليها فهو ان الله سبحانه قد ذكر في الآيات السابقة بعض الأحكام المتعلقة بالزوجين وما يجب لاحدهما على الآخر وانه يجب على كل واحد من الزوجين ان يكون عاملا بامر الله وانه اذا وقع بينهما نــزاع ينبغي للآخرين اصلاحهما وينبغي لهما ان يرضيا بالحق ويرجعا اليه ، ثم لو لم يصطلحا ويتراضيا واختار كل منهما الفراق فافترقا فان الله يغني كل واحد منهما من سعته ومن رزقه ، ثم ذكر فى هذه الآية ما هو كالعلة لذلك الأمر الذي ذكره اي ان الزوجين اذا افترقا ينبغي لهما ان يتكلا على الله في الحصول على زوج احسن من الزوج المفارق وان يطلبا من الله سعة الرزق حيث ان الزواج يحتاج الى مال ومالك المال هو الله لانه مالك السماوات والارض ، وينبغي لكل احد ان يطلب الشيء من مالكه الحقيقي الذي خلقه والذي يقدر على التصرف به من سائر الوجوه كالابقاء والاعدام وتقويته وضعفه . هذا لو فرض ان الطالب للشيء غير مملوك لذلك المالك اما اذا كان الطالب هو ايضا مملوك لذلك المالك فهذا يؤكد ويؤيد ان يجعل طلبه من ذلك المالك وان يخلص له في النية والعمل حتى يسعفه بقضاء حاجته .

وعلى ما ذكر يكون نجاح العبد في الدنيا والآخرة موقوفاً على اطاعة الله بالطريقة التي يريدها الله وعدم عصيانه فى شيء من الأشياء ، فالرجل العاقل الذي يريد النفع لنفسه الرجل الذي يحاذر على نفسه من الضرر

بل من التلف بل من عذاب مستمر لا طاقة له به فليغتنم هذه الفرصة حتى يكون من الناجحين ، وقد روي عن النبي (ص) انه قال (عامل وجها واحدا يكفيك كل الوجوه) وان الله عز وجل الخالق للكل والمالك للكل والقادر على كل شيء قد نبه جميع الخلق إلى هذا الامر بقوله في وسط الآية (ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله فان تكفروا فان لله ما في السماوات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا) .

فقد كرر هذه الجملة مرتين وهي قوله : (لله ما في السماوات وما في الارض التي عرفت معناه وجعل الوصية لنا بالتقوى وسط الجملتين زيادة في تنبيهنا ، وبين لنا ان من لم يقبل هذه الوصية ولم يعمل بها فانه كافر والكافر انما يضر نفسه لا يضر غيرها لان الله له مافي السماوات وما في الارض لا تنفعه طاعة المطيعين ولا تضره معصية العاصين .

فالعبد الذي يقرأ هذه الآية التي تصف الله في اولها واخرها بانه مالك ما في السماوات وما في الأرض ويقرأ أو يسمع وصية الله له بالتقوى ثم لم يتق الله ويعصه فان احسن وصف يوصف به هذا العبد هو ما وصفه الله من الكفر حيث قال : (وان تكفروا فان لله ما في السماوات . . . الخ) .

ثم بعد هذا التأكيد الشديد قال : (ولله ما في السماوات وما في الارض وكفى بالله وكيلا) (١) .

هذه هي المرة الثالثة التي كررت هذه الجملة ففي المرة الأولى ذكر بعدها الوصية للاولين والآخرين بالتقوى ، وفي المرة الثانية ذكر بعدها صفتين من صفات الله لتعليم الجاهل وتنبيه الغافل وهما في قوله

(١) النساء آية ١٣٢ .

(وكان الله غنيا حميدا) ، وفي المرة الثالثة ذكر بعدها صفة من صفات الله تكفي عن كل الصفات وهي قوله : (وكفى بالله وكيلا) حيث انه لم يقل وكيلا فى امر خاص وانما هو وكيل مطلق اي في كل امر من الامور لانه مالك لما فى السماوات وما في الارض ، وكل شيء من الأشياء تحتوي عليه السماوات والارض فهو وكيل على كل شيء (وسع كرسيه السماوات والارض ولا يؤوده حفظهما) ويشمل الوصف ايضا ما هو خارج عما في السماوات والارض كالعرش والكرسي وغيرهما وهذا الذي يكون بهذه القوة وهذه القدرة وهذه الحكمة وهذا العز ينبغي للعبد الضعيف العاجز ان يتخذه وكيلا فلو تركه وتوكل على عبد ضعيف مثله كان سليب العقل عديم المعرفة ، فان الوكيل على الشيء هو المتعهد لحفظ ذلك الشيء فاذا كان الشيء مخلوقا له لا يمكن ان يخرج عن ارادته فلا يفسد او يخرب او يموت او يطغى او يتغير من حال الى حال إلا باذنه وارادته فكل امر من الامور اذا اراد العبد ان يحصله اما ان يكون هذا الامر داخلا تحت قدرة البشر او لا يكون داخلا في قدرة البشر . اما اذا لم يكن داخلا في قدرة البشر فلابد من طلبه من الله والاستعانة عليه بعد ايجاد مقدماته بالله تعالى ، واما اذا كان داخلا تحت قدرة البشر فتارة يكون كل احد قادرا عليه كالاكل والشرب والمشي والنوم وامثال ذلك فهذا كل احد يهيء لنفسه مايحتاج ، وتارة اخرى لا يكون كل احد قادرا على تحصيله كتحصيل الحقوق المغتصبة بواسطة المحاكم المدنية فمثل هذا يوكل المرء احد الرجال المتخرجين من كلية الحقوق حتى يحصل له حقه ، والكلام في الوكيل الذي يتعهد لموكله والوكيل هو الذي قد اصطلح عليه في هذا العصر بالمحامي فانه يعتبر فيه أن يكون متصفا بصفات تؤهله للوكالة بتحصيل الحق لصاحبه .

شروط المحامي :

الاول ان يكون عالما بجميع القوانين مستحضرا لها بحيث اذا القى عليه خصمه او وكيل خصمه سؤا لا يوجب سقوط حقه يتمكن من الاجابة عليه وإلا فسوف يكون الحكم عليه ولا يحصل على نتيجة حسنة بل يكبد دفع مصارف المحكمة ، واذا كان عالما بالقوانين يلتفت الى كل حيلة ومكر يقوم بهما الخصم ويعرف كل امـــر باطل مصورا بصورة الحق كما فعل عمرو بن العاص مع ابي موسى الاشعري .

الامر الثاني من الامور المعتبرة في الوكيل المحامي ان يكون قوي القلب شجاعا لا يخاف من خصمه اذا كان اقوى منه واذا هدده وتوعده ويكون جرئيا على التصريح بالحق فلا يداهن ولا يخاف ولا يستحي ولا يجبن فانه ربما يطلع على وجه تلبيس خصمه فيمنعه الخوف او الجبن او الحياء او صارف اخر من الصوارف المضعفة للقلب عن التصريح به

الثالث من شروط المحامي الفصاحة وطلاقة اللسان بحيث يتمكن على بيان ما يريد باحسن بيان واوضحه ليتجلى للسامع مراده فليس كل من يطلع على مواقع التلبيس يمكنه بيان ذلك لم يكن ذاق اللسان فصيح البيان .

الامر الرابع من شروط المحامي ان يكون ثقة صاحب ضمير طيب وقلب طاهر ونفس زكية وسريرة نزيهة عن كل عيب بحيث يبذل جهده لموكله ويتعب نفسه في تحصيل حقه وغلبة خصمه وهذا الامر الرابع هو اهم الامور كلها والمقدم عليها رتبة لان الوكيل اذا لم يكن طاهر القلب نقي النفس لا يهمه امر موكله ولا يبالي به سواءاً أظفر به خصمه أم لم يظفر به وسواءاً غدر حقه أم لم يغدر .

الامر الخامس من شروط المحامي ان يكون غني النفس لا يغلب عليه الطمع لانه اذا غلب عليه الطمع فتعامل مع احد الخصمين او تعامل مع صاحب الحق على اجر معلوم قدره عشرة او مئة ثم جاءه الطرف الآخر ودفع له اكثر مما دفع الاول رفض هـذا المحامي الطماع الاول وتوكل عن الثاني ، وهذا الفعل لا يفعله غيور وصاحب نفس ابية اما ذلك المحامي الذي يرتشي ويخون موكله فانه خارج عن حد البشرية وداخل في نوع البهيمية ، فليعرف نفسه قبل ان يعرفه الناس .

فاذا اراد احد ان يتخذ وكيلا ليقوم بتنفيذ بعض مطالبه المتعلقة بالدوائر الرسمية او غير الرسمية فليتخذ من توفرت فيه هذه الشروط الخمسة المتقدم ذكرها ولا اظن انه يجد مثل هذا ولكن اذا وجد رجلا ذا نفس طيبة وضمير طاهر لا يخونه ولا يكون عونا عليه فهو المطلوب فليتخذه وكيلا .

إذا عرفت ما تقدم فينبغي للمؤمن المعتقد بصفات الله الثبوتيـة والسلبية ألا يتخذ وكيلا غير الله فانه هو الخالق لما في السماوات ومـا فى الارض من علم ومن قوة ومن غنى ومن فصاحة وبلاغة وهو العـالم بالسرائر والضمائر وهو العالم بمصالح العباد ، ولا يفوته شيء ولا يشغله شيء عن شيء : (ولله ما في السماوات وما في الارض وكفى بالله وكيلا) مجمع البيان ج٥ ص١٢١ .

قوله تعالى : (ولله ما في السماوات وما في الارض ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وان تكفروا فان لله ما السماوات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا ولله ما في السماوات وما في الارض وكفى بالله وكيلا) (١) .

---

(١) النساء آية ١٣٢ .

ثم ذكر سبحانه بعد اخباره باغناء كل واحد من الزوجين بعد الافتراق من سعة فضله ما يوجب الرغبة اليه في ابتغاء الخير منه فقال (ولله ما في السماوات وما في الارض) اخباراً عن كمال قدرته وسعة ملكه ، اي فان من يملك ما في السماوات وما في الارض لا يتعذر عليه الاغناء بعد الفرقة والايناس بعد الوحشة ، ثم ذكر الوصية بالتقوى فان بها ينال خير الدنيا والآخرة فقال : (ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم من اليهود والنصارى وغيرهم واياكم اي وأوصيناكم ايها المسلمون في كتابكم ان اتقوا الله ، وتقديره بان اتقوا الله اي اتقوا عقابه باتقاء معاصيه ولا تخالفوا امره ونهيه (وان تكفروا) اي تجحدوا وصيته اياكم ان تخالفوها فان لله ما في السماوات وما في الارض لا يضره كفرانكم وعصيانكم ، وهذه اشارة الى ان امره جميع الامم بطاعته ونهيه اياهم عن معصيته ليس استكثارا بهم عن قلة ولا استنصاراً بهم عن ذلة ولا استغناء بهم عن حاجة ، فان له ما فى السماوات وما في الارض ملكا وملكا وخلقاً لا يلحقه العجز ولا يعتريه الضعف ولا تجوز عليه الحاجة وانما امرنا ونهانا ، نعمة منه علينا ورحمة بنا (وكان الله غنيا) اي لم يزل سبحانه غير محتاج الى خلقه بل الخلائق كلهم محتاجون اليه (حميدا) اي مستوجبا للحمد عليكم بصنائعه الحميدة اليكم والآئه الجملية لديكم فاستديموا ذلك باتقاء معاصيه والمسارعة الى طاعته فيما يأمركم به ، ثم قال : (ولله ما في السماوات وما في الارض وكفى بالله وكيلا) اي حافظ لجميعه لا يعزب عنه علم شيء منه ولا يؤده حفظه وتدبيره ولا يحتاج مع سعة ملكه الى غيره . واما وجه التكرار لقوله ولله ما في السماوات وما في الارض فى الآيتين ثلاث مرات فقد قيل انه للتأكيد والتذكير . وقيل انه للابانة عن علل ثلاث :

احدها : بيان ايجاب طاعته فيما قضى به لان له ملك السماوات والارض .

الثاني : بيان غناه عن خلقه وحاجتهم اليه واستحقاقه الحمد على النعم لان له ما في السماوات وما في الأرض .

الثالث : بيان حفظه اياهم وتدبيره لهم لان له ملك السماوات والارض انتهى .

تفسير الرازي ج١١ ص٦٩ قوله تعالى .

(ولله ما فى السماوات وما في الارض ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وان تكفروا فان لله ما في السماوات وما في الارض وكان الله غنياً حميدا ١٣١ ولله ما في السماوات ومافي الارض وكفى بالله وكيلا) .

وفي تعلق هذه الآية بما قبلها وجهان :

(الاول) انه تعالى لما ذكر انه يغني كلا من سعته وانه واسع اشار إلى ما هو كالتفسير لكونه واسعا فقال : (ولله ما في السماوات وما في الارض) يعني من كان كذلك فانه لابد وان يكون واسع القدرة والعلم والجود والفضل والرحمة .

(الثاني) انه تعالى لما امر بالعدل والاحسان الى اليتامى والمساكين بيّن انه ما امر بهذه الاشياء لاحتياجه الى اعمال العباد لان مالك السماوات والارض كيف يعقل ان يكون محتاجا الى عمل الانسان مع ما هو عليه من الضعف والقصور بل انما امر بها رعاية لما هو الاحسن لهم في دنياهم واخراهم ثم قال تعالى : (ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله) وفيه مسائل :

(المسألة الاولى) المراد بالآية ان الامر بتقوى الله شريعة عامة

لجميع الامم لم يلحقها نسخ ولا تبديل بل هو وصية الله في الأولين والآخرين

(المسألة الثانية) قوله (من قبلكم) فيه وجهان الأول : انه متعلق بوصينا يعني ولقد وصينا من قبلكم الذين اوتوا الكتاب . والثاني انه متعلق باوتوا يعني الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وصيناهم بذلك ، وقوله (واياكم) بالعطف على الذين اوتوا الكتاب والكتاب اسم للجنس يتناول الكتب السماوية والمراد اليهود والنصارى .

(المسألة الثالثة) قوله : (ان اتقوا الله) كقولك امرتك الخير ، قال الكسائي يقال اوصيتك ان إفعل كذا وان تفعل كذا ، ويقال ألم آمرك ان إتى زيدا وان تأتى زيداً ، قال تعالى : (امرت ان اكون اول من اسلم) ، وقال (انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة) ثم قال تعالى : (وان تكفروا فان لله ما فى السماوات وما في الأرض وكان الله غنيا حميدا) .

قوله وان تكفروا عطف على قوله (اتقوا الله) والمعنى امرناهم وآمركم بالتقوى وقلنا لهم ولكم (ان تكفروا فان لله ما في السماوات وما في الارض) وفيه وجهان :

الأول انه تعالى خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم باصناف النعم كلها فحق كل عاقل ان يكون منقادا لاوامره ونواهيه يرجو ثوابه ويخاف عقابه

و (الثاني) انكم ان تكفروا فان لله ما فى سماواته وما في ارضه من اصناف المخلوقات من يعبده ويتقيه وكان مع ذلك غنيا عن خلقهم وعن عبادتهم ومستحقاً لان يحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده احد منهم فهو فى ذاته محمود سواء حمدوه ام لم يحمدوه .

ثم قال تعالى : (ولله ما في السماوات وما في الارض وكفى بالله وكيلا) .

فان قيل ماالفائدة في تكرير قوله : (ولله ما في السماوات وما في الارض) .

قلنا انه تعالى ذكر هذه الكلمات في هذه الآية ثلاث مرات لتقرير ثلاثة امور فاولها انه تعالى قال : (وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته) والمراد منه كونه تعالى جوادا متفضلا فذكر عقيبه قوله : (ولله ما في السماوات وما في الارض) والغرض تقرير كونه واسع الجود والكرم وثانيها قال : (وان تكفروا فان لله ما في السماوات وما في الارض) والمراد منه انه تعالى منزه عن طاعات المطيعين وذنوب المذنبين فلا يزداد جلاله بالطاعات ولا ينقص بالمعاصي والسيئات فذكر عقيبه قوله : (فان لله ما فى السماوات وما في الارض) والغرض منه تقرير كونه غنيا لذاته عن الكل انتهى .

تفسير المراغي ج٥ ص١٧٥ بعد ما ذكر الآيات قال :

(المعنى الجملي)

بعد ان امر الله سبحانه بالعدل والاحسان إلى اليتامى والمساكين بين انه ما امر بهذه الاشياء لاحتياجه الى اعمال العباد لان كل مافي السماوات والارض ملكه فهو مستغن عنهم وقادر على اثابتهم على طاعته فيما شرعه لخيرهم ومصلحتهم بل ليزدادوا بتدبرها ايمانا يحملهم على العمل بها والوقوف عند حدودها .

(الايضـــاح)

(ولله ما في السماوات وما في الارض) خلقاً وملكا فهو وحده

مدبر الاكوان فلا يتعذر عليه الاغناء بعد الفقر ولا الايناس بعد الوحشة الى نحو هذا مما ينبيء بعظيم القدرة وكمال الجود والاحسان .

(ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله) اي ولقد امرنا من قبلكم من اليهود والنصارى وغيرهم من سالف الامم كما امرناكم بتقوى الله في اقامة سننه واقامة شريعته فبالاولى ترقى معارفكم وبالثانية تزكو نفوسكم وتنتظم مصالحكم الدينية والدنيوية .

(وان تكفروا فان لله ما في السماوات وما في الارض) اي وان تكفروا انعم الله وتجحدوا فضله واحسانه فاعلموا انه سبحانه مالك الملك والملكوت لا يضره كفركم ومعاصيكم كما لا ينفعه شكركم وتقواكم وقد وصاكم واياهم بهما لرحمته لا لحاجته .

ثم زاد ما سلف توكيدا فقال :

(وكان الله غنيا حميدا) اي وكان الله غنيا عن كل شيء بذاتـــه محموداً بذاته وكمال صفاته فهو لا يحتاج الى شكركم لتكميل نفسه (وان من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) وفي الحديث القدسي (يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك في ملكي شيئاً ، يا عبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك في ملكي شيئاً ، يا عبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فاعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط اذا ادخل في البحر ، يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه) رواه مسلم .

ثم اعاد ما سلف بزيادة التوكيد فقال :

(ولله ما في السماوات وما في الارض وكفى بالله وكيلا) اي له سبحانه ما فيهما خلقا وملكا يتصرف فيهما كيف ما شاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وكفى به قيما وكفيلا يوكل به امر العباد فى ارزاقهم واقواتهم وسائر شؤونهم .

قوله تعالى : (إن يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا) (١) .

ان الله سبحانه عزوجل اوصانا بالتقوى كما وصى بها قبلنا الامم السالفة ، ومعنى التقوى هو الاتقاء من عذابه وعقابه ، وكيفية الاتقاء أن يبتعد الانسان عن كل امر نهاه الله عنه وتوعد فاعله بالعقاب عليه ، وبين لنا أن من لم يعمل بهذه الوصية وكان مخالفالها فهو كافر ، ثم بين لنا انه هو المالك للسماوات والارض وما فيهما والخلق كلهم على وجه الارض وهم عبيد لله وقد كرر هذا الامر ثلاث مرات ليعرف العبد انه مخلوق لله مملوك له والخالق المالك يمكنه اعدام مخلوقه في اسرع وقت ، وقد بين الله لنا فى هذه الآية ما فيه وعيد عظيم وهو انه اذا لم يعمل العباد بهذه الوصية وهي تقوى الله ، اذا عصوه وخالفوا امره واصروا على ذلك ولم يتوبوا ولم يستغفروا فانه قد يشاء ويختار اعدامهم وافناءهم وإذهابهم من على وجه الارض الى بطنها وجوفها ثم يخلق خلقاً آخرهم اسمع لوصيته منا واطوع لامره فانه قادر على هذا التبديل والتغيير وافناء الموجودين وايجاد المعدومين ، فقد عرفتم انه هو المالك لما في السماوات والارض وانتم من جملة من في الارض .

مجمع البيان ج٥ ص١٢٢ قال بعد ذكر الآية .

---

(١) النساء آية ١٣٣ .

(المعـنى)

لما ذكر سبحانه غناه عن الخلق بان له ملك السماوات والارض عقب ذلك بذكر كمال قدرته على خلقه وان له الاهلاك والانجاء والاستبدال بعد الافناء فقال (ان يشأ يذهبكم) يعني ان يشأ الله يهلككم (ايها الناس) ويفنكم وقيل فيه محذوف أي ان يشأ الله ان يذهبكم يذهبكم ايها الناس (ويأت بآخرين) اي يقوم آخرين غيركم ينصرون نبيه ويوازرونه . ويروى انه لما نزلت هذه الآية ضرب النبي (ص) يده على ظهر سلمان وقال هم قوم هذا يعني عجم الفرس (وكان الله على ذلك قديرا) اي لم يزل سبحانه ولا يزال قادرا على الابدال والافناء والاعادة أه .

تفسير الرازي ج١١ ص٧١ وثالثها قال : (ولله ما في السماوات وما في الارض وكفى بالله وكيلا) ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين (وكان الله على ذلك قديرا) والمراد منه انه تعالى قادر على الافناء والايجاد فان عصيتموه فهو قادر على اعدامكم وافنائكم بالكلية وعلى ان يوجد قوماً آخرين يشتغلون بعبوديته وتعظيمه ، فالغرض هاهنا تقدير كونه سبحانه وتعالى قادراً على جميع المقدورات واذا كان الدليل الواحد دايلا على مدلولات كثيرة فانه يحسن ذكر ذلك الدليل ليستدل به على احد تلك المدلولات ، ثم يذكره مرة اخرى ليستدل به على الثاني ، ثم يذكره ثالثاً ليستدل به على المدلول الثالث ، وهذه الاعادة احسن واولى من الاكتفاء بذكر الدليل مرة واحدة ، لان عند اعادة ذكر الدليل يخطر في الذهن ما يوجب العلم بالمدلول فكان العلم الحاصل بذلك المدلول اقوى واجلى فظهر ان هذا التكرير في غاية الحسن وايضا فاذا اعدته ثلاث مرات وفرعت عليه في كل مرة اثبات صفة اخرى من صفات

جلال الله تنبه الذهن حينئذ لكون تخليق السماوات والارض دالاً على اسرار شريفة ومطالب جليلة ، فعند ذلك يجتهد الانسان في التفكر فيها والاستدلال باحوالها وصفاتها على صفات الخالق سبحانه وتعالى ، ولما كان الغرض الكلي من هذا الكتاب الكريم صرف العقول والافهام عن الاشتغال بغير الله الى الاستغراق في معرفة الله وكان هذا التكرير مما يفيد حصول هذا المطلوب ويؤكده لاجرم كان في غاية الحسن والكمال .

وقوله : (وكان الله على ذلك قديرا) معناه انه تعالى لم يزل ولا يزال موصوفا بالقدرة على جميع المقدورات فان قدرته على الاشياء لو كانت حادثة لافتقر حدوث تلك القدرة الى قدرة اخرى ولزم التسلسل .

تفسير المراغى ج٥ ص١٧٦ : (ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين) اي ان يرد افناءكم واستئصالكم من الوجود وايجاد قوم آخرين من البشر يحلون محلكم في الحكم والتصرف فهو قادر على ذلك ، لان كل ما في السماوات والارض فهو تحت قبضته وخاضع لسلطانه .

والخلاصة ان ابقاءكم على ما انتم عليه من العصيان إنما هو لكمال غناه عن طاعتكم ولان مشيئته لم تتعلق بهذا الافناء لحكم ومصالح ارادها سبحانه لا لعجز عن ذلك تعالى الله علوا كبيرا .

ومثل هذه الآية قوله تعالى : (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز) وقوله تعالى : (وان تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا امثالكم) وفي هذه الآيات تهديد للمشركين الذين كانوا يؤذون النبي (ص) ويقاومون دعوته ، وتنبيه للناس الى التأمل في سنن الله التي جرت في حياة الامم وموتها ، وان هذه السنن اذا تعلقت بها المشيئة وقعت لا محالة (وكان الله على ذلك قديرا) اي وكان الله قديراً على ذلك الافناء وايجاد خلق آخر إذ بيده ملكوت كل شيء لكنه لحكم

يعلمها لم تتعلق ارادته بذلك انتهى .

ولقد انكشف للقارىء من الآية الشريفة ومن تفسيرها ان العباد اذا امرهم الله بامر فعصوه ولم يمتثلوا امره فانهم يستحقون الافناء والابادة ولكن ارادة الله ومشيئته لم تتعلق بهذه الابادة اي ابادة مجموع اهــل الارض ولكن ينبغي للعاقل ان يلتفت الى ان هذه الحوادث التي تحدث في هذه العصور من الثورات الكثيرة والمؤامرات وقتل الكثيرين من البشر هذه كلها من اجل كثرة المعاصي ومخالفة اوامر الله فان الافنــاء العام لم يرده الله ولم تتعلق مشيئته به ، اما الافناء الخاص الذي يعم المئات والالوف او مئات الالوف فانه متكرر الوقوع لا تخلو منه سنة او شهر فينبغي للعبد ان يلتفت الى نفسه ولا يحشرها مع هؤلاء الذين يخالفون الله ويخرجون من دين الاسلام باعمالهم المحرمة المنافية للاسلام فان الدخول فيها خسران الدنيا والآخرة كل ذلك طمعاً في الدنيا وتكالبا عليها ، وقد يحوز الانسان الواحد آلافاً من الدنانير وقد تبلغ الملايين فما تمضي عليه مدة من الزمن حتى تسلب منه او يتركها ويمضي سريعا الى جهنم لانه سلبها من الناس وقتل على سلبها كثيرا من النفوس المحرمة ، فان المال الذي يجمعه المرء من غير الوجه المباح ليس له حق تملكه ولا يجوز له الاكل والشرب منه ولا سائر التصرف ، وقد نبهنــا الله تعالى فى الآية التي بعدها .

في قوله تعالى : (من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سمعيا بصيرا) (١) .

ان الله بين لنا في آيات كثيرة من القرآن بانه خلق مع الدنيـا آخرة وبين لنا ان الدنيا زائلة والآخرة باقية ، وبين لنا ان المرء في الآخرة

---

(١) النساء آية ١٣٤ .

دائر امره بين طريقين اما طريق الجنة واما طريق النار وان طريق الجنة انما يؤذن له في سلوكها اذا طلبها وهو في الدنيا وعمل لها العمل الذي عرفوه به وهو اطاعة الله ورسوله ، واما الذي يترك العمل لتحصيل طريق الجنة ويكون عمله في الدنيا محضا للدنيا وحدها فانه لا يمكنه السير في طريق الجنة هذا كله مذكور في الآيات القرآنية ، وقد ذكر الله لنا قبل هذه الآية بانه مالك السماوات والارض وكررها علينا ثلاث مرات وفي هذه الآية بين لنا امراً عقليا مبنياً على حساب واضح جلي وهو ان الانسان اذا كان مسلما او كان معتقدا بان الدنيا والآخرة بيد الله وتحت قدرته وتصرفه لانه هو الخالق لهما وخالق الشيء قادر على التصرف فيه بكل وجه .

فهذا الذي يعرف ان الدنيا والآخرة بيد الله لا ينبغي له بموجب الحكم العقلي ان تكون اعماله كلها من المعاملات والعبادات لاجل الدنيا وحدها ولا يعمل شيئاً لاجل الآخرة فانه يأتي بالعبادة من صلاة وجهاد وحج وغير ذلك من العبادات كلها لاجل ان يحصل على الاموال الدنيوية فهو غير مؤمن بالله وبوعده ووعيده والا لو كان مؤمنا بالله ومعتقدا بان الامور كلها بيد الله ، وان الارزاق مقسمة من قبل الله ، وان الله متعهد لجميع عباده بالرزق لما كان بهذه الدرجة من الانهماك والانغماس فيها فالله عز وجل يقول لمن يطلب الجزاء الدنيوى من جميع اعماله ان الجزاء الدنيوي انما هو بيد الله وعند الله فلا يمكنك ان تحصل على شيء منه إلا باذن الله وبتقديره وقضائه وان بيده ايضا ثواب الآخرة مع ثواب الدنيا ، فلو كنت عاقلا مفكراً عارفاً بالحساب كان ينبغي لك ان تطلب الثواب الاخروي من اعمالك ، واما الدنيا فان الله متكفل بها ضامن لها وهي حاصلة لك على كل حال وانك ايها الطالب للدنيا قد عكست الامر

فطلبت الدنيا المضمونة فلا يصيبك منها إلا ما قدّر لك وخسرت الآخرة فلا تحصل على شيء منها .

قوله تعالى : (وكان الله سميعا بصيرا) هذا انذار عظيم لطالب الدنيا والمعرض عن الآخرة فانه يأتى باعمال الآخرة امام الناس مظهراً لهم انه يعمل للآخرة ليصيب من دنياهم ما امكن من غنائم الحرب ومن غيرها وقد غفل أو تغافل ان الله يسمع وساوس صدره ويبصر نيّته المطوية في قلبه ويعلم سريرته الخبيثة فهو وان اخفاها على الناس فهي لا تخفى على الله .

ثم هذا الذي يطلب باعماله ثواب الدنيا اما ان يكون منافقاً يظهر الايمان ويبطن الكفر ، وأما ان يكون في غاية من الجهل والغفلة من معنى الاسلام والايمان ويظن انه قول باللسان ليس وراءه شيء . وقد وردت آيات واخبار كثيرة في ذم الدنيا وذم من يطلبها طلباً حثيثاً وانها لا تساوي عند الله جناح بعوضة وانها جيفة وطالبها الكلاب وانها بمنزلة قنطرة يعبر عليها .

فقد روي عن أبي عبد الله الصادق (ع) قال : من أصبح وامسى والدنيا أكبر همه جعل الله تعالى الفقر بين عينيه وشتت أمره ولم ينل من الدنيا إلا ما قسم له ، ومن أصبح وامسى والآخرة أكبر همه جعل الله تعالى الغنى في قلبه وجمع له امره . وعنه (ع) قال : من كثر اشتباكه بالدنيا كان أشد لحسرته عند فراقها ، وعنه (ع) قال : رأس كل خطيئة حب الدنيا . وقال الامام الحسن العسكري : (لا يشغلك رزق مضمون عن عمل مفروض) ولا يخفى ان المقصود من الدنيا هي المدة التي تكون قبل الموت فالمراد من ارادة ثوابها في الآية ومن حبها والاشتغال بها في الاحاديث هو ان يصرف الانسان اوقاته واعماله في

تحصيلها واكتسابها ويكون منهمكاً فى جلب المادة إليه بحيث لا يعمل للآخرة شيئاً ، وقد وصفت الدنيا باوصاف كثيرة كلها توضح للناس أن الانغماس فيها والتوغل بها شيء مذموم يوجب الهلاك للانسان ويجب على العاقل تركه .

قال الله تعالى : (وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون) (١) .

وقال تعالى : (وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون) (٢) .

وقال تعالى : (انما الحياة الدنيا لعب ولهو وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ولا يسألكم اموالكم) (٣) .

وقال تعالى : (اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والأولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) (٤) .

فقد وصف الله تعالى الدنيا في هذه الآيات بانها لهو ولعب وجعل الذي يختارها ويقدمها على الآخرة غير عاقل كما فى الآية الاولى حيث اخبر ان الدار الآخرة هي خير من الدنيا ، والعاقل ينبغي له ان يقدم الآخرة على الدنيا فاذا عكس الأمر فهو غير عاقل .

وفى الآية الثانية وصف الدنيا باللعب واللهو ووصف الآخرة بانها

---

(١) الانعام آية ٣٢ .

(٢) العنكبوت آية ٦٤ .

(٣) سورة محمد آية ٣٦ .

(٤) سورة الحديد أية ٢٠ .

دار الحيوان أي الحياة الحقيقية الدائمة والانسان اذا علم علماً قطعياً بأخبار الله ان الدنيا زائلة فانية ناقصة وان الآخرة باقية دائمة تامة النعم من جميع الجهات فلا ينبغي له تقديم الزائل على الباقي والمنقطع على الدائم والناقص على الكامل لان هذا لا يفعله إلا غير العالم بالحال ومن علم بالأمر وقدم المفضول على الفاضل فكأنه غير عالم وكأنه من الجاهلين ولذا قال تعالى : (لو كانوا يعلمون) فقد انزلهم منزلة من لا يعلم .

واما الآية الثالثة فقد وصف الدنيا باللعب واللهو ثم ذكر لنا انا اذا آمنا به واتقينا فانه يعطينا اجرنا في الآخرة ولا يأخذ منا اموالنا التي جعلها في ايدينا وهذا أمر يحكم العقل بوجوب المصير اليه واختياره على غيره فمن تركه وصار إلى غيره فهو غير عاقل .

وأما الآية الرابعة فقد وصف فيها الدنيا باللعب واللهو والزينة وجعل عاقبتها ومآلها كالنبات الذي يكون آخر أمره حطاماً ولا يستفاد من ثمره هذه هي عاقبة الدنيا ، أما الآخرة فقد جعل نتيجتها مرددة ودائرة بين أمرين اما مغفرة من الله ورضوان . وأما عذاب شديد . فمن اختار ثواب الدنيا فحسب يكون نصيبه في الآخرة العذاب الشديد ومن عمل للآخرة عملها ولم يجعل الدنيا وحدها ثواباً له بل كان من المؤمنين المتقين يحصل في الآخرة على مغفرة الله ورضوانه .

قال الدكتور زكي مبارك في كتابه التصوف في الاسلام ج١ ص٣١٩

١١ ـ وهناك كتاب نفيس للطرطوشي اسمه (سراج الملوك) وهو يفيض بأخبار الزهاد والنساك وما يجب ان يطلع عليه من يحرصون على صفاء القلوب وقد جاء فيه ان وهب بن منبّه قال : صحب رجل بعض الرهبان سبعة أيام ليستفيد منه شيئاً فوجده مشغولاً عنه بذكر الله تعالى والفكر

لا يفتر ، ثم التفت اليه في اليوم السابع فقال : يا هذا قــد علمت ما تريد ، حب الدنيا رأس كل خطيئة ، والزهد في الدنيا رأس كل خير والتوفيق نتاج كل خير فاحذر رأس كل خطيئة ، وارغب في رأس كل خير وتضرع إلى ربك ان يهب لك نتاج كل خير ، قال فكيف اعرف ذلك ؟ قال كان جدي رجلا من الحكماء قد شبّه الدنيا بسبعة اشياء ، شبهها بالماء الملح يغرّ ولا يروي ويضر ولا ينفع ، وبسحاب الصيف يغر ولا ينفع ، وبظل الغمام يغر ويخذل ، وبزهر الربيع ينضر ثم يصفر فتراه هشيما ، وباحلام النائم يرى السرور في منامه فاذا استيقظ لم يكن في يده إلا الحسرة ، وبالعسل المشوب بالسم الزعاف يغر ويقتل فتدبرت هذه الاحرف سبعين سنة ثم زدت حرفاً واحداً فشبهتها بالغول التي تهلك من اجابها وتترك من اعرض عنها انتهى .

وروي عن الصادق (ع) قال فيما ناجى الله به موسى (ع) ياموسى لا تركن إلى الدنيا ركون الظالمين وركون من اتخذها اباواما الى ان قال واعلم ان كل فتنة بدؤها حب الدنيا ، ولا تغتبط احداً بكثرة المال فان كثرة المال تكثر الذنوب .

وعنه (ع) قال : ان في كتاب علي صلوات الله عليه انما مثل الدنيا كمثل الحية ما ألين مسها وفي جوفها السم الناقع يحذرها الرجل العاقل ويهوى اليها الصبي الجاهل .

وفي كتاب أمير المؤمنين الى بعض اصحابه فارفض الدنيا فان حب الدنيا يعمي ويصم ويبكم ويذل الرقاب . وعن ابي عبد الله (ع) قال ان مثل الدنيا كمثل ماء البحر كلما شرب منه العطشـان ازداد عطشاً حتى يقتله ، وعن النبي (ص) قال من احب دنياه أضر بآخرته ، وعن النبي (ص) قال ان الله جل جلاله اوحى الى الدنيا ان اتعبي من

خدمك واخدمي من رفضك . وان كلمات النبي والائمة والحكماء والعقلاء في ذم الدنيا كثيرة جداً لا يمكن احصاؤها ويكفي لمن يعتقد بوجود الخالق وقدرته هذه الآية التي نحن في صدد تفسيرها وهي قوله : (من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعاً عليما) فان الاعتقاد باليوم الآخر وهو يوم الجزاء يحتم على العاقل ان لا يحض نفسه ويمحضها للدنيا فقط فانه لا يحتاج من الدنيا إلا ان يقضي أيام حياته فيها وان كان يريد قضاءها بترف وراحة فهذا لا يقتضى ان يرفع يده عن الآخرة ويغض النظر عنها فان الذي يحض نفسه بالدنيا ويرضى بها جزاء وثواباً ولم يفكر أو يدبر ان يهيء لآخرته شيئاً يقدم عليه اذا انتقل من هنا الى هناك ليس يخاف عليه ان يكون كثير المال فقط فيتصف بمفاسد كثرة المال وانما هو يفقد جميع الخصال الطيبة الحسنة ويتصف بجميع الصفات الرذيلة الخبيثة فلا يراعي حقوق الناس ولا يؤدي الامانة ولا يعين الضعيف ولا يشهد بالحق ولا يحكم بالعدل ولا يفعل شيئاً مما يريده الله ، ولذا نرى ان الآية التي بعد هذه الآية ترشدنا الى الصفات الجميلة الحسنة وتدلنا على ما يريده الله منا من العدل والقسط .

فقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم أو الوالدين والأقربين ان يكن غنياً او فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً) (١) .

القسط هو العدل والقوام بالقسط هو الملازم له الذي لا ينحرف عنه وان الله قد وجه الخطاب في هذه الآية إلى المؤمنين فناداهم ثم امرهم

---

(١) النساء آية ١٣٥ .

أمراً حتمياً دالاً على الوجوب بقوله (كونوا) فيلزم على كل مؤمن أن يمتثل هذا الأمر ولا يخالفه وإلا فقد أخل بايمانه فيكون معنى الآية ان من شروط المؤمن ومن صفاته ان يكون ملازماً للعدل فى جميع احواله وأزمانه لا يحول عنه ولا يزول ولا يميل طرفة عين أبداً ، فان الميل لأحد الطرفين وان كان قليلا يخل به ويخرجه عن العدالة مع انه امرنا أن نكون قوامين بها بصيغة المبالغة ، أي مستوفين للعدل بتمام معناه وبتمام الدقة ، أي عدلا ليس فيه نقص ولا خلل ولا عيب ، أى نوليه عنايتنا بحيث نجعله صفة راسخة فى نفوسنا وصدورنا ولا يخطر ببالنا مخالفته وفعل ضده ، هكذا أراد الله من المؤمنين وأمرهم به جميعاً غنيهم وفقيرهم قويهم وضعيفهم ، حاكمهم ومحكومهم ، رئيسهم ومرؤوسهم سلطانهم ورعيتهم ، وهذا الأمر بالقيام بالقسط أمر مطلق يعم جميع الأمور المتعلقة بالنفس ومع الناس فيعم المعاملات والمحاكمات والقضاء ومعاشرة النساء وتربية الأهل والأولاد وغير ذلك . واول شيء يتناوله الامر وأول طبقة ينطبق عليها الامر هي طبقة الحكام الذين تكون مرافعات الناس كلها عندهم ، فلو اردنا ان نشرح الآية ونوجه لكل طبقة طبقة نداءاً خاصا فان أول من يسبق الى الذهن من الناس هم طبقة الحكام فيكون الشرح والتفصيل هكذا - يا أيها الحكام الذين آمنوا بالله ورسوله والقرآن - كونوا قوامين بالقسط شهداء لله . . . الخ ولا تظن ان الحاكم هو الذي ينظر في المرافعات وهو القاضي فحسب وانما الوزير حاكم ، والرئيس حاكم ، والملك حاكم وأمثال هؤلاء كلهم حكاماً .

ولا بأس بذكر كلمات بعض العلماء مع بعض الحكام لعل ماينتفع به حكام هذا العصر .

قال الغزالي في احياء العلوم ج٢ ص٣٠٤ وعن الاوزاعي عبد الرحمان

ابن عمرو قال : بعث إليّ أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين وأنا بالساحل فأتيته فلما وصلت إليه وسلمت عليه بالخلافة رد عليّ واستجلسني ثم قال لي ما الذي ابطأ بك عنا يا اوزاعي ؟ قال قلت : وما الذي تريد يا أمير المؤمنين ؟ قال : أريد الأخذ عنكم والاقتباس منكم ، قال فقلت فانظر يا أمير المؤمنين ان لا تجهل شيئاً مما أقول لك قال وكيف اجهل وأنا اسألك عنه وفيه وجهت اليك واقدمتك له ؟ قال قلت : اخاف ان تسمعه ثم لا تعمل به ، فصاح بي الربيع وأهوى بيده الى السيف فانتهره المنصور وقال هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة ، فطابت نفسي وانبسطت في الكلام ، فقلت يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية ابن بشر قال : قال رسول الله (ص) ايما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فانها نعمة من الله سيقت إليه فان قبلها بشكر والا كان حجة من الله عليه ليزداد بها اثماً ويزداد الله بها سخطاً عليه ، يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن ياسر قال : قال رسول الله (ص) ايما وال مات غاشاً لرعيته حرم الله عليه الجنة ، يا أمير المؤمنين من كره الحق فقد كره الله ان الله هو الحق المبين ، ان الذي لين قلوب امتكم لكم حين ولاكم امورهم لقرابتكم من رسول الله (ص) وقد كان بهم رؤوفاً رحيماً ، مواسيا لهم بنفسه في ذات يده ، محموداً عند الله وعند الناس ، فحقيق بك أن تقوم له فيهم بالحق وان تكون بالقسط له فيهم قائماً ، ولعوراتهم ساتراً لا تغلق عليك دونهم الابواب . ولا تقيم دونهم الحجاب ، تبتهج بالنعمة عندهم وتبتأس بما اصابهم من سوء ، يا أمير المؤمنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين اصبحت تملكهم احمرهم واسودهم مسلمهم وكافرهم وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك اذا انبعث منهم فئام وراء فئام وليس منهم أحد

إلا وهو يشكو بلية ادخلتها عليه او ظلامة سقتها إليه ، يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عروة بن رويم قال كانت بيد رسول الله (ص) جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين فاتاه جبرائيل (ع) فقال له : يامحمد ما هذه الجريدة التي كسرت بها قلوب امتك فملئت قلوبهم رعباً فكيف بمن شقق استارهم وسفك دماءهم وخرّب ديارهم واجلاهم عن بلادهم وغيبهم الخوف منه ، يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن مسلمة ان رسول الله (ص) دعا الى القصاص من نفسه في خدش خدشه اعرابيا لم يتعمده فاتاه جبرائيل (ع) فقال يا محمد ان الله لم يبعثك جباراً ولا متكبراً فدعا النبي (ص) الاعرابي فقال اقتص مني ، فقال الاعرابي قد احللتك بابي انت وأمي وما كنت لافعل ذلك ابداً ولو اتيت على نفسي فدعا له بخير ، يا أمير المؤمنين رض نفسك لنفسك وخذ لها الامان من ربك وارغب في جنة عرضها السماوات والارض التي يقول فيها رسول الله (ص) لقيد قوس احدكم من الجنة خير له من الدنيا وما فيها .

يا أمير المؤمنين ان الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل إليك وكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك .

يا أمير المؤمنين اتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك ؟ (ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها) قال الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك فكيف بما عملته الايدي وحصدته الالسن .

يا أمير المؤمنين بلغني ان عمر بن الخطاب (رض) قال لو ماتت سخلة على شاطىء الفرات ضيعة لخشيت ان اسأل عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك .

يا امير المؤمنين اتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك ؟

(يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) قال الله تعالى في الزبور يا داود اذا قعد الخصمان بين يديك فكان لك في احدهما هوىً فلا تتمنين في نفسك أن يكون الحق له فيفلح على صاحبه فامحوك عن نبوتي ثم لا تكون خليفتي ولا كرامة . يا داود انما جعلت رسلي إلى عبادي رعاءً كرعاء الابل لعلمهم بالرعاية ورفقهم بالسياسة ليجبروا الكسير ويدلّوا الهزيل على الكلا والماء .

يا امير المؤمنين انك قد بليت بأمر لو عرض على السماوات والارض والجبال لابين ان يحملنه واشفقن منه يا أمير المؤمنين حدثني يزيد بن جابر عن عبد الرحمان بن عمرة الانصاري ان عمر بن الخطاب (رض) استعمل رجلا من الانصار على الصدقة فرآه بعد ايام مقيماً فقال له ما منعك من الخروج إلى عملك اما علمت أن لك مثل اجر المجاهد فى سبيل الله قال لا ، قال وكيف ذلك ؟ قال : انه بلغني ان رسول الله (ص) قال ما من وال يلي شيئاً من أمور الناس إلا أتي به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه لا يفكها إلا عدله فيوقف على جسر من النار ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة تزيل كل عضو منه عن موضعه ثم يعاد فيحاسب فان كان محسناً نجا باحسانه وان كان مسيئاً انخرق به ذلك الجسر فيهوي به فى النار سبعين خريفاً فقال له عمر (رض) ممن سمعت هذا قال من ابى ذر وسلمان فارسل اليهما عمر فسألهما فقالا : نعم سمعناه من رسول الله (ص) ، فقال عمر واعمراه من يتولاها بما فيها فقال أبوذر رحمه الله : من سلب الله انفه والصق خده بالارض قال فأخذ المنديل فوضعه على وجهه ثم بكى وانتحب حتى ابكاني ثم قلت يا أمير المؤمنين قد سأل جدك العباس النبي (ص) امارة مكة او الطائف أو اليمن

فقال له النبي (ص) يا عباس يا عم النبي نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها نصيحة منه وشفقة عليه ، واخبره انه لا يغنى عنه من الله شيئاً اذ اوحى الله اليه (وانذر عشيرتك الأقربين) فقال يا عباس وياصفية عمي النبي ويافاطمة بنت محمد اني لست اغني عنكم من الله شيئاً ان لي عملي ولكم عملكم وقد قال عمر بن الخطاب (رض) لا يقيم امـــر الناس إلا حصيف العقل اريب العقد لا يطلع منه على عورة ولايخاف منه على حرة ولا تأخذه في الله لومة لائم وقال الامراء اربعة فأمير قوي ظلف نفسه وعماله فذلك كالمجاهد فى سبيل الله يد الله باسطة عليه بالرحمة . وامير فيه ضعف ظلف نفسه وارتع عماله لضعفه فهو على شفا هلاك إلا أن يرحمه الله . وأمير ظلف عماله وارتع نفسه فذلك الحطمة الذي قال فيه رسول الله (ص) شر الرعاة الحطمة فهو الهالك وحده وأمير ارتع نفسه وعماله فهلكوا جميعاً . وقد بلغني يا أمير المؤمنين أن جبرائيل (ع) اتى النبي (ص) فقال أتيتك حين أمر الله بمنافخ النار فوضعت على النار تسعر ليوم القيامة فقال له يا جبرائيل صف لي النار فقال : ان الله تعالى أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اصفرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضيء جمرها ولا يطفأ لهبها ، والذي بعثك بالحق لو أن ثوباً من ثياب أهل النار اظهر لأهل الأرض لماتوا جميعاً ، ولو ان ذنوباً من شرابها صب في مياه الأرض جميعاً اقتل من ذاقه ، ولو ان ذراعاً من السلسلة التي ذكرها الله وضع على جبال الارض جميعاً لذابت وما استقلت ، ولو ان رجلا أدخل النار ثم اخرج منها لمات أهل الارض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبي (ص) وبكى جبرائيل (ع) ببكائه فقال : أتبكي يا محمد وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال افلا أكون عبداً شكوراً

ولم بكيت يا جبرئيل وانت الروح الأمين امين الله على وحيه قال أخاف ان ابتلى بما ابتلى به هاروت وماروت فهو الذي منعني من اتكالي على منزلتي عند ربي فاكون قد آمنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء يا جبرئيل ويا محمد أن الله قد آمنكما ان تعصياه فيعذبكما وفضل محمداً على سائر الانبياء كفضل جبرائيل على سائر الملائكة ، وقد بلغني يا أمير المؤمنين ان عمر بن الخطاب (رض) قال اللهم ان كنت تعلم اني ابالي اذا قعد الخصمان بين يدي على من مال الحق من قريب أو بعيد فلا تمهلني طرفة عين ، يا أمير المؤمنين ان اشد الشدة القيام لله بحقه ، وان اكرم الكرم عند الله التقوى ، وانه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله واعزه ، ومن طلبه بمعصية الله اذله الله ووضعه فهذه نصيحتي اليك والسلام عليك انتهى .

العقد الفريد طبعة ٢ ج١ ص١٩ .

٨ ـ صفة الامام العادل كتب عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة الى الحسن بن أبي الحسن البصرى ان يكتب إليه بصفة الامام العادل فكتب إليه الحسن إعلم يا أمير المؤمنين ان الله جعل الامام العادل قوام كل مائل وقصد كل جائر ، وصلاح كل فاسد وقوة كل ضعيف ، ونصفة كل مظلوم ، ومفزع كل ملهوف ، والامام العدل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على ابله الرفيق بها الذي يرتاد لها أطيب المرعى ويذودها عن مراتع الهلكة ويحميها من السباع ويكنها من أذى الحر والقر .

والامام العدل يا أمير المؤمنين كالأب الحانّ على ولده يسعى لهم صغاراً ويعلمهم كباراً يكتسب لهم في حياته ويدخر لهم بعد مماته .

والامام العادل يا أمير المؤمنين كالام الشفيقة البرة الرفيقة بولدها حملته كرها ووضعته كرها وربته طفلا تسهر بسهره وتسكن بسكونه ترضعه

تارة وتفطمه اخرى وتفرح بعافيته وتغتم بشكايته .

والامام العادل يا أمير المؤمنين وصى اليتامى وخازن المساكين يربى صغيرهم ويمون كبيرهم .

والامام العادل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوانح تصلح الجوانح بصلاحه وتفسد بفساده .

والامام العادل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده يسمع كلام الله ويُسمعهم وينظر إلى الله ويريهم وينقاد إلى الله ويقودهم فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله فبدد المال وشرد العيال فافقر اهله وفرق ماله واعلم يا أمير المؤمنين ان الله انزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش فكيف اذا اتاها من يليها ، وان الله انزل القصاص حياة لعباده فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم ، واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده وقلة اشياعك عنده وانصارك عليه فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر ، واعلم ياأمير المؤمنين ان لك منزلاً غير منزلك الذي انت فيه يطول فيه ثواؤك ويفارقك احباؤك يسلمونك في قعره فريداً وحيداً فتزود له ما يصحبك (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وابيه وصاحبته وبنيه) واذكر يا أمير المؤمنين (اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور) فالاسرار ظاهرة والكتاب (لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها) فالآن يا أمير المؤمنين وانك في مهل قبل حلول الأجل وانقطاع الامل لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين ولا تسلك بهم سبيل الظالمين ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين فانهم لا يرقبون في مؤمن إلاً ولاذمة فتبوء باوزارك واوزار مع اوزارك وتحمل اثقالك واثقالا مع اثقالك ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك ويأكلون الطيبات في دنياهم باذهاب

طيباتك في آخرتك لا تنظر الى قدرتك اليوم ولكن انظر إلى قدرتك غداً وأنت مأسور في حبال الموت وموقوف بين يدي الله في مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين وقد عنت الوجوه للحي القيوم .

إلى هنـــا ينتهى الجزء الثاني

والحمد لله أولاً وآخراً

فهرست مواضيع الكتاب

ص	الموضوع
٣	من لم يقبل الحق بحجة فهو يريد الفساد .
٣	آية ٦٤ آل عمران قل يا أهل الكتاب تعالوا .
٤	من أخذ أحكام دينه من غير العالم فكانه عبده .
٦	آية ٧٠ يا أهل الكتاب لم تكفرون
٧	توبيخ أهل الكتاب وانذار للمسلمين في تلبيس الحق بالباطل
٨	مكر اليهود في تضليل المسلمين
١١	ثلاثة أمور ذكرها الله في ضمن الآيات الذامة لليهود :
١١	الأول الهدى هدى الله .
١١	الثاني الفضل بيد الله .
١٢	الثالث يختص الله برحمته من يشاء
١٣	انخداع النصارى بمكر اليهود
١٤	كلام الطنطاوي في ابطال دعوى اليهود .
١٥	تلبس اليهود بالخيانة .
١٦	جعل اليهود الخيانة من الدين
١٧	آية ٧٧ ان الذين يشترون
١٨	الشهادتان تعهد باطاعة الأمر
١٨	البيعة وعقاب نكثها .
١٩	طلب النبي البيعة في أول البعثة
١٩	وطلبه البيعة عند قرب اجله
٢٠	آية ٨١ وإذ اخذ الله الميثاق
٢٣	آية ٨٣ ـ ٨٤ قل آمنا بالله .
٢٤	آية ٨٥ ومن يبتغ غير الاسلام
٢٥	آية ٩٢ لن تنالوا البر حتى تنفقوا .
٢٦	آية ٩٦ ـ ٩٧ ان اول بيت وضع للناس .
٣٠	وجوب الحج على المسلم المستطيع
٣١	عقاب من سوف الحج ثواب المؤدى للحج .
٣٢	اطاعة اهل الكتاب ترد المسلم كافراً .
٣٥	سؤال من الله موجه لمن يطيع

ص	الموضوع
	الكافر .
٣٧	الله يأمر المؤمنين بالتقوى .
٣٨	يأمرنا الله بثلاثة اشياء وينهانا عن شيء واحد .
٣٩	تحقيق في معرفة حبل الله .
٤١	آية ١٠٤ ولتكن منكم امة .
٤٣	النهي عن الاختلاف .
٤٤	آية ١٠٦ يوم تبيض وجوه .
٤٧	ورود الرايات على النبي يوم القيامة .
٤٩	آية ١١٠ كنتم خير امة .
٥١	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
٥٤	آية ١١٨ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة .
٦١	آية ١٢٠ ان تمسسكم حسنة تسؤهم .
٦٢	الأمور السرية التي اخبرنا الله بها (سبعة) .
٦٤	آية ١٣٠ في حرمة الربا وعقابه
٦٧	في كظم الغيظ والعفو عن الناس .
٧٠	آية ١٣٥ في فعل الفاحشة والتوبة منها .
٧٢	آية ١٤٩ في النهي عن اطاعة الكافرين والمطيع لهم ينقلب من الخاسرين .
٧٣	آية ١٧٩ في تميز الله بين الخبيث والطيب .
٧٧	آية ١٨٠ في النهي عن البخل وعقاب المتصف به .
٧٩	آية ١٨٥ فى التنبيه عن الموت وجزاء كل انسان بعمله .
٨١	في ما ذكره أمير المؤمنين من الاستعداد للموت .
٨٤	في الفرق بين المؤمنين السابقين والمؤمنين في هذا العصر .
٨٧	الآية الأولى من سورة النساء .
٨٩	الآية الثانية في المحافظة على اموال اليتامى .
٩٢	آية ١١ ـ ١٢ فى بيان الارث وعقاب الغاصب منه شيئاً .
٩٤	آية ١٤ في وجوب التوبة
٩٩	تكملة نافعة .
١٠٣	في معاشرة النساء .

ص	الموضوع
١٠٥	في النهي عن الاقتراض وكلمة الصادق فيه .
١٠٩	آية ٣٠ في النهي عن اجتناب الكبائر .
١١٠	في ما بينه الامام الصادق لعمر ابن عبيد من تعداد الكبائر.
١١٣	آية ٣٢ قوله ولا تتمنوا مافضل الله به بعضكم .
١١٧	آية ٣٤ الرجال قوامون على النساء .
١١٩	في اوصاف النساء الصالحات.
١٢٤	في ما رآه رسول الله (ص) ليلة الاسراء فى تعذيب النساء غير الصالحات .
١٢٨	مجيء وافدة النساء الى النبي ومطالبتها بالثواب الذي للرجال
١٢٩	آية ٣٥ تأمر ببعث حكمين لاصلاح الزوجين .
١٣١	كلام الامام الباقر مع نافع ابن الازرق بما يتعلق بالحكمين
١٣٢	آية ٣٦ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً دلالة الآية على كون

ص	الموضوع
	مصدر الأحكام واحداً يعينه الله
١٣٥	في بيان حق الجار وانه على ثلاثة أقسام .
١٣٦	في تفسير قوله تعالى والصاحب بالجنب .
١٣٩	فيمن ينفق المال رياء وكون الشيطان قرينه .
١٤٠	كلام ابن أبي العوجاء مع الصادق (ع) والاعتراف بروحانيته .
١٤٤	فيما يتعلق بقوله تعالى يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثاً .
١٤٧	آية ٤٣ يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى
١٥٠	آية ٤٤ ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب .
١٥٢ ـ ١٥٤	آية ٤٨ ان الله لا يغفر أن يشرك به .
١٥٥	آية ٤٩ ألم تر الى الذين يزكون انفسهم .

ص	الموضوع
١٥٦	مكالمة طاووس مع هشام بن عبد الملك .
١٥٨	ليس في القيامة راكب غيرنا ونحن اربعة .
١٦٠	آية ٥١ ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً في الكتاب .
١٦٤	آية ٥٣ ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله .
١٦٨	ايقاظ لكل مسلم .
١٧٠	سؤال ابن ابي العوجاء عن قوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها وجواب الصادق عن سؤاله .
١٧٢	آية ٥٨ في أمر الله برد الأمانة إلى أهلها .
١٧٧	فى تقسيم الامام الصادق القضاة الى اربعة .
١٨٠	في وجوب اطاعة الله والرسول وأولى الأمر .
١٨٤	في تحقيق أولى الأمر وتشخيصهم
١٩٠	آية ٦٠ ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا .

ص	الموضوع
١٩٢	في وجوب الرجوع الى الله والرسول واولى الامر عند التخاصم .
١٩٥	قوله تعالى وما ارسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله .
١٩٧	نقل كلام الرازي وبقية المفسرين .
٢٠٦	آية ٦٩ ومن يطع الله والرسول
٢٠٩	اذا تجمعت في المصلي ٥ صفات اعطاه الله ٣ امور .
٢١٠	قول الصادق المؤمن مؤمنان مؤمن وفى لله بشروطه ومؤمن زلت به قدم .
٢١٣	سبب نزول الآية ومن يطع الله والرسول .
٢١٤	آية ٧٦ الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله الخ .
٢١٧	معرفة المقاتلين في سبيل الله والمقاتلين في سبيل الطاغوت .
٢٢٠	أمر الله المؤمنين ان يقاتلوا الذي قاتل فى سبيل الطاغوت
٢٢٥	آية ٨٠ من يطع الرسول فقد

ص	الموضوع
	اطاع الله .
٢٢٨	كلام الرازي في قوله من يطع الرسول فقد اطاع الله .
٢٣٢	طريق الاحتراز من كيد الاعداء
٢٣٤	بيان جبرائيل معنى التوكل لرسول الله .
٢٣٧	انكار الله على من لم يطع الرسول .
٢٤١	آية ٨٣ في حكم نقل الخبر الذي يسمعه الانسان .
٢٤٧	آية ٨٥ قوله (من يشفع شفاعة . . . الخ) .
٢٥٥	واذا حييتم بتحيـة فحيّوا باحسن منها : آية ٨٦ .
٢٦٦	تنبيـه .
٢٦٧	آية ٩٢ (وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمناً) .
٢٦٩	في وصف جهنم .
٢٧٣	موعظة لأمير المؤمنين علي (ع)
٢٧٥	في عقاب قاتل المؤمن .
٢٨٢	آية ١٠٥ (انّا انزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين

ص	الموضوع
	الناس) .
٢٨٥	في شروط القاضي .
٢٨٦	كلام أمير المؤمنين علي (ع) في ذم من يقضي بغير علم .
٢٨٨	نداء لأخي المحامي .
٢٩٥	آية ١٠٨ (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم) .
٢٩٧	آية ١٠٩ (ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا)
٣٠٠	الجهل هو الداء الأكبر .
٣٠٥	(وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم) .
٣٠٦	آية ١١٤ (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة .
٣٠٨	آية ١١٥ (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى) .
٣١٣	تنبيه لعموم المسلمين .
٣١٤	آية ١٢٣ (ليس بامانيكم ولا باماني أهل الكتاب) .

ص	الموضوع
٣٢١	آية ١١٤ (واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل) سورة هود .
٣٢٣	آية ١٢٥ (ومن احسن ديناً ممن اسلم وجهه لله) .
٣٢٩	في تفسير قوله تعالى : (واتخذ الله ابراهيم خليلا) .

جدول الخطأ والصواب

ص	س	الخطأ	الصواب
٥	٨	ما في	باقي
٥	١٠	حيث	حديث
٥	١٣	تبصر	يتبصر
٥	١٤	فيتكون	فتكون
٦	٩	الذين	الذين
		اضلالهم	ودوا
			اضلالهم
١٠	٢١	الأخبار	الأحبار
٢٢	١٧	وجعل	ويجعل في
٢٤	١	يؤمنون	مؤمنون
٢٤	١٣	فى تفسيره	تفسيره
٢٦	٥	بها	لها
٢٨	١١	ليقوهم	ليقووهم
٢٨	١٧	بيت	بيت
		للعبادة	وضع للعبادة
٢٨	٢٢	وعرضها	وغوصها
٣٠	٨	لم يصدقوهم	لم يصدقوا
			هم
٣١	١٧	فاليمت	فليمت

ص	س	الخطأ	الصواب
٣١	١٨	في اخبار	في عقاب
٣٢	٦	لمحرم	لمحروم
٣٦	٥	يذروه	يردوه
٤٤	٥	تكونون	تكونوا
			وتستحقوا
٤٦	٢٢	عظمة	وعظة
٤٨	٤	ردوا	ردوا النار
٥٠	٣	الجن	الحسن
٥٠	٩	من امة	من امة
			محمد
٥١	١٤	وقل	وقد
٥١	٢٣	بمن	فمن
٥١	٢٣	بقول	نقول
٥٢	٣	يضن	يظن
٥٣	٤	الأمر	الأرض
٥٤	٢٠	قبله	قلبه
٥٥	٧	لاحقين	لاصقين
٥٧	٣	والعيء	والعبء
٦٣	١٨	لا يحبسه	لا يحسبه

ص	س	الخطأ	الصواب
٦٣	٢١	يبدونها	يبدوها
٦٥	١٦	يزني	يربي
٧٠	١٥	أو	أي
٧٢	١	واعلم	وعلم
٧٩	١٦	بالعرض	بالعوض
٨٢	٢٢	تؤذيه	تؤدّيه
٨٨	١٩	سيأتي فى بيان	سيأتي بيانه
٩٠	٢	الجيد من اموالكم	الجيد من اموالهم
٩٣	٨	التحكيم	الحكم
٩٥	١٣	قول يوسف	قول يوسف لاخوته
٩٥	٢٠	حين	حينه
٩٧	١١	لا يقبل	لا تقبل
١٠٤	١٤	اخذنه	اخذته
١٠٦	١٦	النفس	النفس في التهلكة
١٠٨	١١	على	عن
١١٣	١٤	عن نصيبهن	عن نصيبهم
١١٤	١٤	تمنى	تمنِ
١١٥	١٩	جاء	جاءه
١٢١	١٩	ونفسه	ونفسها .
١٢٢	٢	بالسؤال	بالسواك
١٢٢	٢١	غير رجل ابدا	رجل ابداً
١٢٣	١٠	الطف المنديل	الطست والمنديل
١٢٥	٥	وبدنها وتقطع	وبدنها متقطع
١٢٩	٧	هذه الآية التي	هذه الآية تحتاج
١٣٠	١	بقى	بقيا
١٣١	١	توفيقين	توفيقان
١٣٣	١٠	مصدره	مصدرهم
١٣٦	١٨	عبادة	عباد
١٣٧	١٨	فانه	فانهم
١٤٠	٥	ضرر	ضرراً
١٤٣	١٥	أمر إنسان	أمره إنسان
١٤٣	١٨	الكاتب	الكاتم
١٤٤	٥	علي عن بذل	علي يبذل
١٤٤	٢١	في	من

ص	س	الخطأ	الصواب
١٤٥	١	تبين	تتبين
١٤٦	٣	امم	اممهم
١٥٠	٩	يعملون	يعلمون
١٧٢	٤	كان بصيراً	كان سميعاً بصيرا
٢٠٩	١٠	خير	خيراً
٢١٢	٨	الوسول	والرسول
٢١٧	٢٠	بباك	ببابك
٢١٨	١٨	قطيعاً	قطعياً
٢٢١	٢٢	بعض	ببعض
٢٢٤	١٠	واعدائهم	واعداءهم
٢٣٠	١٦	وجزاؤهم	وجزاءهم
٢٤١	١	يظهروا	يظهرون
٢٤٩	٨	نصيب	نصيباً
٢٨٧	١٢	خان فلان	خان فلاناً
٢٨٨	١٠	ضدان	ضدين
٢٩٩	١١	وشرح	شرع
٣٠٢	١٢	أي تحتمل	أي تحمّل